السنة السادسة العدد ٦٢ ـ ربيع الثانى ١٤٠١ هـ ـ فبراير ١٩٨١ م

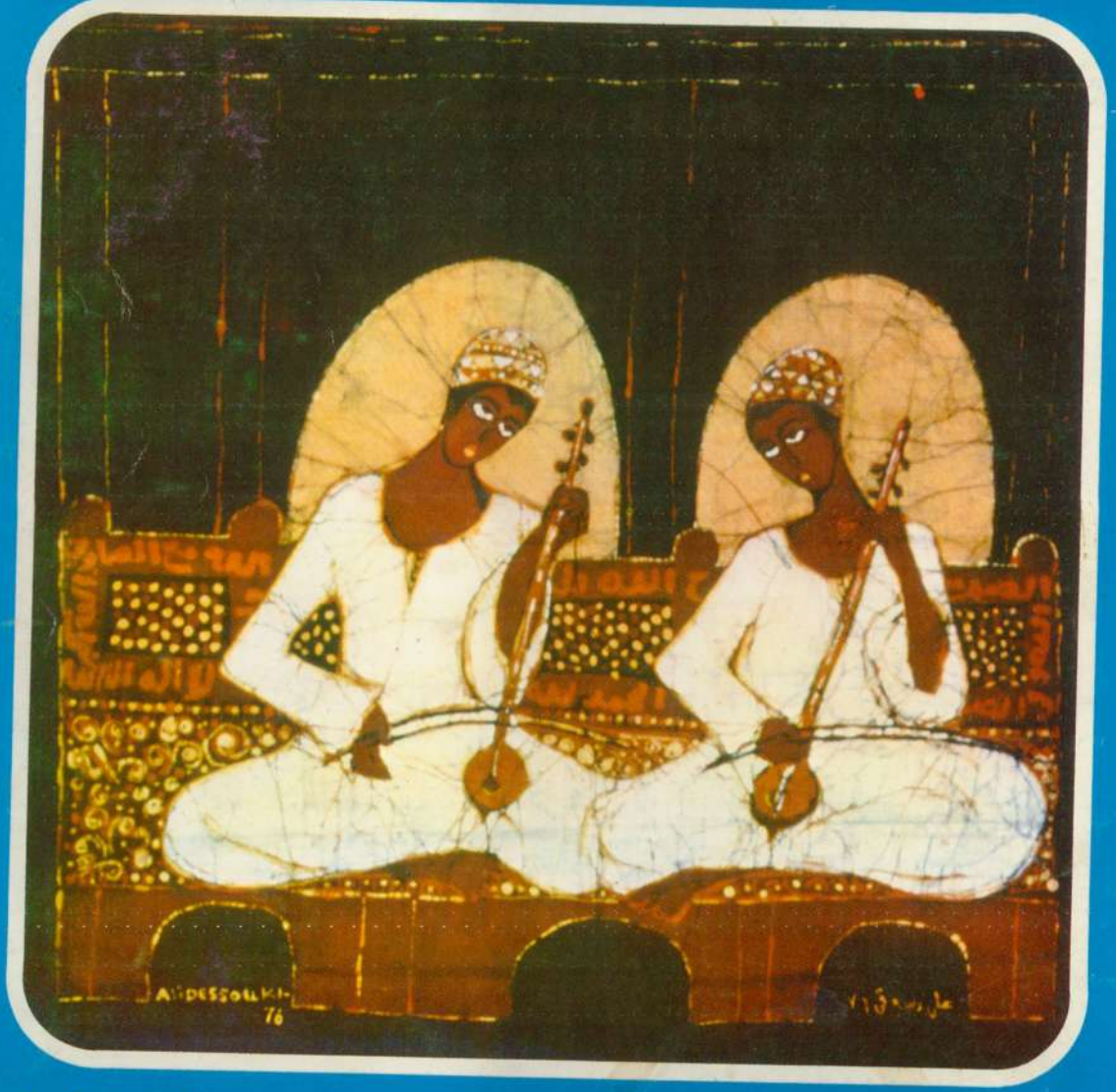
الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربى والثقافة الانسانية

● حتى يكون المد الإسلامي الجديد صحوة حقيقية
د. أحمد كمال أبو المجد

● قصة حياة أكبر فنان ضاحك في أوروبا.. بقلمه

الدوحة تفتح باب الحوار حول قضية تبسيط اللغة العربية





البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي



ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

العدد ٦٢ فبراير ١٩٨١

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
الأردن ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
السودان ٢٠٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين اميركيين

الاشتراكات :
للافراد :
داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا
الاعلانات :
يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الاعلام
بدولة قطر

الدوحة

رئيس التحرير
رجاء النقاش

هيئة التحرير

مدير التحرير
عبد القادر حميدة

المحرر العام
كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير العام
النور عثمان أبكر عبد الله جابر
نادية رزق ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير
نبيل خالد الأغا

البحوث والمعلومات
مبارك عثمان العشى

الإشراف الفنى
محمد نبيل الحداد نائلة فتحى

سكرتير التحرير الفنيان
أحمد عبد الله على دياب

الغلاف الاول : لوحة شعبية للفنان على دسوقى

الغلاف الاخير : لوحة شعبية للفنان القطرى يوسف احمد

المواد الاعتدادى مسؤوليتها تنشرت اوتم تنشر ● ما ينشر فى المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأى الوزارة او المجلة

فبراير ٨١

العدد ٦٣

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
القسم الادارى والمالى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات : ترسل باسم رئيس التحرير

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

إسلاميات

٨ د. أحمد كمال أبو المجد
حتى يكون المد الاسلامي صحوة حقيقية

٦٨ أنور الجندى
تحديات فى وجه الفكر الاسلامى

٩٩ د. حسن عيسى عبد الظاهر
«الفولانى» مسلمون لا نعرفهم فى غرب أفريقيا

١١٥ د. محمد عماره
رسول الله بين الدين والدنيا

دراسات وقضايا

١٣ د. محمد جابر الانصارى
مسئوليات تنتظر الصحافة الثقافية

١٨ د. عبد السلام العجيلى
ومن العلم ما قتل

٢٠ رجاء النقاش
أخطر كتاب عربى عام ١٩٨٠

٣٢ د. يحيى الجمل
حوار مع فتاة مثقفة

٤٠ درويش مصطفى الفار
مستقبلنا والموجات الكهرومغناطيسية



٦٢ فاروق خورشيد
الغول الانسان الوحش فى الأدب الشعبى

٧٢ محمود شيت خطاب
تنسيق انتاج السلاح فى الوطن العربى

٧٦ عصام شريح
برتراند راسل في ذكراه العاشرة

٨٤ نهر الليطانى لماذا يداعب مخططات اسرائيل ؟

٩١ معروف رفيق
الى عنترة العبسى

١٤٦ الفاتح ابراهيم أحمد
قنطار خشب ودرهم حلاوة

كلمة

عندما يصدر هذا العدد من الدوحة يكون مؤتمر القمة الاسلامى الذى انعقد فى مكة المكرمة والطائف قد انهى اعماله والمهم فى مثل هذا المؤتمر الكبير ان يكون المسلمون قد اكتشفوا فى هذه المرحلة الدقيقةمن تاريخهم ان الحل الوحيد امامهم هو وحدة الكلمة ، والتاريخ الواضح الدقيق للعمل من اجل علاج المشاكل الكثيرة التى يتعرض لها المسلمون . فبعض المسلمين يعانون من الفقر والجوع حتى الموت . وبعض المسلمين يعانون من الاحتلال والغزو . وبعض المسلمين يعانون من القهر فى شئون عقيدتهم ودينهم حيث يسيطر على أمور البلاد التى يعيشون فيها من يؤمنون بدين غير الاسلام ، ولا يريد هؤلاء للاسلام ان ينهض او تنهض شعوبه ، وكل هذه المشاكل لا تحلها إلا العودة لمبادىء الاسلام الصحيح والاستجابة لما نادى به القرآن الكريم حين قال «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» ...

ولقد كانت قمة مكة خطوة كبيرة على الطريق .

ابواب القراء

مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين « الدوحة واصدقائها المساهمين فى تحرير أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافآت رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية
١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

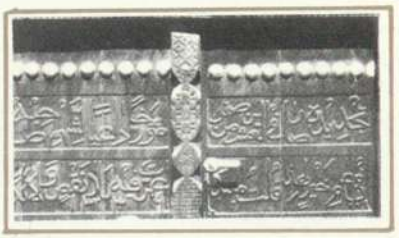
رأيت • سمعت • قرات
٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير أبواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجى ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية •

شئون الخليج والجزيرة

٢٨ علي عبد الله خليفة
هموم ثقافية
٣٦ حسان عطوان
ملامح الشعر الخليجى القومى



٥٨ محمد علي عبد الله
مدخل لدراسة الفولكلور الشعبى
٨٠ لولوة المسند
السياسة التعليمية .. هل ترفع الكفاءة الاقتصادية للمرأة القطرية
٩٢ كمال سعد
كلمات بالرسم
١٠٤ غانم السليطى
لماذا «سوق البنات» فى المسرح القطرى ؟

أدب وأدباء

١٤ د. عيسى الناعورى
فلنبسط اللغة العربية
٢٦ د. محمد زكى العشماوى
منهج فى دراسة أبى نواس
٥١ يوسف الشارونى
الثأر (قصة)
١٢٨ عباس خضر
من الكفراوى الى أرسين لوبين

شعر

٢٥ محمد الفهد العيسى
صبا نجد
٣١ فى وداع السيدة الخضراء
٣٥ مريد البرغوتى
الترويض
١٣٠ ابراهيم طوقان
من الشعر الضاحك
١٣١ حبيب الصايغ
المسافة

طب وعلوم

٨٨ د. عبد المنعم عاشور
مرض الواحد فى المائة
٩٦ د. عبد المحسن صالح
عالم غريب
١١٦ أحمد العنانى
الأطباق الطائرة (عرض ومناقشة لكتاب الدكتور محمد عبده يمانى)
١١٨ د. عبد الفتاح الزهيرى
البنج وعلاقته بحياة الانسان

استطلاعات

٥٢ نبيل خالد الآغا
خيفا .. قلادة على صدر الوطن
١٣٩ نادية محمد رزق
أول مدرسة للبنات فى العالم العربى

نافذة على الثقافة العالمية
محمد العزب موسى
١٣٢ «الجورنيكا» تعود الى وطنها
١٣٥ جوائز نوبل
هل تذهب الى مستحقيها ؟

فنون

٤٢ أحمد شوقى
«البخيلة» : مسرحية مجهولة لأمير الشعراء
١٠٨ جمال قطب
حتى لا نرى بعيون الآخرين
١١٢ مجدى نجيب
السباحة فى أنهار العشق

كتاب الشهر

١٢٠ بيتر أوستنوف
عزيزى أنا .. قصة أكبر فنان ضاحك فى أوربا بقلمه

رسائل إلى المحـــــرر

تعليق على مقالين



أمتع لحظة قضيتها فى قراءة مقال ـ وبلا مبالغة ـ هى اللحظة التى عشتها مع مقال العالم الكبير الدكتور يوسف القرضاوى ـ المنشور بالدوحة الغراء ـ عدد ديسمبر .. (القرن الهجرى الجديد بين آلام الأمس وآمال الغد ..)

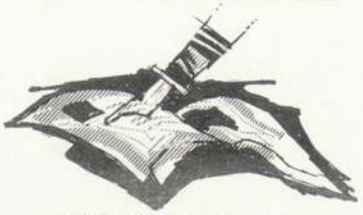
حقيقة ـ والحـــق أحق أن يقال ـ لهو مقال رائع وجميل .. ولن أعلق إلا على الجزء الأخير منه .. وهى نظرة الكاتب المتفائلة نحو أمتنا .. وأنا أتفق مع سيادته تمام الاتفاق فى أن أمتنا تملك من وسائل التفوق وأسباب الريادة ما يجعل منها القوة العالمية الثالثة .. فأمتنا تمتلك فعلا الثروة البشرية ، والقوة المادية ، والقوة الروحية المتمثلة فى كتاب الله الخالد وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهى أعظم قوة .. فقط لو تمسكنا بكتاب الله وسنة نبيه ..

إن وجهة نظر د. القرضاوى تبين للمتشككين فى قوة أمتنا أن الأمة الاسلامية بخير وانني أرى أن باستطاعتنا أن نكون فى قوة أسلافنا الذين كانوا سادة العالم بوحدتهم وبعلمهم فقط لو اعتصمنا بحبل الله جميعاً ولم نتفرق ..

وكان مقال الأستاذ / درويش مصطفى الفار فى بابه ـ أضغاث أحلام ـ المنشور بنفس العدد بعنوان ـ الهجرة وحركة الزمان ـ مقالا رائعا وهو من المقالات العلمية الأدبية . وفيه استخدم الكاتب قدرته الكبيرة فى اخراجه بهذه الصورة الجميلة .. ودعا فيه العالم الاسلامى والعربى الى نبذ الكراهية والمهاجرة من واقعنا المرير المحزن الى الوحدة الشريفة

● نور على أحمد
● قفط ـ ج.م.ع

مأساة شاعر



بعد غياب طال خمسة شهور عاد رجاء النقاش لاستكمال المقال الثانى عن الشاعر أحمد العاصى ومأساته فى العدد (٦١) الصادر فى يناير الماضى .. وكم كان موفقاً فى عرضه لمأساة هذا الشاعر وظروف حياته التى تماثل أحوال كثير من الشعراء الشباب «الموهوبين والمغمورين فى آن واحد» والذين يجترون أحزانهم من جراء تجاهل :

ـ كبار الأدباء والشعراء ـ جمهور النقاد ـ أجهزة الاعلام «صحافة واذاعة مرئية ومسموعة» .

وخير شاهد على صدق ما أقول . هو خلو ساحة المجتمع العربى من المعارك الأدبية والفكرية ، التى كان يقودها عمالقة الأدب والفكر ـ على صفحات الجرائد والمجلات وعن طريق الكتب «الدسمة» .. وفى الأغلب الأعم «داخل صالونات الأدب» . ولا يخفى على كل محب لتلك الفنون ما كان يحدث فى صالون «مى زيادة» و «دولت أبيض» فى القاهرة .

إن ما قاله الأستاذ رجاء النقاش عن الشاعر المنتحر . لهو دليل ادنة لكل من يملك نافذة لنشر انتاج هؤلاء البؤساء . دون أن يقدم مساعدته ، وينتشل بعضهم من بحر النسيان . ورحم الله الكاتب الساخر كامل الشناوى الذى خرج من تحت معطفه الكثير من الأدباء والشعراء .

وما قيل عن الشاعر أبى القاسم الوجه الآخر المتفائل للشعراء . يجعلنا نأمل أن نظير المقال الثالث . فى موعد .. حتى نعيش لحظات صادقة فى ظل دوحتنا الغراء الظليلة .

● مصطفى كذلك
ميت غمر/دقهلية/ج.م.ع

تراثنا المسروق

الأعاصير الجافة الكثيرة التى مرت على أمتنا العربية فى الماضى والحاضر القريب ، جاءت من بعيد ، انها أعاصير غبراء كانت ثقيلة الدم والفكر لا تفهم فى لغة الضاد شيئاً ، أعاصير سوداء متفحمة خلقة غيرت مناخ هذه الأمة ، فجعلت شهيقها حسرة مرة ، وترياقها سموماً لاذعة كل ذلك على ما أخذته أعاصير الاستعمار من حضارتها ، والباقى قد طمس من قبلهم . هذه الأمة التى أنارت العالم المظلم وقتذاك ، بقيت خاوية تحس بمرارة الألم

ونحس نحن بمرارة الألم عندما نرى فى متاحف أوربا والعالم مخطوطاتنا التى سرقها الاستعمار ، والمرارة أكبر عندما نذهب الى أوربا من أجل نيل شهادة دراسية فى مواضيع تلك المخطوطات .

يجب على كل عربى يريد أن يحافظ على عروبة هذه الأمة يجب عليه أن يطالب بتلك الآثار

● عبد الكريم حسين مهدى
● جامعة بغداد ـ العراق

انتاج القراء وعرض الكتب

أبعث اليكم باقتراحين أرجو أن تتكرم المجلة العزيزة بتنفيذ أحدهما على صفحاتها :

● تخصيص باب معين لعرض انتاج قراء المجلة من الاعمال الأدبية «شعر ، قصة» واعطاء هذه الاعمال حقها من الشرح والدراسة والتقييم فان هذا الاقتراح لو تم تنفيذه سيكون نبراسا وهاجا ومنفذا تخرج منه أعمال الشباب الى النور .

● تخصيص باب آخر لعرض كتاب قيم فى كل عدد من أعدادها على أن يكون هذا الكتاب من الكتب العالمية المعروفة والتى تركت أثرا كبيرا فى النفوس وأن يكون الاختيار للكتاب فى شتى المجالات «الأدبية ، والفلسفية والدينية، وفى علم النفس، وفى العلوم الأخرى» .

● محمد محمود عبد الغنى
● القناطر الخيرية ج.م.ع

● ●

ـ نوافق على الاقتراح ونرجو أن نحققه قريبا .

فرأت

اختراع بالصدفة



يحكى أن قطة كانت تطارد فأراً فى احدى الليالى الجميلة من عام (١٨٩٠) . ولم يكن مضمار السباق سوى طاولة بمختبر الكيميائى الألمانى «ادولف سبيتلير» ، وفجأة انقلبت احدى القوارير التى كانت تحتوى مادة «الفورمالديهايد» ، المستخرجة من الفحم ، واندلقت على قطعة الجبن الموضوعة فى مصيدة الفئران .

وفى صبيحة اليوم التالى عقدت الدهشة لسان الكيميائى المذكور ، عندما حاول تنظيف منضدة المختبر من آثار مادة «الفورمالديهايد» التى انسكبت عليها فى الليلة الماضية ، لأنه وجد أن قطعة الجبنة قد أصبحت صلبة كالحجر ، الأمر الذى شجع الكيميائى المذكور على اضافة الحليب على هذه المادة وتم بذلك اكتشاف أول مادة مصنوعة من اللدائن البلاستيكية ، وهى مادة «الكاسيين» .

بهجت درسون رحو
نينوى ـ العراق

البنو عامر .. ليسوا كلهم من البجا

بالاشارة الى الاستطلاع المنشور فى العدد ٥٩ نوفمبر ٨٠ عن منطقة شرق السودان أرجو أن تسمحوا لي بتوضيح الحقائق الآتية خدمة للأمانة الصحفية : ـ

اولا : هناك قبائل رئيسية لها وزنها ونفوذها فى المنطقة مثل :

١ ـ قبيلة الأشراف ـ سكان خور بركة ـ والجزء المكمل للارتيقة ـ وهم أهل دين وصلاح وتقوى .

٢ ـ العتمن : وهم أيضا الجزء الذى لا يتجزأ من الامارات ومشهورون بالكرم والشجاعة والجود .

٣ ـ البشاريون : سكان شمال مدينة بورتسودان .

٤ ـ العبابدة .

٥ ـ النابتاب .

ثانيا : ان البنى عامر ليسوا كلهم من البجا باستثناء الذين يتكلمون باللهجة البجاوية ـ التى هى وحدة واحدة لا تتجزأ .

● مختار أونور عيسى
● بورتسودان ـ السودان

معجم لغوى حديث

أريد معجما لغويا حديثا يساير تطور اللغات والعصور . وفى البداية أسال سؤالا واحدا ...

هل المعاجم اللغوية العربية الموجودة الآن تحقق الغرض الذى ينشده اللغويون المحدثون ؟ .. وما العلاج ؟؟

فمنهج المعجم : يدور حول الكلمة اللغوية إيضاحا وشرحا ليجلو منها ما يسمى بالمعنى العجمى ـ فالكلمات هى مادة المعجم يدور حولها نشاطه شرحا وتحليلا تاريخيا أو وصفيا ـ هذا ما نراه فى معاجمنا ـ فلقد توقف البحث والتنقيب فى لغتنا ولم ندرك نحن مهمتنا فى ذ ة ما صنف الأقدمون رحمهم الله وما عنوا بجمعه من مفردات اللغة جمعا وتصنيفا وتبويبا على نحو ما أدرك غيرنا دورهم نحو لغاتهم فصنفوا واضافوا لمعاجمهم بل اننا نجد لكل عصر عند الغربيين معجما يهتم بكلماته ولهجته وكيفية نطق كلماته .

والعلاج الذى أراه ، هو عمل معجم لغوى جديد يخدم لغتنا العربية بما يساير تطور العصر مزود باشياء ، منها تعليم الهجاء الصحيح للكلمة ، وتعليم طريقة نطقها صوتيا وأن يعطى مدخلا من حيث صيغها صرفيا . بل أضيف وأقول يجب علينا أيضا بعد الخطوة السابقة أن نفرد معجما لكل عصر من العصور المختلفة السالفة يهتم بمفردات هذا العصر .

● جمال عز الدين محمد
● قنا ـ ج.م.ع

هدايا مع المجلة

أحمل شكرى وشكر شباب الدوحة الجديدة على ما تبذلونه من جهد مخلص فى مجلة الدوحة .

وحبذا لو يصدر معها صورة لبعض الشخصيات التاريخية العربية ، أو أخذ المناظر الطبيعية الجميلة من بلادنا ، لتوزع كهدية مع المجلة .

● أحمد صالح فارس
● الدوحة ـ قطر

دور الأزهر

قرأت مقال الدكتور محمد البهى عن «دور الأزهر فى تكوين الكتلة الثالثة» واعجبت به أيما اعجاب ، ولقد زاد حصيلتى عن هؤلاء الماديين الذين تدثروا ثوب الاسلام فى أمة الاسلام ليكيدوا لها ، ولينشروا سموم الغرب الفاسد فى المجتمع الاسلامى الصافى .

ولقد تعرض لهم الأستاذ محمد قطب فى كتابه القيم «الانسان بين المادية والاسلام» مفندا آراء فلاسفتهم الكبار من أمثال دارون وفرويد والذين يقولون بالجبرية الاقتصادية ، وتفسيرهم للسلوك الانسانى على باعث الجنس .

ولكن وددت أن يتطرق الدكتور لواقع الأزهر اليوم . والى كيفية ترميم التصدع الذى أصابه حتى يعود كعبة يحج اليها أبناء هذه الأمة لينهلوا من معين الاسلام الذى لا ينضب من المثل والأخلاق والقيم المستمدة من هذا الدستور الالهى

● الطيب قسم الله علي
● المدينة المنورة

حول الأفغانى

أثناء استمتاعى بقراءة مذكرات عايدة الشريف عن «محمود شاكر» فى العدد رقم ٦٠ هالنى ما قرأته فى آخر المقال عن جمال الدين الأفغانى .

ولقد ذعرت لذلك وأسفت ، فهل ذهب كل ما عرفناه وقرأناه عن جمال الدين الأفغانى سواء فى المدارس أو الكتب أدراج الرياح ؟

لقد كنت أفضل أن يكون تناول ذلك أكثر تفصيلا لأن هذا الاختصار ألقى فى نفسى ظلا من الشك والريبة حول ما استقر فى نفسى ونفوس الكثيرين عن جمال الدين الأفغانى .

● حسن عبد العظيم
● الفيوم ـ مصر

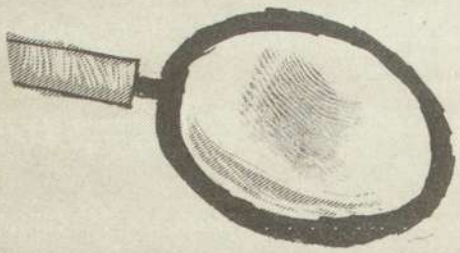
سمعت

بصمات الأصابع

نعلم أن أنواع البصمات أربعة . فاحتمال تطابق بصمة مع أخرى فى النوع هى بنسبة ١ الى ٤ وشكل كل نوع من البصمات لا يقل عن ٤ فاحتمال تطابق البصمتين فى الشكل يكون بنسبة ١ الى ٤ .

وأشكال اتجاه الخطوط الرئيسية لا تقل عن ٤ وأشكال تكون الزوايا عددها ٢٠ وعدد الخطوط بين نقطة الزاوية ونقطة الوسط تكون بنسبة ١ الى ٣٦ وأشكال مميزات الخطوط ٦ بالاضافة الى أنه يلزم وجود «١٢» أو «١٦» مميزة منها على الأقل فى كل من البصمتين .

وأشكال العلامات الخاصة لا تقل عن



«١٠» وزد على ذلك تطابق أحد الأصابع العشرة ووجود أحد اليدين لرجل وامرأة .

وبناء على هذا يكون احتمال تطابق اصبعين لشخصين مختلفين هو ١ الى ٤ فى ٤ فى ٤ فى ٣٦ فى ١٢ قوة ٦ فى ١٠ فى ٢ فى ٢ أى : ١ الى ٦٦ر٠٤٥ر١٨٨ر٥٠٥ر٦٠٠ أى ما يقرب من احتمال واحد الى ٢٠ ألف مرة قدر عدد سكان الكرة الأرضية .

المهندس / محمد محب الدين
القصير ـ سوريا

د. أحمد كمال أبو المجد

حتى يكون المد الإسلامي الجديد صحوة حقيقية

يشهد العالم الإسلامي منذ سنوات تياراً قوياً من الشعور الديني ، ومدا لا يخطئه الباحث الاجتماعي أو السياسي في التوجه نحو الاسلام والمناداة بضرورة الاخذ بمبادئه وأحكامه واقامة أمور المجتمع كلها على أساس من شرائعه ونظمه . وقد بدأ هذا التيار هادئا متدرجاً في نموه أول الأمر ، حتى وصفه البعض بأنه مجرد رد فعل طبيعي لنكسة عام ١٩٦٧ ، حاول معه جيل الهزيمة أن يفر «نفسياً» الى أمجاد الماضي .. ولكن سرعة التيار لم تلبث أن تزايدت ، وبدأت مظاهره تصل الى سطح الحياة السياسية والاجتماعية .. كما أخذ أنصاره يتجمعون - على امتداد العالم الاسلامي كله - في أحزاب وجمعيات ، أكثر أعضائها من الشباب المتحمس .. كما أخذت الحكومات تستجيب بدرجات متفاوتة لضغط هذا التيار .. حتى امتد الاحساس به والاهتمام بأمره خارج العالم الاسلامي ، فامتلأت الصحف والمجلات الاجنبية بدراسات عن هذا المد الاسلامي الجديد ، وعقدت في الغرب والشرق عشرات الندوات واللقاءات تناقش الظاهرة الجديدة وتبحث في أسبابها ودوافعها وتحاول رصد معالمها الرئيسية .. كما بدأ الساسة والحكام في الدول الاسلامية وغير الاسلامية يعيدون حساباتهم على أساس تعاظم هذا التيار الاسلامي الجديد ..

ويستوقفنا في الحوار الواسع الدائر حول هذا المد الاسلامي الجديد ، أن كثيراً من الباحثين ، وكثيراً من ممثلي هذا التيار نفسه . يتعاملون معه ومع ظواهره ومكوناته وروافده الفكرية والتنظيمية المختلفة كما لو كانت ظواهر جديدة على تاريخ الاسلام وحياة شعوبه .. مع أن المائة سنة الأخيرة من تاريخ العرب والمسلمين قد شهدت موكبا زاخراً من العلماء والزعماء والمصلحين الذين كانت قضيتهم الكبرى في الحياة هي قضية «الاحياء الاسلامي» .. أو «التمدن الاسلامي» كما سموه .. وهي قضية نستطيع اليوم أن نلخصها في عناصر ثلاثة :

● الاحساس بأن المسلمين توقفوا عن التقدم ، وركنوا الى الجمود .. وانكفأوا فكرياً ونفسياً على الماضي وحده .. وتراجعت أوضاعهم السياسية والاجتماعية .. الى أحوال من السوء والفساد أحدثت سخطاً عاماً لدى عامة المسلمين وزعماء الاصلاح منهم بوجه خاص .

● ملاحظة ما أحرزته أمم أخرى من تقدم وحركة وسبق في مجالات العلم والعمل .. وصناعة الحياة بكل جوانبها ، واحكام لفنون التنظيمات الادارية والسياسية .. وأن هذا التقدم أوجد فجوة واسعة بين «أحوال المسلمين» وأحوال غيرهم .. وقد نقل المعرفة بأوضاع الغرب ومدى تقدمه جيل من الرواد الذين اتصلوا بالحضارة الغربية قراءة واطلاعاً ، أو تجربة ومشاهدة .. من أمثال علي مبارك ، ورفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي ، ومالك بن نبي وكثيرون غيرهم ..

● التوجه الى «تدارك الحال» ، باحداث حركة تقدم اسلامي جديد ، تخرج به الشعوب المسلمة من تخلفها .. لتلحق بركب الشعوب الأخرى من حولها . وفي سبيل هذا التوجه ظهرت عشرات من المدارس والتيارات الفكرية ، متراوحة بين المحافظة الفكرية على «التراث» الاسلامي .. وبين الاندفاعة المحمومة الى التخلص منه ، والتعلق بكل ما هو «غربي» من أسس التفكير ومناهجه .. ومنتجات «الحضارة الغربية» وثمراتها .. ولا نبالغ اذا قررنا أن المائة سنة الأخيرة كانت فترة تفاعل هائل خصب بين هذه التيارات .. وأن الاطلاع الواسع والدقيق على الفيض الهائل من الفكر والتجربة الذي اشتملت عليه حركات «الاحياء» و«البعث» و«التمدن» .. شرط لابد منه لفهم «المد الاسلامي المعاصر» - ولاستشراف توجهاته الرئيسية ، وترشيد حركة القائمين على قيادته وريادته ..

التوفيق بين طرفي المعادلة

وليس من أهداف هذه الدراسة أن نضع أمام القارىء من جديد - معالم هذه التيارات .. وهموم روادها .. ومواضع الاتفاق والاختلاف بينهم .. وإنما نطرح هنا «تصوراً خاصاً لمجموعة الشروط التي نراها ضرورية لتحول «حركة الاحياء الاسلامي» المعاصرة الى «صحوة اسلامية حقيقية» ، قادرة على

تحقيق هدفها الأساسى وهو «تحقيق تقدم المسلمين» عبر صيغة متوازنة تنجو من محاذير «الخروج من الذات» «وفقدان الهوية» ـ كما تنجو من أسر «الانحصار فى التجربة التاريخية» ، والانعزال عن تيار الحياة الذى تتم وسط أمواجه التجربة المعاصرة» .

نعم .. إن الحديث عن «التوفيق» بين الأصالة والتجديد .. حديث معاد .. ولكن يظل صحيحاً .. ان المشكلة الحقيقية التى تواجه كل تجربة من تجارب «الاحياء» و «البعث» ـ ليست فى ابتكار أطراف جديدة لهذه المعادلة .. وإنما المشكلة الحقيقية فى التوفيق «الحقيقى» بين طرفى المعادلة توفيقاً يستند الى أمرين :

الأول : الرؤية الدقيقة للظروف الموضوعية «المعاصرة» التى تحيط بالتجربة ، والقدرة على استخدام «منهج» فعال فى توظيف تلك الظروف لخدمة قيم الحضارة «الاسلامية» ومبادئها ..

الثانى : التحديد الواضح لعناصر «الثبات» و «الحركة» فى «التصور الاسلامى للحياة» .. ذلك أن الاسلام يشتمل على عناصر تثبيت للمجتمع ، كما يشتمل على عناصر تطوير وحركة .. وما لم تحدد هذه العناصر تحديداً واضحاً ، فان تجربة الخروج من التخلف عن طريق صيغة تزاوج بين «الأصالة» والتجديد .. ستظل ـ الى غير نهاية ـ محكومة بصراعات مستمرة ، حول ما يقبل التطوير ، وما لا يقبله .. وما يلزم الابقاء عليه من مكونات «التراث» وما يمكن تجاوزه ..

ويحتاج تحديد الموقف من طرفى المعادلة الى دراسة مستفيضة متكاملة .. ولكنى أرجو ـ فى تواضع ـ أن أضع تحت نظر «الرواد» و «القادة» فى تيار «الاحياء الاسلامى» ملاحظتين أساسيتين تتعلقان بالظروف الموضوعية التى تتم فيها تجربتهم ..

الملاحظة الأولى :

ان تجربة «الصحوة الاسلامية» لا تتم بمعزل عن تجارب الآخرين ومصالحهم .. ومن هنا فليس لروادها من حرية الحركة،



عبد الرحمن الكواكبى

وفرص التجربة والخطأ .. ما يظنون .. اننى أشير فى ذلك الى ظاهرة خاصة وهى أن سنوات المد الدينى فى العالم وفى البلاد العربية والاسلامية هى ذات السنوات التى تعاظمت خلالها القوة الاقتصادية للعرب والمسلمين نتيجة تدفق النفط من أرضهم وزيادة مواردهم المالية المتجمعة من بيع هذا النفط لعالم يتوقف سير حضارته الصناعية وحياته اليومية على ما يصله من ذلك النفط وعلى الثمن الذى يدفعه له .

إن من الضرورى أن يلاحظ رواد «الصحوة الاسلامية» حقيقة التداخل بين هاتين الظاهرتين فى تحريك اهتمام العالم كله «بالمد الاسلامى المعاصر» فلو كان هذا المد مجرد تيار فكرى يتعاظم تأثيره فى دولة فقيرة بعيدة عن بؤرة التأثير السياسى والاقتصادى لما حفلت به غير حفنة من المؤرخين والعلماء المتخصصين .. أما هذا الاهتمام العام فسببه أن الصحوة تقع فى بلاد مؤثرة على العالم ، وعلى الدول الكبرى ومصالحها .. وسببه ـ فوق ذلك ـ أن هذه الصحوة قد بدأت تأخذ أشكالا غير محافظة وغير تقليدية وأنها تعتنق فى تصورها الغالب للاسلام رؤية شمولية وحركية ذات محتوى اجتماعى وسياسى .. يمكن لآثارها أن تمتد الى خارج العالم الاسلامى لتؤثر فى العديد من الأوضاع السائدة خارج ذلك العالم ...

إن معنى هذا كله ـ من الناحية العملية ـ أن نمو تيار «الصحوة الاسلامية» لن يترك ليمارس حركته الحرة .. نمواً وانتشاراً .. وان للعديد من القوى العالمية مصالح أكيدة فى استدراجه الى مواجهة مبكرة تجهض حركته وتوقف نموه .. أو الى معارك داخلية تستغرق تلك الطاقة .. وتبدد الجهد .. وتنتهى به الى الاختفاء التدريجى كما حدث لموجات عديدة عبر التاريخ ..

الملاحظة الثانية :

أن القرن الذى يستقبله المسلمون ، وهم يستقبلون هذا المد الاسلامى الجديد يتميز بظاهرة بالغة التعقيد ، وهى ظاهرة التسارع الهائل فى معدلات التطور العلمى والتقنى .. ان الايام والسنين ليست كلها سواء كما يتصور كثير من دعاة الاصلاح .. والآثار الاجتماعية والنفسية التى تترتب على التطورات العلمية والصناعية حقيقة سوف تواجهها أجيال المسلمين مع أجيال البشرية كلها خلال القرن المقبل .. ومعنى هذا أن تكيف الأفراد والمجتمعات الاسلامية مع الظروف الجديدة التى تولدها تلك التطورات سيغدو عملية بالغة الصعوبة .. لا تفلح فى مواجهتها «القوالب اللفظية» التى اعتاد كثير من المصلحين أن يواجهوا بها مشاكل الواقع المعقد فيما يشبه الاعتقاد بأن «للألفاظ» و «الشعارات» قدرة ذاتية على التأثير فى الواقع وتغييره .. ان محاولة «عزل» المسلمين عن تيار الحياة العامة ، فى عملية تربوية شبيهة بما سلكه عبر التاريخ ـ كثير من الأنبياء والمرسلين .. لم تعد ممكنة ولن تكون ممكنة فى ظل انهيار الحواجز بين الناس والشعوب ، وبسبب قدرة الوسائل التقنية الحديثة والدائمة التطور على اقتحام النفوس والعقول من فوق أسوار الحماية والعزلة على اختلاف أنواعها .

إن هذه الملاحظة لابد أن توضع فى الحسبان عند مناقشة قضية القديم والجديد .. وقضية «الالتزام بالتراث» .. وكذلك بحث الحاجة الى اجتهاد جديد يواجه به المسلمون الأشكال الجديدة للعلاقات والأوضاع والظواهر .. .

مستقبل المد الاسلامى

ونستطيع بعد هاتين الملاحظتين أن

حتى يكون المد الإسلامي الجديد صحوة حقيقية

نعرض مباشرة لشروط أربعة نعتقد أنها تحدد – الى مدى بعيد – مستقبل المد الاسلامى المعاصر وقدرته على أن يتحول الى «صحوة حقيقية» تغير واقع المسلمين ، وتضعهم حيث أراد لهم الله .. خلفاء له فى أرضه .. وقائمين بالعدل والقسط بين خلقه .. وشهداء – بسبب ذلك كله – على سائر الناس .

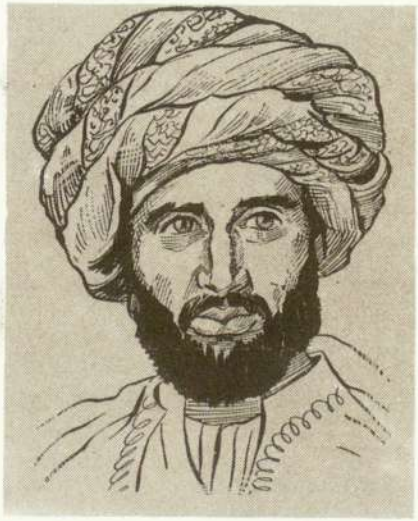
الشرط الأول :

رد اعتبار «العقل» ، ووضعه فى مكانه الصحيح من «التصور الاسلامى» واستخدامه فى ممارسة «الاجتهاد» توصلا الى حلول متجددة للمشاكل المتجددة ..

ونستطيع – دون دخول فى تفصيلات كثيرة يزخر بها تاريخ حضارة الاسلام أن نرصد مستويات أو ميادين ثلاثة طرحت بها قضية «العقل» فى تاريخ الاسلام ..

الميدان الأول : ميدان العقيدة .. وعلم الكلام .. حيث دار بين المعتزلة والأشاعرة خلاف طويل – لم تنقض آثاره – حول دور العقل فى معرفة «الحسن» «والقبح» فى الأشياء والأفعال ، وهو خلاف برز فيه المعتزلة ، فرسانا لا يشق لهم غبار فى تقرير دور العقل ومكانته فى التصور الاسلامى كله .. وجدير بالجيل الجديد من أبناء الاسلام أن يجددوا رؤيتهم لهذا الفصل الرائع من فصول تاريخنا الاسلامى وأن ينفضوا عن عقولهم الغبار الكثيف الذى لف علاقة المعتزلة بغيرهم لأسباب سياسية وشخصية .. وأن يقفوا من الأمر كله وقفة الباحث المتمرد .. والمتجرد من الاحكام السابقة لنفر من القدامى والمحدثين .

الميدان الثانى : ميدان التشريع .. حيث ظهرت فى الفقه الاسلامى مدرستان متقابلتان ، عرفت أولاهما باسم مدرسة الحديث ، وعرفت الأخرى باسم مدرسة «الرأى» .. وكان الفارق بين المدرستين – عند التحقيق – فارقاً فى درجة الاعتماد على المصادر التى تنطوى على



رفاعة الطهطاوى

عنصر عقلى كالقياس والاستحسان والمصلحة .. وان بقيت المدرستان ملتزمتين «بالكتاب والسنة» دون تردد أو تفريط .

الميدان الثالث : ميدان التصور الاسلامى العام ..

إن المسلم المعاصر موزع – فى الحقيقة – بين تيارين ، تيار خائف على الاسلام من دعوات التجديد والتحديث والمعاصرة ، مشفق على مبادئه وتعاليمه وآدابه من أن تنحل عراها واحدة بعد الأخرى تحت دعاوى «استخدام العقل» .. «وتيار» يؤكد فى إلحاح أن ما تركه الأولون لا يكفى ، ولا يغنى فى مواجهة الكثير مما طرأ على أحوال المسلمين وغير المسلمين .. وأن المحافظة الحقيقية على الاسلام وعلى مصالح المسلمين لا يمكن أن تتم على وجهها الصحيح ، إلا اذا قدم الدعاة والفقهاء والمجتهدون حلولا حقيقية للمشاكل الحقيقية .. وأنه لا سبيل لشىء من ذلك إلا باستخدام «العقل» ، والاستفادة من ثمراته ... دون خوف ولا تردد .. وكاتب هذه السطور ، يذكر مع هذا الفريق ، بأن الله تعالى انما أنزل على رسله (صلوات الله عليهم) الكتاب «والحكمة» ، وأن المسلم مطالب باتباعهما جميعاً .. وأنه غير متصور أن تمتلىء آيات الكتاب وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى استعمال العقل .. واعتباره جوهر الانسان كله «ولب» وجوده وتسمية الذين يستعملونه لذلك بأنهم «أولو الألباب» ثم يقف بعض الدعاة منه موقف الخائف والمرتاب .. والله تعالى يقول : «إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون» .. – اننا نسوق هذه الشواهد والأمثلة حتى ينقشع من تفكير الجيل الجديد من المسلمين وهم أن «الدين» مرادف «للنقل» وأن «الكتاب» منفصل عن «الكون» – وحتى يتأكد من جديد فى وعى المسلم المعاصر ولا وعيه على السواء .. ان القرآن كتاب ، وأن الكون كذلك كتاب . وأن النقل دليل ، والعقل كذلك دليل ..

إن جمال الدين الأفغانى – رحمه الله – قد حدد شروط النهضة أو ما سماه «نيل الأمم للسعادة» فى خاتمة رسالته «فى الرد على الدهريين» ، فذكر من بينها «التحرر من التقليد والتعلق بالدليل والاحتكام الى العقل» ..

إن قضية التحرر من التقليد والاحتكام الى العقل تفتح أمام مجتهدينا وأمام جيلنا كله قضية «التراث» ، والموقف من «السوابق» ..

وفى اعتقادنا أن الدعوة الى التجديد ، والتطلع الى تحول المد الاسلامى الى صحوة سيظلان فى نطاق الأمانى والآمال البعيدة المنال ، مالم يصل مجتهدونا الى وضع «السوابق» فى إطارها الصحيح ، باعتبارها «جهداً» إنشائياً فى تطبيق مبادىء الاسلام ونصوصه على وقائع عصر ماض .. وأن الجيل الجديد من حقه أن يكون له جهده الخاص .

ومن واجبه أن يلتفت الى تغيير وقائع عصره هو لا عصور الماضين .. وان الوضع الصحيح «للسوابق» انها «حلول» ، ولكنها لا تدخل بالضرورة لمجرد أنها «قديمة» دائرة الالزام الدينى للأجيال اللاحقة ..

إن الدعوة الى تعطيل العقل ، وتجميد أوضاع المجتمع عند نقطة يختارها بعض الدعاة ، هى نقطة «السوابق» التى يتمسكون بها .. قد ساندتها فى تاريخ الفكر الاسلامى رؤية «فاسدة» أن الأوان لرفضها والتحذير منها ، وهى عقيدة «تراجع الزمان» .. «وازدياد الفساد» وفضل السابقين على اللاحقين ..

إن الأمر لم يقتصر – كما يقول – الامام محمد عبده على مبدأ «الجمود على

الموجود» وإنما أحيط هذا المبدأ الفاسد بجو قاتم من اليأس خلاصته أن «الزمان قد أقبل على آخره، وأن الساعة أوشكت أن تقوم» ويرد عليهم الاستاذ الامام - الذى لازالت أنوار علمه الواسع محجوبة - هى الأخرى - بحجب كثيفة من ضيق بعض العقول، وفساد بعض النفوس، وشوائب اللدد فى الخصومة، وشدة بأس المدافعين عن سلطانهم الذاتى فيما يتصوره «كنيسة لهم» داخل حوزة الاسلام .. يقول الامام محمد عبده فى الرد على هذا الموقف النفسى الفاسد .. «ماذا عرفوا من الزمان حتى يعرفوا أنه كاد ينقطع عند نهايته، ان الذى مضى بيننا وبين مبدأ الاسلام ألف وثلاثمائة وعشرون عاماً وانما هى يوم وبعض يوم أو بعض يوم فقط من أيام الله تعالى. وان آيات الله فى الكون وإن كانت تدل على أن ما مضى على الخليقة يقدر بالدهور الدهارير تشهد بأن ما بقى لهذا النظام العظيم يقصر عن تقديره كل تقدير، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟ إن ما بيننا وبين مبدأ الاسلام لا يزيد عن عمر ستة وعشرين رجلا كل رجل يعيش خمسين سنة .. إن زمناً كهذا لا يكفى .. لاهتداء الناس كافة بهديه» ...

ويزاوج محمد عبده هو الآخر بين العقل والايمان قائلا «لن ينقضى العالم حتى يتم ذلك الوعد ويأخذ الدين بيد العلم ويتعاونا معاً على تقديم العقل والوجدان فيدرك العقل مبلغ قوته ويعرف حدود سلطته. إن نفض التراث، ووزنه بميزان العقل والدليل مهمة جليلة تحتاج الى موضوعية كبيرة كما تحتاج الى شجاعة هائلة، حتى تعلن أن النصوص التى تشتمل عليها كثير من الكتب الدينية فيها الغث وفيها السمين، وأن بينها ما هو غير صحيح ولا معقول ولا منطبق على الكتاب والسنة النبوية الصحيحة» وحتى نجرؤ على التصريح برأينا فى تلك النصوص الفقهية، والجهد بذلك كله من دون جمجمة فى قول أو تقية من ذى صول» .

الشرط الثانى : تصحيح علاقة المسلمين «بالآخرين» ..

وقضية علاقة المسلمين بالآخرين قضية متعددة الجوانب ..



جمال الدين الأفغانى

أ - فهى تشمل علاقة المسلمين بغير المسلمين، فى جانبها «الدولى» إن جاز هذا التعبير، وما اذا كانت علاقة سلام أم علاقة حرب .

ب - كما تشمل موقف المسلمين من غير المسلمين، من حيث جواز الأخذ بثمرات تجاربهم ونتائج اجتهادهم فى أمور الدنيا وعمارتها ..

● ● ●

أ - لقد قسم علماؤنا الدنيا كلها الى دار سلام ودار حرب .. وتصور البعض لذلك أن «القتال» هو الحالة السائدة بين المسلمين وغيرهم .. وأن القطيعة كاملة مطلقة بين المسلم وغير المسلم، وأنه لا سبيل لغير المسلم الى اقتحام حدود «المسلمين» إلا بعقد .. هو عقد الذمة أو عقد الأمان المؤقت ..

وتلك كلها تقسيمات تحتاج الى مراجعة كبيرة .

ويبدو أن فقهاءنا - رحمهم الله - حين صاغوا هذه التقسيمات قد صاغوها وفى خواطرهم أن الزمن لن يطول حتى ترتفع رايات الاسلام على الدنيا كلها . فتكون الأرض كلها دار اسلام .. وفى تصورنا أن العلاقة التى اشار اليها فقهاؤنا لا تزيد كثيراً عن علاقة «عدم الاعتراف السياسى» وأن تأشيرات الدخول الحديثة لا تبعد كثيراً عما سماه فقهاؤنا عقد الامان .. وأن ما عومل به غير المسلمين - فى بعض العهود - من معاملة حملت معها بعض معالم الانتقاص من الكرامة، ومظاهر التصغير والتحقير، انما كانت موقفاً سياسياً يحسب على أصحابه .. ولا يحسب على الاسلام .. وأن للانسان فى الاسلام حقوقاً وكرامة سابقة على تدينه وتميزه .. وأن مجتمع الاسلام لا يمكن ولا يجوز شرعاً - أن تضيع فيه هذه الحقوق .

ب - أما فى شأن الأخذ عن غير المسلمين، والاستفادة بتجاربهم .. فقد آن الأوان لنبذ «الانغلاق» الذى يروج له كثيرون، معتقدين أن الاستمداد ينبغى أن ينحصر في دائرة الاسلام التاريخى والجغرافى .. وما أحسن ما توجه اليه خير الدين التونسى وما سماه « تحذير ذوى الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم فى الاعراض عما يحمد من سيرة الغير الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتعش فى عقولهم من أن جميع ما عليه غير المسلم من السير والتراتيب ينبغى أن يهجر .. حتى أنهم يشددون الانكار على من يستحسن شيئاً منها» .

وما أدق قول المواق (المالكى) : ان ما نهينا عنه من أعمال غيرنا هو ما كان على خلاف مقتضى شرعنا، أما ما فعلوه على وفق الندب .. أو الاباحة، فانا لا نتركه لأجل تعاطيهم إياه، لأن الشرع لم ينه عن التشبه بمن يفعل ما أذن الله فيه «وقد لخص الفقيه الحنفى الأشهر ابن عابدين ذلك كله بقولة : ان صورة المشابهة فيما تعلق به صلاح العباد لا تضر .

ومعنى هذا أن الموقف اليوم تجاه ما يسمى فى مجموعة .. الآراء والمذاهب «المستوردة» ، يحتاج الى اعادة نظر شاملة .. تبرأ من الأوهام والمخاوف والتعميمات الفاسدة التى ولدت وتمت فى جو نفسي من العصاب والعقد والهلع من «الغير» .. وتستند بدلا من ذلك الى ثقة بالنفس وقدرة على الفرز الموضوعى والاختيار المعتمد على معايير من قيم الاسلام ومبادئه ورؤيته لمصالح الناس ..

ولا أريد أن أطيل فى هذا كله، فالحق فيه واضح معروف، وقول النبى صلى الله عليه وسلم «الحكمة ضالة المؤمن» صحيح يتناقله الاقدمون والمحدثون ... ولا ندرى كما يقول خير الدين : «كيف يسوغ للعاقل حرمان نفسه مما هو

حتى يكون المد الإسلامي الجديد صحوة حقيقية

مستحسن فى ذاته ، ويستسهل الامتناع عما به قوام نفعه بمجرد أوهام خيالية واحتياط فى غير محله .

الشرط الثالث : مراعاة «الحرية» فى تربية الافراد ، وسياسة «المجموع» .

وبقدر ما غابت أهمية الحرية عن مفكرى الاسلام فى عهود ما قبل النهضة الاسلامية الحديثة .. وحلت محلها «فكرة الطاعة» محوراً أساسياً للعلاقات داخل الاسرة ، وفى علاقات المعلم بالمتعلم بقدر ما انتبه كثير من دعاة

الاصلاح المحدثين الى أن الحرية هى روح الدين .. وأنه بفقدانها تفقد الآمال وتبطل الاعمال وتموت النفوس وتتعطل الشرائع وتختل القوانين .. ولا نتردد لحظة من زمان فى الانضمام الى زمرة العلماء من أصحاب هذا الرأى منكرين على نفر من علمائنا غريب ما انتهوا إليه من آراء فى أمور السياسة زينت لكثير

من الدعاة أن يستبدوا بالرأى .. .. ان هذه الروح المحافظة وصفها الكواكبى أحسن وصف وأدقه بأنها «المحافظة» على الحالة الجارية وان كانت سيئة هى المسئولة عن ضياع الحرية .. وضياع الحرية ، هو بدوره المسئول عن أكثر ما طرأ على المسلمين من فساد وانحطاط ..

ولا نعرف فى اللغة العربية وصفا دقيقاً لما يفعله الاستبداد وغياب الحرية بالفرد والجماعة ، كالذى يقدمه الكواكبى فى طبائع الاستبداد .. وحسبنا أن نقرأ قوله الاستبداد يقلب السير من الترقى الى الانحطاط ومن التقدم الى التأخر ،

ومن النماء الى الفناء ، ويلازم الأمة ملازمة تبلغ بها حطة العجماوات فلا يعود يهمها الا حفظ حياتها الحيوانية .. بل قد يبلغ فعل الاستبداد بالامة أن



على مبارك

يحول ميلها الطبيعى من طلب الترقى الى طلب التسفل ، بحيث لو رفعت الى الرفعة لأبت وتألمت كما يتألم الأجهر من النور ، واذا ألزمت بالحرية تشقى» وحين نضع هذه الحقائق فى اطارها المعاصر .. فاننا نقول ان احساس أكثر «الحركات الاسلامية المعاصرة» بقيمة الحرية احساس ناقص .. ووعى كثير من الدعاة والمصلحين بعقم محاولات الاصلاح فى غياب حرية الفرد وعى محدود .. مع أن الحرية أساس التكليف ومناطه .. وشرط الامر بالمعروف وأساس القدرة على ممارسته .. كما أنها فى النهاية ضمان الرشد الوحيد عند بذل الاجتهاد الفردى والجماعى من جانب الحاكم والمحكوم على السواء ..

ان مشاكل المسلمين فى «مرحلة الصحوة» كثيرة ومعقدة .. وبغير الحرية ، قيمة ، ومبدأ .. فان احتمالات التعثر والانحراف تبقى هائلة ومخيفة

الشرط الرابع : الحرص على ترتيب الاولويات فى الدعوة الى الاسلام ... وفى تطبيق أحكامه ومبادئه ..

إن المشكلة ـ فى جوهرها ـ تتمثل فى اصرار الدعاة والمصلحين باسم الاسلام على أنه ما دام الله تعالى قد أكمل الدين واتم النعمة .. فان الالتزام بأحكام الاسلام .. لا يفرق فيه بين حكم وحكم ، ولا بين ميدان وميدان وأن مشاكل الزى والحجاب وسماع الموسيقى والغناء . تستوى فى وجوب الاهتمام بها مع قضايا الشورى فى الحكم ، والعدل بين الرعية وفى توزيع الثروات ..

إن المعيار الوحيد الذى ترتب به أولويات الامور عند هذا الفريق معيار شكلى نصى خالص يدور أساساً حول درجة ثبوت النص .. وفات هؤلاء أن الأمر لا يمكن ـ عقلا ومنطقاً وبداهة ـ أن يكون كذلك .. فقد يثبت حكم فى مسألة فرعية أو ثانوية بدليل أقوى وأوضح من دليل يثبت به حكم آخر فى مسألة تتعلق بالاساسيات ..

ولا يمكن فى هذا المقام أن يعتد بقول قائل ان التدرج والترتيب غير جائزين بعد انقطاع الوحى .. وأن المتبع لا يجوز له الابتداع بالتمييز ـ فى الأهمية ـ بين الاحكام .. لا يقال مثل هذا ، ولا يعتد به لأن الأمر ـ كما نقول دائماً ـ ليس أمر تدرج فى التشريع ، وانما هو تدرج فى البيان واتباع للحكمة والموعظة الحسنة عند دعوة الناس الى الحق ..

إن ترتيب الاولويات على أساس موضوعى من التمييز بين الضرورات والحاجيات والتحسينات .. وترتيب المصالح .. وترتيب المفاسد .. والترجيح بين المصالح المقصودة .. والمفاسد التى يراد درؤها كل ذلك شرط من شروط فاعلية الدعوة والدعاة ، وجدوى التشريع والتنظيم .. ان هموم الدعاة لا يجوز أن تتحدد بعيداً عن هموم الناس واهتماماتهم .. والخلل فى ترتيب الاولويات حاجز للعقول والنفوس عن الاستجابة للدعاة كما أنه يقطع «مد الصحوة الاسلامية» عما يحيط به من واقع .. ومن انقطع عن الواقع تعثر وزل .. والله تعالى يقول : «يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا » ..

وبعد ..

فهذه شروط أربعة .. بغيرها ـ فيما نرى ـ يتعثر المد الذى نعايشه للفكر وللاحياء الاسلامى .. ويتعذر عليه أن يخوض المعارك العديدة التى تنتظره مع الظروف المعقدة الجديدة ، ومع القوى العديدة التى تحرص على محاصرته وعزله ووضع العقبات المردية فى طريقه ..ولم يعد حسن نية الدعاة والمصلحين عذراً لهم عن أخطاء التكتيك ، وعن سوء الحساب ... والله تعالى يحب أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه .. ومن اتقانة اعداد العدة له على أكمل الوجوه .

د. أحمد كمال أبو المجد

د. محمد جابر الأنصاري

زاوية الرأي



مسئوليات تنتظر الصحافة الثقافية

عندما بدأت النهضة العربية الحديثة فى القرن التاسع عشر ، كانت الصحافة الثقافية ، والمجلات العلمية والأدبية ، هى عمادها ووسيلة انتشارها قبل عصر الجرائد اليومية السيارة وقبل عصر الاذاعة والتلفزيون . وكانت أعمدة النهضة الأخرى من بعوث وجامعات وتصنيع وعمران تخلق الأفكار الجديدة التى تصب فى مجرى الصحافة الثقافية وتتخذ من المجلات الفكرية وسيلتها للظهور وللوصول الى أكبر قدر من الناس ، فيتعمق بالتالى أثر النهضة ويتسع .

وأى تأريخ اليوم للنهضة الحديثة فى الوطن العربى لا يمكن أن يغفل التراث الحضارى القيم الذى أبدعته وخلفته مجلات مثل «الهلال» و «المقتطف» و «الجامعة» وغيرها من المجلات التى تركت بصماتها على صفحة النهضة المبكرة ، وصولا الى عهد مجلة «الرسالة» التى صدرت بين ١٩٣٣ ـ ١٩٥٣ ومثلت مدرسة كاملة فى الأدب والقومية والاجتماع ، والروح النقدية الرصينة ، وخلفت جيلا من الأدباء والمفكرين ورجال الكلمة .

ولكن انشغال الوطن العربى بقضاياه السياسية المرحلية الملحة أدى الى تغليب جانب الصحافة السياسية الاخبارية اليومية التى تنقل أنباء التطورات ووجهات النظر ، وتمثل وسيلة من وسائل الصراع السياسى بين مختلف الاتجاهات .

وانشغل الناس بمتابعة الصحف السياسية ، وأخذت المجلات الأدبية والعلمية تتوقف واحدة بعد الأخرى ، فاختفت مجلة «الثقافة» لأحمد أمين ، ومجلة «الكاتب المصرى» لطه حسين ؛ وجاء توقف مجلة «الرسالة» بقرار من صاحبها أحمد حسن الزيات عام ١٩٥٣ بمثابة المؤشر التاريخى على انتهاء عصر زاهر من عصور الثقافة العربية التى نذرت نفسها لخدمة النهضة العربية فوق كل الاعتبارات الأخرى من سياسية ومصلحية وغيرها .

وزاد الاهتمام بالصحافة السياسية المباشرة ، وصارت الحقيقة العلمية والمعرفة بكل أنواعها فى خدمة موضوع الجريدة اليومية الذى يأتى فى الأغلب مقتضباً ومجزوءاً يخدم وجهة نظر الجريدة المعنية ، أكثر مما يخدم التنوير الحضارى العام للأمة ، مما أدى الى انتشار السطحية فى التفكير . ورغم ظهور مجلات ثقافية عربية جامعة كالآداب اللبنانية عام ١٩٥٣ ، وكالعربى الكويتية عام ١٩٥٨ ، إلا أن الاهتمام بالصحافة السياسية ظل هو الغالب فى العقود الأخيرة .

ولكن الأوضاع العربية الراهنة تشير الى أن الصحافة السياسية بدأت بدورها تتعرض للأفول ، وتواجه أزمات غير يسيرة . فاليوم لا نجد جريدة سياسية عربية تستطيع دخول كل بلد عربى والوصول الى كل القراء العرب ، كما كانت جريدة «الأهرام» مثلا قبل خمس عشرة سنة .



أحمد أمين



طه حسين



أحمد حسن الزيات

وأصبحت الصحافة السياسية ، سواء ما صدر منها فى البلاد العربية أو ما هاجر الى الخارج ، متقيدة ليست بقيودها المكانية الضيقة فحسب ، بل باعتبارات كثيرة بحساسية الأوضاع العربية الدقيقة والصعبة ، مما أدى الى تضييق مدى رسالتها وتأثيرها ، رغم كثرتها وتزايد عددها ، ورغم اهتمام بعض البلاد العربية بتطوير صحافتها ومدها بالدعم والمساندة .

ويبقى بالطبع ، مع هذا ، مجال ما للصحافة السياسية ، ولكنى أرى على ضوء ما تقدم أن الصحافة الثقافية المتجردة ، والبعيدة عن حساسية الأحداث ، هى المرشحة اليوم للقيام بالدور الرائد الذى قامت به فى مطلع النهضة العربية ، وذلك لعدة أسباب :

أولها ، ان الأزمة المصيرية الشاملة التى يعانيها الوطن العربى تحتاج الى عودة فكرية عميقة للجذور وللحقائق الأساسية فى تكوين النهضات وتصحيح مسارها واستنهاض المجتمعات والأمم من كبواتها وعثارها ، وهذا يحتاج الى معالجة ، بل معالجات علمية وفلسفية هى من صميم اختصاص المجلات الثقافية ، بما يتجاوز أية معالجة صحفية يومية أو أسبوعية عابرة . وهو دور يشبه دور «الموسوعيين» فى نهضة أوربا .

وثانيها ، ان المجلة الثقافية ، بتجردها والتزامها العلمى والموضوعى هى وحدها القادرة اليوم على الوصول الى أى بلد عربى ومخاطبة كل مواطن عربى ، بلغة البحث والعلم والثقافة ، وبصورة تمكنها من اجتياز حدود التفرقة لاعادة الوحدة الى العقل العربى تمهيداً لاعادة الوحدة المأمولة الى الجسم العربى كله .

إذا صحت هذه الرؤية ، فان المجلات الثقافية ينتظرها دور كبير ، بل رسالة حيوية ، للمساهمة فى تصحيح مسار النهضة العربية ، كما فعلت فى بداياتها قبل مئة سنة .

وهذا يجعل مسئولية القائمين بأمر المجلات الثقافية مسئولية فى غاية الأهمية ويتطلب منهم أرفع مستويات الكفاءة الفكرية ، والالتزام الخلقى والحضارى الرصين والجاد ، للاضطلاع بعبء هذه الرسالة التى تأتى فى مقدمة متطلبات الاحياء العربى المنتظر .

"الدوحة" تفتح باب الحوار

فلنبسّط

● يا علماء اللغة العربية قولوا رأيكم في

تفتح «الدوحة» ابتداء من هذا العدد باب الحوار حول هذه القضية الحساسة وهي قضية اللغة العربية التي شغلت الباحثين والدارسين في الجامعات والمجامع العلمية منذ أواخر القرن الماضي وسوف تنشر الدوحة كل ما يصلها من مناقشات وتعليقات حول قضية تبسيط اللغة العربية ، ونرجو أن تدور كل المناقشات بجرأة وحرية وصراحة حتى ننقذ لغتنا من المأزق الذي تعانيه في نحوها وصرفها وصلتها بالجيل الجديد الذي أوشك أن ينفصل عنها انفصالا نهائياً ..

ضعف العرب في لغتهم العربية ظاهرة غريبة تسترعي الاهتمام ، وتستوجب المعالجة الجادة العميقة . والشكوى من هذا الضعف وأسبابه تشغل أذهان المخلصين من علماء اللغة ومن محبيها، وقد رافقت أجيالا منهم ومن تاريخ هذه الأمة ؛ ومن أجلها عقدت عشرات المؤتمرات والندوات والاجتماعات ، وما تزال تعقد في كل بلد عربي ، وفيها كتبت أكداس من الورق المحبر وعشرات من الكتب ، وماتزال تكتب ؛ ولكن هذه كلها ظلت الى اليوم مجرد أبحاث وتوصيات لا تجد من يتابع تحقيقها .

وأسباب الضعف عديدة ، ولكنني أود أن أعالج ههنا واحداً منها ، هو صعوبة قواعد الصرف والنحو التي تقدم للطلاب في مختلف الصفوف . هذه القواعد المدرسية لا تتوخى فيها السهولة ، ولا مقدرة الطالب ، ولا المواد العديدة المرهقة التي يدرسها ، ولا مدى ادراكه ، ولا قواعد التربية الحديثة . وفي حين نرى أن كتاب القواعد الانكليزية طوال مدة الدراسة كتاب صغير الحجم ، يقتصر على الأهم من القواعد الأساسية، وبطريقة مبسطة جداً ، نجد أن لكل صف من الصفوف الاعدادية والثانوية وبعض الصفوف الابتدائية ، كتاباً خاصاً في القواعد يختلف عن كتب الصفوف الأخرى ، والقواعد فيه كثيرة ومعقدة ومطولة ومرهقة . وحين يقارن الطالب بين سهولة ما يدرسه من قواعد اللغة الأجنبية وقلته ، وصعوبة ما يدرسه من قواعد اللغة العربية وكثرته، يجد نفسه أقدر على هضم القواعد الأجنبية منه



● أطفالنا في المدارس .. لماذا يتولد لديهم الشعور بالعداء للغة العربية ؟

على العربية . وهذا يولد لديه شعوراً بالعداء للغته العربية . ولهذا نجد أن عدد الطلبة الممتازين في قواعد العربية قليل ومحدود جداً بين خريجي المدارس الثانوية عندنا ، وبين خريجي الجامعات كذلك . ونحن نعلم أن عدد الذين يستطيعون كتابة رسالة قصيرة بالعربية دون أخطاء لغوية وإملائية قليل جداً حتى بين خريجي الجامعات ، فكيف بالذين يستطيعون الحديث بالفصحى حديثاً سليماً ؟؟

ولننظر نظرة سريعة في صعوبات قواعد الصرف ، وقواعد النحو ، على سبيل التمثل فقط لا الحصر ، لعلنا نتوصل بعد ذلك الى محاولة معالجة الداء واقتراح العلاج له .

حول هذه القضية

اللغة العربية

د. عيسى الناعوري

هذه القضية حتى لا تتعرض لغتنا للموت

● ما الفائدة أن يعرف الطالب أن "جاء" أصلها "جَيَأ" و"قال" أصلها "قَوَلَ" وأن "ميزان" أصلها "موزان" وأن "باب" أصلها "بَوَبَ"..؟!

● في كل اللغات الحية جمع واحد، ونحن عندنا: جمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم، وجمع التكسير، واسم الجمع، ومنتهى الجموع

● ماذا يعني الإعلال والإبدال والقلب والإدغام..؟

جموع التكسير

أبدأ أولا بقواعد الصرف، وبجموع التكسير منها. والمعروف أن القسم الأكبر من جموع التكسير شاذ وسماعي، وليس من الممكن جمعه في قاعدة واحدة ولا قياس واحد. ولابد من تيسير الأمر على الكاتب والمتحدث، فكلاهما يجد نفسه مع هذه الجموع في غابة متشابكة يضيع فيها حتى أكثر الناس ذكاء، وأحدهم بصراً، وأوسعهم حافظة؛ وقد تضيع فيها حتى المعاجم اللغوية أحياناً ولذلك نراها تورد جموعاً متعددة للفرد الواحد.

والقواعد والقواميس ليست نصوصاً منزلة، بل وضعها أناس مجتهدون مثلنا لتكون وسيلة لا غاية، وكانوا متفرغين لها العمر كله، ولا تشغلهم عنها دروس ولا واجبات أخرى؛ ثم انهم وضعوها لعقولهم "الكبيرة المدركة، ولطلاب كبار في العمر، يسهل عليهم فهمها واستيعابها؛ ولا سيما أنهم كانوا ندرة، ولم يكونوا عشرات في الصف الواحد، ولا كانوا يقضون على مقاعد الدراسة اثني عشر عاماً أو أكثر. والذين اجتهدوا في اللغة من قبل، وفي بواكير العهد الاسلامي قبل ثلاثة عشر قرناً، يكون من العقوق لهم، وللغة نفسها، أن نقف عند اجتهاداتهم، ونغلق باب الاجتهاد دون أنفسنا، ونحن اليوم أوسع اطلاعاً على علوم الماضي والحاضر، ولنا من وعينا ما يشفع باجتهادنا، وانفتاحنا الواسع اليوم على لغات الدنيا يعطينا هذا الحق في الاجتهاد، لأجل تطوير لغتنا بحسب الزمان الحاضر، لمصلحة اللغة.

التشويش والتعقيد

ونحن لدينا مع الجموع مشاكل كثيرة فاذا كان في اللغات الحية الأخرى شيء واحد اسمه (الجمع) ـ ومعه في كل لغة بعض الشواذ ـ وشيء اسمه (المفرد)، فنحن لدينا الفرد، والمثنى بكل تعقيداته الاعرابية، للمذكر وللمؤنث، ولدينا جموع متعددة متنوعة: جمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم، وجمع التكسير، واسم الجمع، ومنتهى الجموع أو جمع الجمع؛ ولبعض هذه الجموع قواعد شديدة الصعوبة والتعقيد. واذا لم يكن من الممكن تغيير هذه الجموع أو الاقلال منها؛ فليكن من

"الدوحة" تفتح باب الحوار
حول هذه القضية

فلنبسط اللغة العربية

الممكن ـ على الأقل ـ التساهل فى تقديمها للطلاب بأقل ما يمكن ، وأسهل ما يمكن من القواعد والتعريفات والوجوه والتخريجات التى لا يمكن أن يطيقها الطالب بأى حال . وهذا لن يضير اللغة فى شىء ، بل على العكس ، سيساعد على تقريبها وتحبيبها الى الطالب .

والاعلال والادغام ، والقلب والابدال ، وقواعدها العسيرة .. والأسماء والأفعال المهموزة التى لم تتفق القواعد ولا المعاجم ولا العلماء على طرائق كتابتها ؛ وقواعد تصريف الأفعال المعتلة ، والأفعال المضاعفة ، والأفعال المهموزة . هذه كلها ليس من الممكن أن تدخل فى دماغ الطالب ، حتى فى المرحلة الجامعية ؛ واذا كان لابد من بقائها ، فمن الخير أن تترك ليدرسها المتخصصون فى الدراسات العليا الجامعية فقط . وما الفائدة من أن يعرف الطالب أن (جاء) أصلها (جيأ) و (قال) أصلها (قول) وأن (ميزان) أصلها (موزان) و (باب) أصلها (بوب) وأن (ضم) أصلها (ضمم) .. الخ ؟

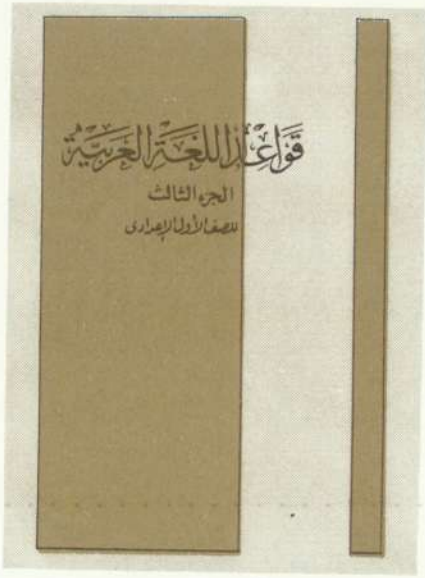
ولماذا يجب أن يتعلم الطالب أن الهمزة فى الاسم الممدود قد تكون أصلية، وقد تكون زائدة أو مقلوبة ، وأن لكل حالة قواعدها ، وأن المثنى والجمع والنسبة فيها تختلف فى كل حالة بين بقاء الهمزة أو ردها الى أصلها ، أو جواز الحالين ؟

والتصغير والنسبة بكل وجوههما الصحيحة والشاذة ؟ والمعرب والمبنى ؛ وقواعدهما وعلامات الاعراب والبناء الكثيرة المتشابكة والتى لا تقف عند حدود معقولة ، سواء فى الأفعال أو فى الاسماء ؛ ثم الافعال اللازمة والمتعدية ، والافعال الخمسة ، والافعال المبنية فى حالات اعراب مختلفة ، وأفعال القلوب التى تتعدى الى أكثر من مفعول واحد ، والافعال المتصلة بالضمير ، والافعال المعتلة الآخر ، وغيرها ؟ واسم الفعل ، والفعل الجامد ؟ والمصادر : مصادر الفعل الثلاثى ، ومصادر الفعل الرباعى ، والمصدر المؤول من (أن) وفعلها المضارع أو من (ما كان ـ ما يكون) للتعجب فى الماضى والمستقبل .

وحركة عين الفعل المضارع التى يضطر معها حتى العلماء الى مراجعة القواميس المختلفة للتأكد من انها مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة ؟ وهمزة الوسط التى لم تتفق حتى المجامع اللغوية بعد على طريقة كتابتها ، ومايزال بعض العلماء يكتبونها على نبرة ، وبعضهم منفصلة وبعضهم على واو ... أليس هذا أثراً واحداً من آثار التشويش والتعقيد فى قواعد اللغة ؟

الزمن تغير !

هذا فى الصرف وحده ـ وهو قليل من كثير جداً ـ وحين نجيء الى النحو نجد أنفسنا فى غابة أخرى متشابكة ومعقدة: فقواعد النحو مبالغ جداً فى كثرتها وفى شدة تعقيدها . من ذلك ، مثلا ، ولمجرد بيان الصعوبة : وفرة عدد المفعولات ـ أو المفاعيل ـ والملحقات بالمفاعيل : المفعول به ، والمفعول فيه ، والمفعول لأجله ، والمفعول معه ، والمفعول المطلق ، ونائب المفعول المطلق ، والحال ، والتمييز ، والنداء ، والاستغاثة ،



● أحد كتب قواعد الصرف والنحو الذى يدرس فى مدارسنا .

والندبة ، والترخيم ، والاختصاص ، والاشتغال و ـ بلية البلايا ـ الاستثناء . هذه كلها يمكن أن نطلق عليها اسما واحداً هو (المفعول) ونحدد أغراضه بيسر تام ، دون دخول فى تعقيدات القواعد العجيبة التى يضيع فيها المعلم والطالب على السواء . والتى تكثر فيها التأويلات والتخريجات والجوازات . بين البناء حيناً على علامة رفع أو نصب واعتبار فعل الأمر حيناً بمعنى الماضى (فى التعجب) وجواز الاستثناء بالا . وغير . وسوى . وماعدا . وماخلا . ولاسيما . وما الى ذلك مما لا نهاية له . ولكل شىء وجوهه وتخريجاته العجيبة التى لا تنتهى .

ثم هناك البدل وعطف البيان ، وما بينهما من لبس كثير . والمبتدأ والخبر وما فيهما من قواعد التقديم والتأخير وجوباً أو جوازاً ، ومن حالات المفرد ، والجملة الاسمية ، والجملة الفعلية ، وشبه الجملة . ثم ما يلحق بهما ويختلف عنهما اسم وخبر للافعال الناقصة ، وأفعال المقاربة . وأحرف التشبيه . ولا النافية للجنس : فهذه كلها تعقيدات مبالغ بها كل المبالغة ، وأقل القليل منها يكفى لضبط اللغة وتيسيرها على المدرس والدارس ، لكى نضمن حب الناس للغتهم وإقبالهم على تعلمها ، ولكى نضمن أن لا يجد الطالب سهولة فى اللغات الأجنبية يفتقد مثلها فى لغته .

واذا كانت قواعد الصرف والنحو قد وضعت فى القديم لأجل نخبة من الدارسين ، الذين لم يكونوا يدرسون غير قواعد اللغة والدين ، وكانوا فى الغالب كباراً ناضجين يمكنهم أن يدركوا ويناقشوا ما يقدم لهم ، وكانوا قلة نادرة ممن يشعرون بحاجتهم الى العلم فيتلقونه على الشيوخ المتفرغين له ، فالزمن اليوم تغير ، وكل طفل أصبح بحاجة الى العلم ، يذهب ليتلقاه فى سن لا يستطيع معها أن يدرك أو يناقش أو يستوعب . وهو لا يدرس اللغة وحدها ،

● لماذا كل هذا التعقيد والتشويش في قواعد اللغة ؟

● حين نجيء الى النحو نجد أنفسنا في غابة عجيبة ومتشابكة !

بل يحمل من الدروس فوق طاقته .

نحن اذن بحاجة ماسة الى تطوير لغتنا ، بتسهيل قواعدها ، واختصار هذه القواعد الى الحد الأدنى الذى يمكن معه ضبطها دون تعقيد ، ودون فلسفات لغوية ، ودون دخول فى تفصيلات لا آخر لها ، ودون حاجة الى التأويل والتخريج ، وكثرة الوجوه والجوازات التى لا مبرر لها ؛ إن الاكثار من النصوص الجيدة هو وحده الوسيلة لترسيخ اللغة السليمة فى الذهن .

لغة حياة

إننا نريد أن تكون العربية الفصيحة لغة حياة : أعنى لغة تخاطب عامة بين العربى والعربى ، وبين العربى وغير العربى ، مثل لغات سائر الشعوب الحية ؛ ولا نريد لها أن تكون لغة كتابة وخطابة فحسب . واقتصار لغتنا على كونها لغة كتابة وخطابة يجعلها (نصف لغة) فقط ، أو يجعلها قريبة الشبه باللاتينية التى كانت لغة كتابة وخطابة فقط فى القرون الوسطى ، لا لغة حياة واستعمال يومى ، ولذلك زالت عن المكان العلمى الذى كان لها ، ودخلت الى بعض الكنائس فقط ، وانعزلت وأصبحت مهجورة ميتة .

المطلوب اذن هو :

● الاقلال من القواعد والتسليمات والقياسات والتفريعات والتخريجات والجوازات .

● تبسيط أسلوب العرض ليتلاءم مع سن الطالب ووقته ومدى استيعابه .

● البعد عن التعقيد ، لئلا تظل قواعد اللغات الأجنبية أحب الى الطالب من لغته ، وأسهل منها على التعلم .

● تمكين الطالب من ضبط لغته بيسر وبساطة ، لكى تصبح مع الزمن لغة تخاطب لديه ، لا لغة كتاب ومدرسة ، ومع الزمن نضمن شيوعها على ألسنة الأجيال المقبلة .

هذه كلها تتطلب أن يتفرغ لهذا العمل الخطير جدا عدد كاف من (المربين) الذين يمارسون تعليم العربية فى مختلف مراحل الدراسة العامة فى الوطن العربى كله ، وليس من علماء اللغة ؛ لأن هؤلاء لم يعودوا فئة مؤهلة للنزول الى مستوى عمر الطالب وادراكه المحدود ، وقد أصبحت اللغة لديهم (غاية) يصعب عليهم التساهل فى تفاصيل قواعدها وفقا لأصول التربية الحديثة ، وليس فى وسعهم تبسيطها حتى لو أرادوا ذلك . القادرون على القيام بذلك هم المربون الذين يعيشون فى جو الطالب ، ويكافحون فى قلب المعترك ، ويعرفون مدى إدراك الطالب ، ومدى إرهاقه بالمواد الدراسية فلا يحاولون أن يزيدوه إرهاقا على إرهاقه ، فيكره لغته وينفر منها — كما هو الحال اليوم — .

هذه دعوة الى وزارات التربية والتعليم فى العالم العربى كله ، والى المجامع اللغوية . عسى أن تجد سبيلها الى الأسماع الحريصة على هذه اللغة الشريفة المجيدة .

عيسى الناعورى

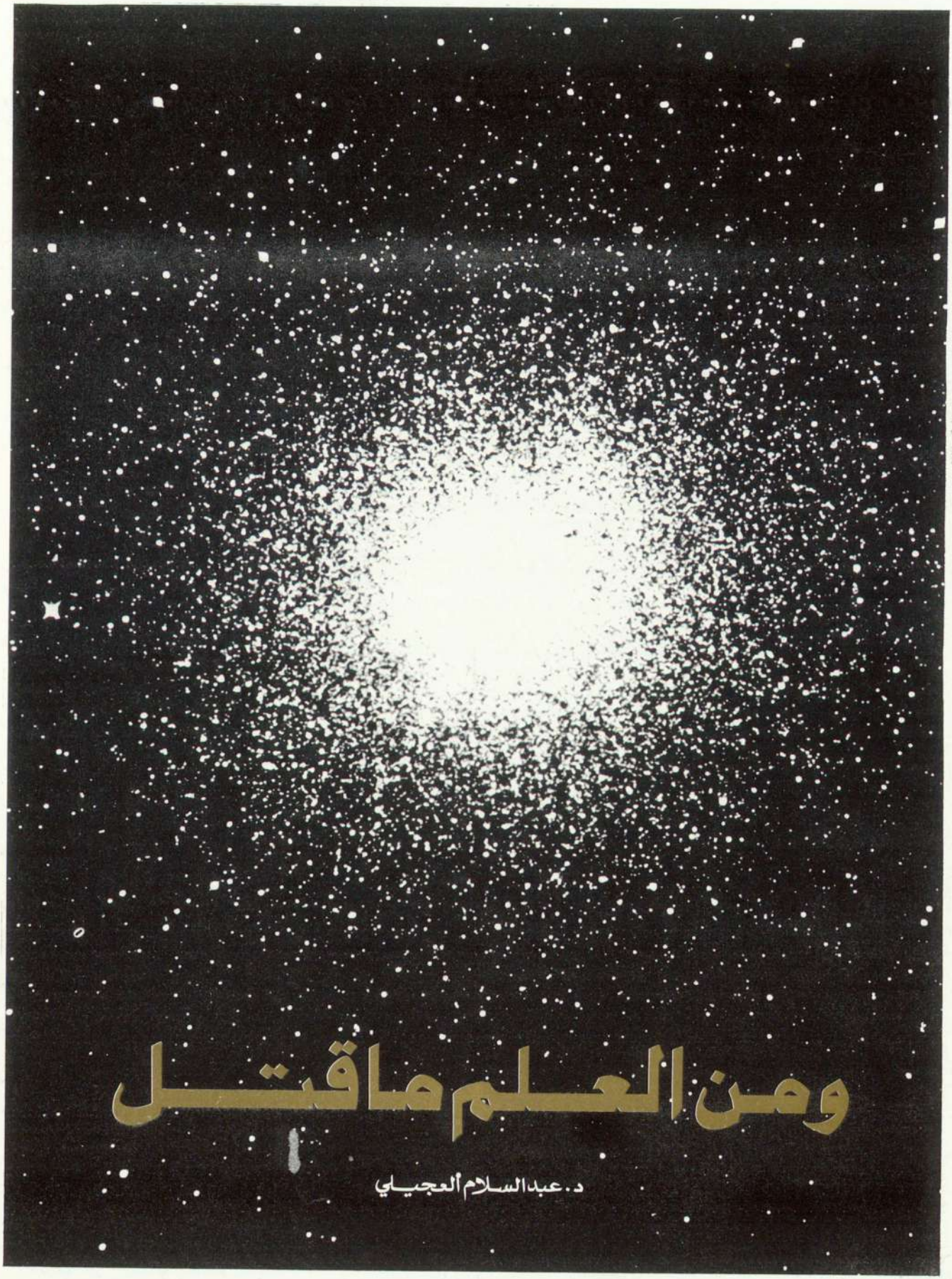
● لكى تكون اللغة العربية لغة حياة واستعمال يومي ، لا لغة كتابة وخطابة

الإقلال من القواعد والتفريعات والتخريجات والجوازات .

تبسيط أسلوب العرض ليتلاءم مع سن الطالب .

البعد عن التعقيد ، لئلا تظل قواعد اللغات الأجنبية أحب إلى الطالب من لغته ، وأسهل منها على التعليم

تمكين الطالب من ضبط لغته بسهولة ويسر .



ومن العلم ما قتل

د. عبد السلام العجيلي

– .. ومن أوائل الذين قتلهم العلم كان سنمار . لابد انك سمعتهم يقولون جازاه جزاء سنمار . سنمار هذا قتله علمه قبل ألف وخمسمائة عام . كان مهندساً بارعاً بنى لملك الحيرة النعمان بن امرىء القيس قصر الخورنق . وعندما انتهى البناء صعد الملك الى سطحه فأعجبه فقال : ما رأيت مثل هذا قط . فقال سنمار : إنى أعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله . فقال النعمان : أيعرفها أحد غيرك ؟ قال : لا . قال النعمان : إذن لأدعنها وما يعرفها أحد ! ثم أمر به فقذف من أعلى القصر الى أسفله ، فتقطع ...

وهكذا كان الفيلسوف يحدث صاحبه الطبيب وهو يعدد مضار العلم وفضائل الجهل . بالطبع لم يحمل الطبيب كلام صاحبه على محمل الجد فضحك وقال له

– كيف تريد أن تقنع الناس فى هذا العصر المنير بأن يرتدوا الى الجهل بعد أن جاوزوا بعلمهم كل الحدود ؟

قال : الأصح أن تقول بعد أن جاوزوا بجهلهم كل الحدود . فانت تظن الناس فى هذا العصر قد ازدادوا علماً ، وأنا أقول لك بأنهم ، على العكس ، قد ازدادوا جهلا ...

قال الطبيب : كيف ؟

قال الفيلسوف : كانوا يجهلون القليل فلما علموا أصبحوا يجهلون الكثير . اضرب لك مثلا : كم تظن عدد نجوم السماء ؟

قال الطبيب : وما يدريني بهذا العدد ؟

قال صاحبه : انا اقول لك ، عدد النجوم التى تراها العين المجردة خمسة آلاف نجم . ماذا كنا نعرف عن هذه النجوم ؟ لا شيء أكثر من انها نقاط مضيئة أغلبها ثابت وقليل منها سيار . ثم جاء العلم بالتلسكوب ومقياس الطيف ومرصد بالومار ومحطة الاستماع الفلكية فى جودرال بانك ، فأصبحنا نعرف بعض التفصيلات عن عشرين نجماً . ولكننا بالمقابل اكتشفنا أن فى السماء خمسة ملايين نجم لم تكن تراها أعيننا ، فأصبحنا نراها دون أن نعرف عن كنهها شيئاً . هذا عدا ملايين الكواسار ...

فقاطعه الطبيب متسائلا : الكواسار ؟ ما هذه ؟

قال : هذه هى العوالم التى اكتشفت مؤخراً والتى يسمونها أشباه النجوم . ما علينا .. لا أريد أن أزيدك علماً لئلا تزداد جهلا . بالاختصار ، كنا بدون علم نجهل ماهية خمسة آلاف نجم فقط ، فلما صرنا علماء أصبحنا نجهل ماهية أربعة ملايين وتسعمائة وتسعة وتسعين ألف وتسعمائة وثمانين نجماً .. أما كان الجهل أحسن لنا اذن ؟

سم النقانق

سكت الطبيب مفكراً ، فقد كان منطق صاحبه الفيلسوف يدعو حقاً الى التفكير بينما أردف هذا يقول :

– أسألك أنت ، ألم يقدك علمك مرة الى الشعور بجهلك العميق ؟

فأجاب : بل كثيراً ما شعرت أمام مرضاى بهذا . عامة الناس يرون فى الطبيب الحاذق نصف اله . فهم يعتقدون أنه يعرف الجسم البشرى والداء والدواء المعرفة الكاملة التى تتيح له أن يهب الشفاء لمن يريد . أما الطبيب فانه يدرك الحقيقة . انه يعرف أن ما يجهله من خفايا الخلية الحيوانية ومن سلوك الجراثيم الممرضة ومن تأثيرات الأدوية فى الأنسجة والأعضاء أكثر بكثير مما يعلمه . فهو كما قلت أنت ، كلما ازداد اطلاعاً تكشفت له مجاهيل جديدة يقف عندها حائراً ، بل انه ليصاب أحياناً بالدوار ...

قال الفيلسوف : احسنت . هذا ما قلته انا فى الأول وانكرته انت : من العلم ما يصيبك بالدوار ، ومنه ما يقتل ... وأكثر الناس خبرة فى هذا هم الأطباء !

فقال الطبيب محتجاً : انك تغمز من الأطباء بهذا ...

فابتسم الفيلسوف وقال : الواقع انكم مظلومون فى هذا المجال . يتندر الناس بكم أحياناً لأنكم بجهلكم ، أو بعلمكم ، تميتون الأفراد . بينما يميت غيركم الآلاف وعشراتها ومئاتها ويرجع بأكاليل الغار ! ولكن خطأكم الكبير هو انكم تعطون السلاح لأولئك القتلة .

فتساءل الطبيب مستنكراً : نحن ؟

قال : نعم . انا اعرف مثلا انه منذ الحرب العالمية الأولى ، بل وقبلها ، توصل علماء الطب والكيمياء الى تركيب السم الذى تفرزه مكروبات النقانق الفاسدة ، هذا الذى تسمونه توكسين بوتيليك .. وانهم حضروا كمية كافية منه للاستعمال الحربى . لابد وانك تعرف بأن ١٥ سنتمتراً مكعباً فقط من هذا السم أى ما يعادل ثلاث ملاعق صغيرة ، كافية لقتل جميع سكان امريكا . أرخص من القنبلة الذرية على كل حال ! انتم الذين وضعتم السلاح فى أيدى مجرمى الحروب المحترفين ...

محاسن الجهل

فاعترض الطبيب بقوله : ولكن احداً لم يستعمل هذا السلاح !

قال الفيلسوف : ليس عن طيبة قلب عزفوا عن استعماله . عزفوا عنه لأن علمهم لم يبلغ القدر الذى يمكنهم من استعماله دون أن يرتد فعله اليهم . أين يجد الجيش المغير الماء لشرب جحافله الكثيرة اذا تسممت منابع المياه فى قارة بكاملها بهذا السم المبيد ؟ كيف يمنعون الريح من أن تحمل ذراته فترتد الى الجيوش الغازية التى استخدمته لابادة عدوها ؟ الجهل هو الذى يمنعهم من استعمال هذا السم ، وحين يعلمون فالويل للبشرية !

قال الطبيب وهو يتهيأ للذهاب معتذراً بوعد عمل :

– أنا معك إذن ، وعلى رغمى ، فى الايمان بمحاسن الجهل ... وفى تصديق ما قاله الأخطل الصغير ، وغناه عبد الوهاب ، بأن من العلم ما قتل ...

فضحك الفيلسوف قائلا : وبأن جفنه علم الغزل .. كأنك نسيت أول البيت ! لولا انك فى عجلة لبرهنت لك على أن هذا هو العلم الصحيح . ولكنك الآن ذاهب ... فالى مرة اخرى اذن ...

د. عبد السلام العجيلى

رجـــاء النقـــاش

أخطر كتاب عربي سنة ١٩٨٠



هذا كتاب خطير حقاً ، ولست أبالغ إذا قلت إنه أخطر كتاب عربى صدر سنة ١٩٨٠ . ومع ذلك فقد صدر هذا الكتاب بغير ضجيج . ولم يعتمد كاتبه على أي عنصر من عناصر الاثارة . لا فى الأسلوب والتعبير . ولا فى تضخيم حجم الأفكار والمعلومات الواردة فى الكتاب . بل إن الكتاب كثيراً ما يواجهنا بعبارات جافة خالية من أي محاولات للتجميل . ذلك لأن الكاتب يقول لنا الحقيقة . والحقيقة فى ضمير وعقله . يجب أن تكون مجردة وواضحة . بل يجب أن تكون عارية . خاصة فى مثل هذا الموضوع الذى يعالجه الكتاب .

الكلامولوجيا ..

ولو أن مجتمعنا العربى تعود أن يأخذ الكلمات مأخذ الجد ، ويتجاوب معها ويتأثر بها ، لكان لهذا الكتاب المتواضع فى شكله وحجمه وأسلوب تعبيره شأن كبير . ولكن المجتمع العربى أصيب بمرض حضارى واضح ، وقد أسمى البعض هذا المرض من باب الطرافة باسم «الكلامولوجيا» ، وهو فى الحقيقة ليس مرضاً «طريفاً» ، ووصف هذا المرض بسيط : فالانسان العربى من كثرة ما سمع من الكلام ، ومن كثرة ما قرأ من الأقوال والآراء ، ومن قلة ما وجد من أصداء عملية واقعية للكلمات الكثيرة . هذا الانسان العربى قد أصبح لا يتأثر بالكلمات ولا يصدقها ، ولا ينتظر نتيجة لها ، بل إنه لم يعد يميز بين ما هو حقيقى وما هو زائف ومليء بالأوهام ، تماماً مثلما يصاب الانسان في معدته فتصبح غير قادرة على هضم أى طعام ، ويفقد الانسان بالتدريج قدرته على تذوق الطعام أو التمييز بين الجيد والرديء منه .

الكلام فى الوطن العربى كثير .. والمطبوعات بالأكوام . ولكن كل شيء فقد طعمه وتأثيره ، وانعدمت فيه الفروق بين الألوان ، ولذلك فقد صدر هذا الكتاب فى صمت ، ولم يلتفت اليه أحد رغم خطورة ما يقوله الكتاب ، ورغم أن كل كلمة فى هذا الكتاب كانت كفيلة بأن تجعلنا جميعاً : لا ننام !

ضمير حى وثقافة واسعه

والكتاب اسمه «هدر الامكانية بحث فى مدى تقدم الشعب العربى نحو

غاياته» أما المؤلف فهو «الدكتور نادر فرجانى» ، وأنا شخصياً لا أعرف شيئاً عن هذا الكاتب ولم أقرأ له من قبل ، ولكن «مركز دراسات الوحدة العربية» الذى أصدر الكتاب يقول عن المؤلف فى نشرة صغيرة ملحقة بالكتاب إنه «أحد الأقتصاديين الشبان اللامعين وهو وثيق الصلة بموضوع كتابه الجديد ، إذ يعد واحداً من أبرز المهتمين بقضايا تنمية القوى البشرية فى الوطن العربى» .

على أننى إذا لم أكن أعرف شيئاً عن الكاتب قبل أن أقرأ كتابه الجديد فان الكتاب يقدمه بوضوح .. إنه ليس مجرد كاتب من كتاب «الكلامولوجيا» الذين يتحدثون كثيراً بألفاظ رنانة مزوقة لا تعنى شيئاً ، بل هو ضمير حى ، وثقافة واسعة ملتزمة بقضايا هذه الأمة العربية التى تمر بأزمة دقيقة من أخطر ما مر بها من أزمات .

وليس معنى هذا أن الكتاب خال من الأخطاء أو خال من وجهات النظر التى تستحق المناقشة بل والمعارضة ، ولكن الكتاب فى جملته يعتبر عملا فكرياً بالغ الاهمية ، يضيء الواقع العربى الراهن ، ثم يضع التحذير والانذار لنا جميعاً ، على أساس ما يمكن أن يحمله المستقبل من أخطاء كبيرة تتجمع فى النهاية لتصنع كارثة حضارية للعرب .

وموضوع الكتاب كما هو واضح من عنوانه هو دراسة الامكانيات العربية لاقامة مجتمع عصرى متقدم ، ثم دراسة ما تتعرض له هذه الامكانيات من إهدار وتبديد وسوء تنظيم .

وينطلق الكاتب ، الدكتور «فرجانى» ، من الصورة الراهنة للواقع العربى ، فيرى أنها لا توفر العوامل الثلاثة التى تضمن سلامة المجتمع وقدرته على النهوض والتقدم ، وهذه العوامل هى التخلص من التبعية للدول الصناعية الغربية ، وخاصة فى المجال الاقتصادى ثم التعاون بين العرب ، ثم الاهتمام بقضايا التنمية على أساس المشاركة الشعبية المنتجة .

نظرة تشاؤمية ..

وبسبب فقدان هذه العوامل الثلاثة فى

● إهدار الإمكانية مرض يعاني منه العرب

● الوطن العربي غني .. ولكن ليس بالدرجة التي نتوهمها

الواقع العربى أصبحت الصورة تدعو الى التشاؤم ، حتى انعكس هذا التشاؤم على الباحثين والدارسين فى الشرق والغرب ، فأخذوا يعبرون عن يأسهم الخاص من إمكان التعاون والاتحاد بين العرب ، وهو الأمر الذى ينبغى أن يتحقق إذا أردنا أن ننهض ونتقدم . فباحث عربى اسمه فؤاد عجمى يكتب فى مجلة «الشئون الخارجية» الأمريكية دراسة يقول فيها : « إن فكرة ظلت مسيطرة على الوعى السياسى للعرب المحدثين تقترب من نهايتها ، إن لم تكن قد أصبحت فعلا من تراث الماضى . وهذه هى فكرة الأمة العربية الواحدة » . وباحث أجنبى آخر هو «هوبسون» يقول : «إنه يندر أن يمر عام بدون نكسة أو أكثر لقضية الوحدة العربية ، وقد اعتبرها معظم الكتاب الغربيين منتهية» . ويقول كاتب غربى ثالث عاش فترة فى البلاد العربية هو «ووتر برى» : «ستفشل بلدان الشرق الأوسط فى تطوير استراتيجية مشتركة متماسكة وتعاونية للتنمية القومية وفى تطوير موقف تفاوضى جماعى تجاه الشمال «أو الغرب» ، ونتيجة لهذا فسوف تفشل فى الحصول على أفضل الشروط الممكنة فى التفاعل مع الشمال «الغرب» .

والكاتب يقصد الوطن العربى بالتحديد عندما يتحدث عن الشرق الأوسط .

على أن هذه النظرة المتشائمة قد انتقلت الى بعض المسئولين العرب ، حيث يقول الشاذلى القليبى أمين الجامعة العربية : «إن التساؤل يطرح نفسه مرة أخرى : هل هناك فعلا أمة عربية واحدة ؟ أو أن تلك الفكرة كانت وهماً من أوهام أجيال عربية سبقت ؟ الآن لم يعد الشك فى القدرة أو الفاعلية ، وإنما وصل الشك الى حقيقة الوجود نفسه ... أى وجود الأمة العربية» .

التفاؤل مطلوب ..

ولكن مؤلف الكتاب يرفض هذه النظرة التشاؤمية ، ويرى أن الواقع العربى ملىء بالأخطاء ، وملىء باهدار الامكانيات ، وأن العرب لو تمكنوا من وقف عملية الاهدار لاستطاعوا أن ينهضوا ، ويتغلبوا على مشاكل الحاضر والمستقبل . يقول الكاتب «إنه إذا كان حال الوطن العربى بهذا السوء الذى لا أمل فيه ، كما يبدو الأمر فى أقوال المتشائمين ، فلماذا الجهد وصيحات التحذير والتنبيه ؟ والاجابة هى أن الخطر الأساسى فى الواقع العربى الراهن هو خطر إهدار إمكانية تاريخية قائمة لازدهار حضارة عربية معاصرة. فلو لم تكن الامكانية قائمة لما وجب التحذير ولا نفع .وإنما التحذير من قبيل الحرص على الاستفادة من الامكانية التاريخية ، ووراءه الاعتقاد بأن امكانية اغتنام الفرصة مازالت بعد قائمة ، وعلى هذا فالتوجه الرئيسى لهذه الدراسة تفاؤلى ، ومن منطلق هذا التفاؤل فاننا نقفز على الواقع العربى المر ونتعامل فى الدراسة مع الوطن العربى كوحدة» .

ولكن الكاتب لا يبنى تفاؤله على الأوهام ، بل بالعكس فانه يصارح نفسه وقراءه بأسلوب علمى دقيق . فالقوة الأساسية للوطن العربى فى نظره هى القوة البشرية ، صحيح أن احصائيات ١٩٧٩ أثبتت أن الوطن العربى يضم أكثر من نصف الاحتياطى العالمى من البترول ، ولكن العمر المتوقع لهذه الاحتياطيات البترولية هو «خمسون عاماً» منذ الآن ، فماذا نفعل بعد نفاد هذا الاحتياطى الكبير ؟ .

المال والحضارة

إن الوطن العربى لا يتضمن كما يقول الكاتب أى احتياطى يذكر من الفحم الذى

أخطر كتاب عربي

سنة ١٩٨٠



● ٧٣٪ من العرب

عاطلون و ٦٤٪ أمّيّون

يوجد ٧٠ ٪ منه فى الاتحاد السوفييتى وأمريكا ، كما أنه باستثناء البترول والغاز الطبيعى ، فان الوطن العربى ليس غنياً بالموارد المعدنية . صحيح أن عائدات البترول يتكون لنا منها ثروة ضخمة بلغت حوالى مائتى بليون دولار سنة ١٩٨٠ ، ولكن الثابت علمياً أن «توفر الأموال فى حد ذاته لا يكفى لكى يوفر الى جانبه فرصة حقيقية للتنمية بمعناها الحضارى الشامل» ولابد لكى نستفيد من هذه الأموال أن نحسن استخدامها بصورة سليمة ، وإلا أصبحت امكانية من الامكانيات المهدرة ، «وإذا تمت فى المنطقة العربية تنمية ، فلن يكون ذلك إلا فى إطار حركة نهضة قومية تعبىء كل موارد الوطن العربى وتستغلها بكفاءة ، عن طريق تنظيم اجتماعى كفء لتحقيق الغايات العربية، فلا يمكن أن تكون هناك تنمية إلا على المستوى القومى ،وإذا تمت التنمية بهذه الصورة فان كل الأقطار العربية تستفيد منها ، فالأقطار العربية متصلة ، حتى لو شاء بعضها أن ينفصل ، وهجرة القوة العاملة العربية الى الدول العربية النفطية وتزايدها فى السنوات الأخيرة خير دليل على ذلك » .

ولذلك «فان الأموال العربية مهما كانت قيمتها وحجمها لا يمكن أن تشترى مستقبلاً» لأن المستقبل تتم صناعته بالجهد والعمل الدقيق المنتظم والمنتج ، ولا يمكن شراء «مستقبل جاهز» بالأموال.

ويعود الكاتب ليسجل بصراحة وجهة نظره فيقول : «إذا أردنا تلخيص مقومات الامكانية التنموية العربية لوجدنا أن الوطن العربى غنى فقط فى العنصر البشرى ، وهذا الغنى ليس إلا غنى بالامكانية نظراً لضعف القدرات البشرية العربية وإهدار طاقتها حالياً . إلا أن هذا «العنصر البشرى» هو المقوم الحاسم لامكانية إحداث التنمية فى الوطن العربى . وتعانى الامكانية التنموية من نقص نسبى فى الأرض الزراعية والموارد المعدنية بما فيها موارد الطاقة إجمالا ، إلا أن الوفرة النسبية فى النفط حالياً والعوائد الناجمة عنها ، يمكن أن تكون عاملا إيجابياً مساعداً ، لامكانية تنموية حقيقية إذا أجيد استغلالها قومياً ..

رأى مرفوض ..

وهنا يعلن الكاتب بأمانة وصدق رفضه ، لما يعلنه بعض الباحثين من الآراء التى تشبه الأوهام ، والتى لا تستند على دراسة دقيقة ، ومن هذه الآراء التى يعترض عليها الكاتب ويرفضها رأى الدكتور حامد ربيع الذى يقول : «إن الامكانيات العربية لا حدود لها» وأن «العالم العربى قادر على أن يتحول الى سلة للطعام ليس فقط للعالم المتخلف بل ولجميع المجتمعات التى سوف يقدر لها أن تعانى من نقص فى الغذاء» . ومن هذه الآراء التى يرفضها الكاتب قول باحث عربى آخر هو محمد سيد أحمد «.. إنه ينبغى أن نشير إلى حقيقة تاريخية مذهلة هى أن ما توفر للعرب فى الربع الأخير من القرن العشرين من عناصر التنمية ، لم يتوفر لبشر قبلهم ....»

هذه فى نظر الكاتب كلها مبالغات لا تثبت للبحث العلمى الدقيق ، والصحيح عنده أن العنصر البشرى هو قوتنا الرئيسية وهو يحتاج الى تنظيم وتوجيه وإعداد سليم حتى يمكن أن يحقق التنمية ، ويتغلب على عناصر النقص الموجودة فى الواقع العربى .

ثراؤنا محدود ..

وهكذا فان الوطن العربى إذا كان غنياً بالبترول ، فهو بمقاييس «الثروة» الحقيقية يعتبر فقيراً ، فالأرض القابلة للزراعة فى الوطن العربى ـ كما يقول الكاتب ـ «بلغت ٥٠ مليون هكتار فى منتصف السبعينات طبقاً لبيانات منظمة الأمم المتحدة للغذاء والزراعة» وهذه الأرض القابلة للزراعة فى الوطن العربى هى «حوالى ربع الأرض القابلة للزراعة فى الولايات المتحدة وخمس الأرض القابلة للزراعة فى الاتحاد السوفيتى» ولذلك أصبح الوطن العربى «يعتمد اعتماداً محرجاً ومتزايداً على استيراد الغذاء من الخارج» ، وتكشف مقابلة الانتاج والاحتياجات فى مجال الغذاء فى الوطن العربى عن «توقع قصور متزايد فى انتاج الحبوب ، عماد قائمة الغذاء فى البلدان العربية ، عن الوفاء بالاحتياجات يصل فى مطلع القرن القادم ـ أى بعد أقل من عشرين عاماً ، الى أكثر من نصف الكميات المطلوبة من القمح ، ويتعدى ٤٠ ٪ من الاحتياجات من الأرز والذرة الشامية . كذلك يقدر ألا يفى الانتاج من السكر إلا بأكثر قليلا من نصف الاحتياجات ، كما يتزايد العجز من اللحوم والبيض والألبان عبر فترة التقدير ليتعدى ثلث المطلوب من اللحوم ، وليصل لقرابة ربع الاحتياجات من البيض والألبان فى عام ٢٠٠٠ ، وبناء على هذا التحليل الاجمالى يمكن القول بتوقع بقاء الوطن العربى منطقة عجز غذائى نسبى ، وهذا العجز الغذائى المتوقع وجه قصور فى الامكانية التاريخية لبناء مستقبل عربى مزدهر» .

وهذا نموذج واحد يكشف لنا أن الوطن العربى إذا كان غنياً فانه ليس ذلك الغنى الذى نتوهمه، فهناك عجز كبير فى مجالات حساسة ، لا علاج لها إلا بالعمل

● إلى متى يعيش العرب "عالة" على الصناعة والأغذية الغربية؟

● لماذا لا يصنع العرب ويزرعون ما يحتاجون إليه؟

والجهد ، أما التوهم بأن الوطن العربى «غنى» بصورة مطلقة ولا مثيل لها فذلك وهم يحتاج الى المراجعة والتعديل . وخطورة هذا الوهم أنه يمكن أن يدفعنا الى الاعتماد على الاحساس بأننا أغنياء بغير حدود ، فنتراخى فى مسئوليتنا التاريخية فى العمل المنتظم الدؤوب .

أرقام مؤلمة ...

وننتقل من هذا العرض العام لآراء الكاتب إلى الوقوف أمام لمحات من أزمة الواقع العربى كما جاءت فى هذا الكتاب الخطير :

فمتوسط العمر بالنسبة للانسان العربى هو ٥١ عاماً بينما يصل فى الاتحاد السوفيتى الى ٧٠ وفى أمريكا الشمالية الى ٧٠,٣ .

كذلك فان ثلثى العرب البالغين «حتى سنة ١٩٧٥» ، كانوا يجهلون القراءة والكتابة والحساب . ولم تتمكن البلدان العربية من «انقاص نسبة الأمية» إلا من ٨٢٪ إلى ٦٤٪ فقط فى الفترة ما بين «١٩٦٠ ـ ١٩٧٥» .وإذا كانت نسبة الأمية فى الوطن العربى قد وصلت إلى ٦٤٪ عام ١٩٧٥ ، فان نسبة الأمية فى أمريكا فى نفس العام كانت ١٪ وفى الاتحاد السوفيتى ١٪ ، وهذا يكشف فداحة ما نحن فيه من تعطيل للقوة البشرية .

ومن الحقائق ذات المغزى أيضاً بالنسبة للعنصر البشرى وعدم استغلال هذا العنصر فى الانتاج «أن نسبة المشاركين فى النشاط الاقتصادى فى الوطن العربى لا تزيد عن ٢٧٪ من مجموع السكان» ، والباقى عاطلون بشكل صريح ، أو عاطلون بصورة غير مباشرة ، «وخلاصة القول أن القوى البشرية العربية فى مجموعها مازالت غير مؤهلة تعليمياً ، مستوى صحتها أقل من مقتضيات جهود تنموية جادة ، وغير مستفاد منها فى أنشطة انتاجية» .

خطر وإحراج

وهناك أرقام أخرى لها دلالة ، منها : أن السلع المصنعة فى الخارج تمثل ٧٠٪ من واردات العالم العربى «سنة ١٩٧٦» وهذا معناه أننا مازلنا نعتمد على الآخرين بنسبة عالية وخطيرة ومحرجة

كذلك «فان الدول العربية تستورد الغذاء نتيجة لعدم كفاية انتاجها الزراعى لحاجات سكانها ، وقد استورد العالم العربى من المواد الغذائية سنة ١٩٧٦ خمسة أمثال ما استورده سنة ١٩٦٠ وهذه زيادات خطيرة مؤثرة» .

ومن ناحية أخرى وعلى الجانب الذى يتصل بعلاقات البلاد العربية ببعضها البعض .. تجمدت أو انقطعت العلاقات العربية الدبلوماسية بصورة ثنائية إحدى عشر مرة خلال عشر سنوات «من ١٩٧٠ إلى ١٩٨٠» ، واندلعت نيران القتال بين شقيقتين عربيتين أو أكثر تسع مرات خلال نفس الفترة «من ١٩٧٠ إلى ١٩٨٠» .

أما الصورة العامة لتطور التجارة بين بلدان الوطن العربى فانها كانت أقل منها منذ عشرين عاماً خلت ، وقد شهد النصف الثانى من السبعينات انكسارا واضحاً فى هذا الصدد» ومازال الوطن العربى فى حركته الاقتصادية يصدر المواد الخام ويستورد المواد المصنعة ، وهذا خطر كبير ، ووضع لابد أن يتغير بحيث نستطيع أن ننتج ما نحتاج اليه أو معظمه فى بلادنا وبأيدينا .

العرب سنة ٢٠٠٠

وينهى المؤلف كتابه الخطير بفصل يسرد فيه نتائج أسئلة قدمها لخمسة وعشرين من كبار الباحثين فى العالم العربى ، وتدور هذه الأسئلة فى جوهرها حول امكانية التطور إلى الأفضل فى المجتمع العربى ، وتأتى النتيجة بأن معظم الباحثين متشائمون ، وأنهم يرون أن سنة ٢٠٠٠ سوف تأتى والعرب ما يزالون فى اتجاه إهدار امكانيات بلادهم.

وهنا يرى الكاتب أن المسألة مسألة اختيار حضارى ، فلو أراد العرب أن يواجهوا مستقبلهم بصورة سليمة فانهم سوف يستطيعون ايقاف هذه الظاهرة .. ظاهرة «إهدار الامكانيات» وفى هذه الحالة ، فانهم سوف يحققون خطوات واضحة فى طريق التقدم والنهوض ، أما إذا اختاروا الاستمرار فى أوضاعهم الراهنة بغير مراجعة ولا تعديل . فسوف يكون التفاؤل وهماً من الأوهام . وبذلك يكون مصير العرب فى أيديهم لا فى أيدى الآخرين . وعليهم أن يختاروا .

هجرة العقول

على أن السؤال النقدى الذى يجب توجيهه الى المؤلف ، وهو يتحدث فى كتابه الخطير عن ظاهرة «إهدار الامكانيات» فى الوطن العربى ... هذا السؤال هو : لماذا لم يشر إلى ظاهرة «هجرة العقول» من الوطن العربى إلى الغرب ؟ ... إن هذه الظاهرة تعتبر من أخطر الظواهر فى ميدان إهدار الامكانيات العربية ، ويكفى فى هذا المجال أن أشير إلى تقرير لليونسكو أعلنه سنة ١٩٦٨ «ونشره الدكتور عبد العظيم أنيس فى مقال له» جاءت فيه هذه الأرقام :

٥٩٪ من الدارسين العرب فى بريطانيا هاجروا إلى أمريكا .

٣٧٪ من الدارسين العرب فى المانيا الغربية هاجروا أيضاً إلى أمريكا .

كذلك يقول التقرير إن «جميع» طلبة لبنان الذين درسوا فى أمريكا ظلوا هناك!

وبالنسبة لمصر «لم تكن نسبة حملة

أخطر كتاب عربي سنة ١٩٨٠

المؤهلات العليا من المهاجرين المصريين تزيد على ٤ر٣٪ فى عام ١٩٦٢ ، ثم ارتفعت إلى ٣٥٪ فى عام ١٩٦٧ ، ثم ارتفعت إلى ٥١٪ فى عام ١٩٦٨ . وكلهم من المهندسين أو الأطباء أو خريجى العلوم أو التجارة .

وبالطبع فقد زادت ظاهرة هجرة العقول عشرات المرات منذ ١٩٦٨ إلى اليوم وفى مختلف مجالات الكفاءة والخبرة ، وفى ذلك مظهر خطير من مظاهر إهدار الامكانيات فى الوطن العربى .

كتاب صارم ...

إن كتاب «الدكتور نادر فرجانى» يضع يده على أخطر ما يعانيه المجتمع العربى ... ومهما كان هناك من عناصر الاتفاق أو الاختلاف مع الكاتب ، فان هذا الكتاب هو بغير جدال : أخطر كتاب عربى ظهر سنة ١٩٨٠ ... وهو جدير بأن يهز المجتمع وينبهه ويوقظه من الأحلام والأوهام ، إذا ما نظرنا إلى الكتاب نظرة بحث ومناقشة لما جاء فيه من معلومات وأرقام وآراء صادمة وصادقة مهما كان فيها من الصواب أو الخطأ .

تعليق

..وهل كانت مي عاشقة رخيصة ؟!

المسلسل الذى عرضه «تلفزيون قطر» أخيراً عن العقاد كان مسلسلا ممتازاً رفيع المستوى ، والحقيقة أن مثل هذه المسلسلات تفتح آفاقاً جديدة للفن والفكر فى التلفزيون ، ترتقى به وبمستوى ما يقدمه الى المواطن العربى من أعمال ، وتخرج من الدائرة المغلقة المحدودة للمسلسلات التلفزيونية العاطفية وغير العاطفية . ففى هذه المسلسلات الجديدة ينفتح أمام المشاهدين باب واسع يرون منه تاريخنا ، وما كان فيه من جهد وجهاد ومعاناة كبيرة ، من أجل أن يتطور هذا المجتمع وينهض ويقاوم العقبات الكبيرة التى كانت تعوق التطور والنهضة ، والعقاد فى الحقيقة يمثل قصة كفاح نادرة المثال فى الفكر والحياة ، فهذا الرجل الذى لم يحصل على أكثر من الشهادة الابتدائية ، وكان فى بداية شبابه مريضاً بالصدر ، استطاع أن يفرض على نفسه نظاماً قاسياً فى الحياة وفى التعليم الذاتى ، حتى أصبح من أكبر المثقفين فى عصره ، بل فى كل عصور الثقافة العربية ، واستطاع فى نفس الوقت أن يحمى جسمه من الهلاك تحت وطأة المرض الخطير ، حتى عاش خمساً وسبعين عاماً دون أن يترك قلمه إلا قبل وفاته بأيام وذلك لأنه فرض على نفسه «نظاماً عسكرياً» دقيقاً فى الطعام والنوم والحركة والنشاط والرياضة ، حتى استطاع أن يجعل من جسمه العليل عملاقاً يتحمل الحياة ويواصل أيامه حتى هذه السن المتقدمة ، ولقد بلغ العقاد من القوة والحيوية حتى فى



مي زيادة

شيخوخته الى حد دفع أحد أقاربه الى أن يقول لي يوم وفاته : إن العقاد لم يمت موتاً طبيعياً ، فقد كان ـ والأعمار بيد الله ـ قوياً مليئاً بالحياة قادراً على مواصلة الحياة الى ما فوق التسعين .. ثم قال لي قريب العقاد : إن العقاد مات مقتولا على يد بعض الطامعين فيه ! وهذه قصة أخرى بالطبع ، ليس عليها دليل ، ولكنها تقوم على الشبهة والظن .. وبعض الظن إثم كبير .. ولكن القصة مع ذلك قد تكون صحيحة .

المهم أن مسلسل العقاد كان ممتازاً لولا ملاحظة لابد من تسجيلها هنا ، فقد بدت صورة الأدباء الآخرين فى عصره مهزوزة وغير دقيقة ، ولا أمينة . وعلى رأس هذه الصور الخاطئة كانت صورة الأديبة الكبيرة «مي» ، فقد بدت «مى» فى المسلسل عاشقة رخيصة ، تتحكم فيها نزعة عاطفية سطحية ، حتى أصبحت «مى» ـ والعياذ بالله ـ وكأنها من أبطال أفلام الدرجة الثانية المصرية العاطفية التى تقوم على المبالغة والافتعال . وهذه صورة غير صحيحة ولا يمكن أن تكون صحيحة ، فقد كانت مي المرأة الوحيدة فى عصرها «الثلث الأول من هذا القرن» التى استطاعت أن تنشىء صالوناً أدبياً ، يتجه اليه أعظم أدباء العصر ومفكريه ، واستطاعت «مي» أن تحظى باحترام الجميع وتقديرهم ومحبتهم ، واستطاعت أن تحافظ على كرامتها فى جميع الظروف .. ويمكن أن تكون مي قد اتجهت بعواطفها الى العقاد أو غيره من الأدباء ، ولكنها بالقطع لم تكن «رخيصة» العاطفة كما بدت فى مسلسل «العملاق» ... إن أى دراسة لـ«مى» تثبت وتؤكد أنها كانت امرأة قادرة على «ضبط عواطفها وسلوكها معاً» وإلا ما استطاعت أن تعيش وحدها بين رجال الفكر الكبار وتفتح صالونها للجميع وتستمر فى ذلك سنوات بعد سنوات ، دون أن يمسها أحد بكلمة سوء .

ولو كان العقاد حياً ، فمن المؤكد أنه كان سوف يرفض هذه الصورة المرسومة لـ«مي» فى المسلسل التلفزيونى ، والدليل على ذلك أنه رثاها بقصيدة صادقة مؤثرة أكد فيها على نبل شخصيتها وبكى فيها ذوقها الرفيع وسلوكها الراقى المتحضر .. ولو أن الذين صوروها بهذه الصورة على شاشة التلفزيون قرأوا أدبها ، لعرفوا أنه من المستحيل أن تكون مي عاشقة رخيصة بهذا الشكل الذى ظهر فى هذا المسلسل الممتاز !

مثل مي ، لا يمكن أن تحب بهذه الطريقة السطحية المهتزة التي تناسب المراهقات الجاهلات .. ولا تليق بمي .. الحساسة المثقفة التى يمكن أن تحب ، بل يجب أن تحب ولكن بغير هذه الطريقة الرخيصة !

رجاء النقاش



صَبَا نَجْد

شعر: محمد الفهد العيسى

ألا يا صَبَا نجدٍ فديتك يا نجدي
متى كان عهدك - بالأحباب - في نجد ؟
متى كنت فيهم في مواسم حبهم
وفي روضة "التِّنهات" كيف هم وبعدي ؟
أيذكرني الخلان في الوسم عندما
تلوح بروق المُزن .. أم أُنسيوا عهدي ؟
سقى الله أرضًا كنت بين رياضها
أُريقُ كؤوس البَوْح وجدًا على الوجدِ
بها كنت لحنًا بين أضلع شاعر
يغنى لليلى الشوق في القربِ والبعدِ
ويبكي جريحًا نأيَ ليلى وبُعدَها
وذكرى ليالي الوصل في المنهلِ الرّغدِ
تعلقتُ ليلى وهي بعدُ - غريبة -
وقلبي - غريبٌ - مثل ما عندها عندي
وكنت وليلى نحتسي الكأسَ مُتْرعًا
بشوقٍ كراحٍ كالشعاعة كالشهدِ
وهِمْتُ انتشاءً في نَدِيِّ وصالها
ليالي .. ما كانت من الزَّمنِ الحَرْد
يظلّلني فيها من الشِّيح رطبُه
وليلاي عبق الأقحوانة والنّدِ
ألا يا لَحَى الله الفراق وليله
لحَى القلبَ مني بالتَّولُّهِ والوقْدِ
ألا يا صَبَا ما الطِّيب ما العرف بعدها
وما الزهر .. ما القيصوم .. ما العبق للورد ؟
ألا يا صَبَا .. ما قد صفا الدهر مثلما
تناهَى إلينا - الحب - في الروض من نجدِ
ومرّت كبَرْقٍ - لحظة العمر - بعدها
تناهت بي الأيّام في المهْمَهِ الجَرْدِ

د. محمد زكي العشماوي

منهج في دراسة أبي نواس

لعلنا لا نجافى المنهج العلمى السليم إذا قلنا إن دراستنا لأى شاعر من شعراء المرحلة العباسية تحتاج إلى نظرتين :

الأولى عامة وتتصل بابراز خط التطور والنمو فى مسار الشعر العربى وتحاول تحديد أهم ملامح التحول التى حققها الشعر فى تلك المرحلة بوصفها ظواهر عامة ينبغى أن تدخل فى اعتبار الدارس وتنال قدراً من اهتمامه ، هذا إذا كانت هناك ظواهر جديدة ومشتركة تتسم بها المرحلة وتحدد إتجاهاتها

والثانية خاصة وهى تتصل بشاعر معين له سماته الخاصة وعالمه المتفرد من حيث أسلوبه وطرائق تعبيره وموقفه الفكرى العام وإضافاته . وإذا جاز لنا أن نبدأ بالنظرة العامة للمرحلة فيمكننا أن نجمل خطوطها العامة فيما يأتى :

أولا : انتقال الشعر فى المرحلة العباسية بدءا من بشار ـ من دائرة القبول والرضى والاستسلام والولاء للجماعة واخلاقها الى دائرة التساؤل والرفض والتمرد والسخرية من الجماعة وقيمها والاستخفاف بالعادات والتقاليد الثابتة . وقد ظهرت علامات هذا كله على المستويين الابداعى والاجتماعى على السواء . فقد ساعد تغير الحياة وانتقالها من البادية إلى الحضر ، وتكاثف السكان وتزايدهم فى المدن ، وانتقال الثقافات المختلفة وامتزاجها بالثقافة العربية على نوع من التطور فى شكل المجتمع وفى لون الحياة الجديدة نتج عنه إحساس الشاعر بالعزلة والشعور بالوحدة والقلق ، الأمر الذى دفع به الى ضرورة البحث عن مخرج ، فكان السبيل هو طريق الذات ، والكشف من خلالها عن التوازن الداخلى باتخاذ موقف ينبع من داخله ومن ارادته الحرة البعيدة عن أى تأثير . ومن هنا جاء الاندفاع على تركيز الروح وتحقيق معنى التضرر أو بمعنى آخر التحول من الحضور الجماعى إلى الحضور الذاتى ، وظهور العمل الفنى النابع عن حضور الأنا وغياب الآخر .

ثانياً : لم تعد التجربة الذاتية الجديدة فى الشعر عند كبار شعراء تلك المرحلة مجرد تجربة ذاتها همها إثارة الانفعالات والأحاسيس ، فهذه من أبسط الأمور ، بل ان أرخص أنواع الأدب يستطيع أن يثيرها ، بل صارت التجربة الذاتية رؤية وموقفاً ، وصارت حلماً وفكراً فى ذات الوقت وأصبح الشاعر أحياناً يحلم بعوالم خاصة ، واخذ يتوجه أحياناً أخرى الى الانسان يفكر فيه ، ويتأمل موقفه من الزمن والكون والمصير ، ويتجاوز الحدود المكانية والزمانية الجزئية الى حدود كلية والى عالم ما وراء الحس كما هو الحال فى بعض تجارب أبى نواس وابى العلاء والمتنبى .

ثالثاً : التحول فى شكل الشعر وصياغته فلم يعد هم الشاعر الوصول الى التعبير بقدر ما صار من همومه التفكير فى كيفية التعبير فبدأنا نرى معمارا شعرياً جديداً وتركيباً بنائياً جديداً ، تركيباً يعنى أحياناً بشكل الشعر وصناعته عناية تبلغ حد الولع بالصنعة ، ولعاً جعل بعض هؤلاء وهو أبو تمام يخلق لنفسه ـ على حد قول نيتشه ـ سلاسل فنية يرقص من خلالها ، وبها . احب أن يخلق لنفسه جوا خاصاً يتنفس فيه ، مؤمناً بأن شجرة الشعر إذا لم تثمر ثمراً غريباً ونادراً فلا كانت الشجرة ولا كان الشعر .

تحرير القصيدة العربية

رابعاً : تحررت القصيدة العربية القديمة من بعض التزاماتها المفروضة عليها فى الشكل والمضمون فتغير الشكل ولم يظهر هذا التغير فى إيقاع الشعر الجديد وتطور أوزانه واقتراب لغته أحياناً من لغة الحياة بل تغير البناء الفنى فتوافرت لدينا بعض التجارب التى يستجيب فيها الشعر لموقف عاطفى واحد يجسد رؤية الشاعر وينشرها عبر القصيدة فى رؤية واحدة مركزة ، واصبحنا نجد الصورة التى تستطيع أن تهيمن على عدة صور فتحقق الوحدة فيما بينها بطريقة اشبه بالصهر بين المتباعدات والمتناقضات ، وظهرت القصيدة التى تتصارع أجزاؤها ثم تتوحد فى النهاية فى كيان عضوى موحد .

خامساً : والى جانب التحول فى الصياغة والبناء الفنى للقصيدة فقد كان ثمة تحول ظاهر فى طبيعة التجربة البشرية أو ما يسمى بمضمون الشعر وما يطرحه من قضايا ، ولعل أبرزها موقف الشعر من المجتمع والناس فاذا كان المجتمع يسحق الشاعر احياناً بموقفه الطاغى أو الظالم أو بشعور اللامبالاة فقد كان الشاعر احياناً يسحق المجتمع بالكلمة الساخرة والتهكم اللاذع ، وكان من نتيجة هذا كله ان اصبح للشعر موقف من الحياة والناس واصبح الشاعر ناقداً للحياة ، وساخراً من الخلل الذى يراه فى عالم الظواهر .

سادساً : ظهرت السخرية واحتلت مكاناً بارزاً فى شعر هذه المرحلة وتعددت أشكالها ومذاهبها أو قل فنونها ، فخرج منها التهكم والتمرد والرفض والعبث أحياناً .

وكان منها الهادىء الذى يحاول فيه الشاعر أن يسخر من آلامه لكى يهون من حملها ، ومنها العنيف الذى يبلغ حد التهكم من حماقة الناس وجهلهم ، ومنها

السخرية الماجنة المستخفة بكل شيء هروباً من الحياة أو هجوماً عليها أو بحثاً عن خلاص أو مخرج من خلالها . ومنها السخرية العقلية التى لا ترى لشيء معنى أو قيمة والتى ترفض الحياة من أساسها .

ابو نواس : شخصية فريدة

فاذا انتقلنا من الملامح العامة للعصر الى أبى نواس فاننا نجد أنفسنا أمام شخصية فريدة على المستويين الشخصى والانسانى نادرة فى حياة أدبنا العربى ، شخصية غنية بتجاعيدها ومنحنياتها ، وإبداعها الفنى تصم أذنيها عن العالم الخارجى كله ، ولا تستضيء أو تتحرك إلا بوحى من عالمها الداخلى فى محاولة لخلق نمط حياتى وفكرة خاص ، ونمط تعبيرى جديد ينبعان من مبدأ : قوامه البدء بالذات والحرية الفردية ، ومن هنا كانت الخطيئة المقدسة وكان التمرد على الواقع ورفض القيم الثابتة كضرورات كيانية مشتبكة بلحمه ودمه وأعصابه لمقاومة كل ما ينفى فردية الانسان أو يحد من حريته ، ولتحقيق وجوده الفنى وعالمه الخاص به .

وهكذا كان أكثر ما يلفت النظر فى هذا الشاعر شيئان بارزان . أولهما طاقة الحياة والفعل ، تلك الطاقة المغيرة والرافضة . وثانيهما : الثنائية أو الازدواجية التى جمعت بين تناقضين أو أكثر فى وقت واحد .

وموطن الصعوبة فى تقديرنا هو فى إزالة التناقض القائم بين هذه الثنائيات واكتشاف الوحدة التى تحقق التكامل والتوازن فى عالم أبى نواس بعد تحديد عناصر التكوين والبناء فى هذه الشخصية الفريدة .

وفى تقديرنا أن هذا ممكن وميسور معاً اذا استطعنا أن نكتشف الخيط الذى يربط بين عوالم ثلاثة أساسية فى حياة هذا الشاعر تلك العوالم هى :

أولا : عالم النشوة الذى يعينه على التآلف مع الكون وفى هذا العالم يجب أن نتنبه لظاهرتين خطيرتين الأولى الحرية والثانية الخطيئة ، وكل منهما مرتبط بالآخر إلى حد بعيد فالحرية عند الشاعر هى طاقته المغيرة والرافضة والمتحررة كلما ازداد لوم الناس ازدادت شهوة الشاعر وازداد عناده ونعيبهم عليه ثناء .

إن كنتما لا تشربان معى
خوف العقاب شربتها وحدى
لا تلمنى على التى قتلتنى
وأرتنى القبيح غير قبيح
قهوة تترك الصحيح سقيماً
وتعير السقيم ثوب الصحيح

والخطيئة والمجاهرة بها هى التى تعينه على تحقيق حريته وتوكيد سعادته وهى الحقيقة التى يشعر أنها تملأ يقينه ، لأنه بالخطيئة يؤكد الرفض ويحقق الحرية .

هناك لا تتخطى الأذن لائمة
ولا ترى قائلا من ذا ؟ ولا ماذا ؟

ولأن الخطيئة فعل التمرد فهى تريحه وتعبر عن انتصاره على اى سلطان للقمع أو الكبت فهما عنده موت قبل الموت الطبيعى ! .

أنفت نفسى العزيزة أن تقنع
إلا بكل شيء حرام

وهو هنا يلتقى مع الرومانسيين : والخمر عنده مقدسة فهو يحلها ويشربها فى هالة من الطقوس ، وهى كريمة تجل عن اللئيم :

أجل عن اللئيم الكأس حتى
كأن الخمر تعصر من عظامى
واسقيها من الفتيان مثلى
فتختال الكريمة بالكرام

ويقول :

كرخية تترك الطويل من الـ
ـعيش قصيراً وتبسط الأملا

حالة الحضور

وللخمر لغتان لغة تجسد الواقع المعيش فتصور الخمر ومجالها وندماءها وأنيتها ، وتنقل صورتها كاملة حية . ولغة أخرى تجسد عالمه الثانى أو حياته الثانية التى يخلقها لنفسه هرباً من الحياة الأولى .

وفى الحالتين معاً : حالة الحضور والغربة يتم للشاعر تحقيق ثنائية من ثنائياته ، وهى الجمع بين الوعى واللاوعى أو بين الحقيقة والحلم ، بين الاتصال والانفصال . وبهذا تتحقق له نوعية خاصة فى الحياة لا يجدها فى الواقع فيظفر بلحظة التوهج وهى وحدها صاحبة القيمة ، فهو لا يحب الحياة لذاتها وإنما لقيمتها .

أما العالم الثانى عند أبى نواس فهو عالم الزهد الذى يخرجه من كنه الحياة ويلاقيه بالعالم الثانى الذى يتوق إليه ويتطلع الى ملاقاته . وفى تقديرى ان الزهد عند ابى نواس ليس رد فعل أو حركة مضادة لمجونه أو توبة فى نهاية عمره ، فالمجونة والزهد عنده جنينان فى رحم واحد أو قل هما حبتا قمح فى سنبلة واحدة . ينهضان على أساس واحد مؤداه : ازدراء الحياة ورفضها والسخرية منها والبحث عن خلاص للمرء من وطأتها إما فى لهو عابث ومجون صاخب وجنوح إلى اللذة وإما فى العزوف عنها والبحث عن عالم من الطهر ينجو فيه الانسان من زيف الحياة ووعثائها .

العالم الثالث هو عالم الفن الذى يخلق له السعادة الضائعة ويتعانق فيه إيقاعه الداخلى بايقاع الحياة الخارجية ويرمز لطاقة الفعل المتجردة والمتغيرة عنده :

فمازلت بالأشعار فى كل مشهد
أليها ، والشعر من عقد السحر

واللغة عنده تفيض حيوية وانطلاقاً تستلين له طيعة وتفيض بين يديه عذبة رقراقة محتفظة بحيويتها على الدوام .

هذه العوالم الثلاثة لو احسنا الربط بينها وتفسيرها وازالة التناقض القائم بينها امكننا ان نظفر بعناصر التكوين والبناء فى تلك الصورة الفريدة صورة أبى نواس .

أما منهجنا فى البحث فلابد أن يعتمد أولا على تخليص أبى نواس وأخباره وشعره من الفوضى التى علقت به ، ومما التصق بشخصه من أحداث ووقائع نسبت إليه وليست له ثم على اتخاذ المنهج التحليلى النقدى الذى يهتم بتحديد القيم الفنية والجمالية فى شعره ويكشف عن حقائق الحياة والانسان ، ولكنه فى الوقت نفسه لا يستبعد التاريخ أو السياسة أو المجتمع أو دراسة الشخصية الانسانية ، وإنما يأخذ من كل هذه المعارف على ألا تستعبده واحدة منها أو تصرفه عن المهمة الاساسية وهى اكتشاف موقفه الفكرى العام والوقوف على عناصره الفنية التى تفرده وتحدد عالمه ودنياه الخاصة .

د. محمد زكي العشماوى



علي عبدالله خليفة

أوراق خليجية



إن أشد ما يؤلم هو أن ينظر الغير الى منطقة الخليج على أنها منطقة النفط والثروة والتخلف فقط ، ويتعاملون معها من هذا المنطلق ، دون النظر الى التاريخ الحضارى لهذه المنطقة وانجازات ابنائها فى شتى ميادين المعرفة ، والى أن النفط لم يتدفق فى خليج صحراوى خلو من معاناة الانسان التى اورثت اشكالا عديدة من المواقف السياسية والاجتماعية والفكرية . فاذا كان تدفق النفط وما جلبه من ثراء واهتمام هو بداية التعرف على انسان هذه الأرض فان المد لا يمكن له أن يغيب الوجه الحضارى لهذا الانسان مهما كانت هذه النظرة سائدة لغياب الوعى بالتاريخ ونتيجة طبيعية لاهتمامنا نحن أبناء الخليج بابراز الجوانب التى افرزتها الثروة ، واصرارنا جميعاً على تمثيل دور الباذخ المنعم المتهافت على المتع الحسية أمام الشعوب الأخرى ، وإغفالنا الجانب الثقافى والحضارى .

وفى أبعد أو أقرب نقطة الى الخليج ليست هذه النظرة السائدة هى نظرة المواطن العادى الذى لا يهمه أن يعرف كل شىء خارج دائرة حياته وإنما نظرة الكثير من المثقفين العرب والأجانب على حد سواء . فلا يأتى ذكر الخليج إلا فى كتب السياسة والاقتصاد والتخصص فى التاريخ أو الجغرافيا ، أما الكتب المعنية بالفنون والآداب فانها تقوم بمسح شامل لكل الدول العربية وتأتى على ذكر أدق وأصغر تفاصيل نشاطها الثقافى ولا تكاد تشير الى هذه المنطقة حتى بكلمة واحدة . والى ما قبل بضع سنوات لم يحدث أن كلف باحث عربى نفسه باعتبار الأدب في الخليج أحد الروافد الصغيرة لأدبنا العربى ، لانه ببساطة لا يعلم بوجود أثر لهذا الأدب بهذه المنطقة العامرة بشعرائها وأدبائها ومفكريها ، مكتفياً بالاشارات التعميمية الواردة فى كتب التاريخ الأدبى الى شعراء الجزيرة العربية القدماء . والمجلات والدوريات العربية التى تتهافت الآن على نشر اى كلام من أدب أبناء الخليج هى نفسها التى كانت تلقى بالجيد منه الى سلة المهملات حتى الستينات وأوائل السبعينات لعدم القناعة مسبقاً بأن المنطقة يمكن أن تفرز أدباً ذا قيمة فنية ، وكان حلم الشاعر أو القاص ذلك الوقت هو أن تنشر له مجلة أدبية فى القاهرة أو بيروت أو دمشق . وظل ذلك الحلم الى ما قبل سنوات قليلة صعب المنال لم يتحقق إلا فى الملاحق الدعائية أو الأعداد الخاصة التى تصدرها المجلات الأسبوعية وتقبض ثمنها مقدماً ، وضمن تحصيل الحاصل . فى الوقت الذى كانت الحركة الأدبية فى الخليج تبحث فيه عن متنفس لائق للنشر .

إن أية محاولة للتأكيد على وجود وقيمة الفكر والأدب والفن عندنا وامتداده الى أبعد الجذور فى الحضارة الانسانية لجديرة فى هذا الوقت بأن تعضد وأن ترفد بكل ما يدعو الى تأصيلها واستمرار فاعليتها . وستطلع على القراء العرب هذه الأيام مطبوعة خليجية جديدة باسم (اوراق خليجية) تصدرها مجموعة من مثقفى دولة الامارات العربية المتحدة بالتعاون مع دار الكلمة للنشر والتوزيع فى بيروت باشراف الشاعر حبيب الصايغ . من المؤمل أن تعنى هذه المطبوعة الجديدة بكل ما يمت الى الخليج بصلة من فكر وفن وأدب وتاريخ واجتماع ، محاولة أن تنقل الى القراء العرب أولا الوجه الآخر للخليج العربى .

وعلى الرغم من كثرة المطبوعات المشابهة الشهرية والدورية والفصلية الصادرة فى البلاد العربية ، وتنوع أهدافها واتجاهاتها فان أية مطبوعة ثقافية خليجية جادة هى بلا شك خطوة متقدمة للوقوف فى وجه موجة الالهاء والتسيب والخواء الثقافى السائدة الآن ، وعلامة مضيئة فى مجتمع بدأت تحكمه المادة وتجرى به عجلات الربح التجارى السريع .

وأياً كانت عوامل النجاح أو مبررات الفشل فى مثل هذه الطموحات فسيظل مجرد الهاجس الأصيل فى تأكيد وجودنا الثقافى هو الأمل فى التشبث بكل محاولة والعمل على انجاحها واستمرارها والبدء من جديد متى ما خانتها الظروف .

● تأكيد وجودنا الثقافي الجاد هو الأمل في مواجهة هذا الخواء الفكري

● أيها السادة : ما يطلبه هذا الناشر أقل من قيمة عجلة سيارة

■ السيد عبد الودود وقصص العرب

● من خلال الهاتف حدثني الرجل بلغة عربية مشوبة بلهجة مصرية صميمة طلب مني مقابلته لاستلام رسالة يحملها إلي من أحد الأدباء العرب . طلبت منه اسم الفندق ورقم الغرفة ، وودعته على أمل لقاء الغد .

● في أحد فنادق الدرجة الممتازة ، حيث الرواد عادة من رجال الأعمال واللصوص والخبراء ومدعي الخبرة ، تقدمت من موظف الاستقبال أستفسر عن اسم نزيل الغرفة المقصودة ، لأني لم أساله عن اسمه وهو لم يصر ساعتها على ذكره ، فأجابني الموظف بأن نزيل الغرفة انجليزي اسمه :..

ولم أدعه يكمل . قلت له : لقد اتصل بي أحد الأخوة العرب واعطاني رقم هذه الغرفة فاما أن يكون من مصر أو من السودان ، وليس أجنبياً ، فاكد لي الموظف معلوماته .

● وقفت برهة أراجع الرقم واسم الفندق المكتوب في مفكرتي ، ثم توجهت الى الهاتف الداخلي وأدرت رقم الغرفة فجاءني ذلك الصوت العربي نفسه ، وأخبرته بأنني في انتظاره بالصالة حسب الموعد .

● جاءني رجل أجنبي وقور في حوالي الخمسين بعيون زرقاء نافذة ، مد يده إلي باسماً : اسمي دينيس جونسون ديفيز . لقد قابلت صديقك فلان وأعطاني اليك هذه الرسالة ، هل يمكن أن نتحدث بعض الوقت ، إنني مهتم بترجمة الأعمال القصصية العربية الجيدة الى لغة الأدب الانجليزي الحديث ومحاولة نشرها والتعريف بكتابها على نطاق واسع الى قراء الانجليزية في كل مكان . أعلم أن لديكم بعض القصص الجيدة ، لكني لا أستطيع أن أحيط بكل ما صدر من قصص أريد أن ترشح لي أحسن ما عندكم في الخليج ، هل يمكن أن تساعدني ؟

● ودعت الرجل ووعدته خيراً في اليوم التالي . وبدأت أراجع الاسم في الذاكرة ... دينيس جونسون ديفيز .. لقد قرأت شيئاً عنه أو شيئاً له ، لقد مر علي هذا الاسم ، لكن اين ؟ وبدأت أقرأ رسالة صديقي ، واستطعت من خلالها أن اهتدي الى معرفة أكثر بهذا الرجل .

● استعرضت مكتبتي فوجدت للرجل كتابين بمشاركة الدكتور عز الدين ابراهيم - لم أقراهما - في ترجمة الأحاديث القدسية ، وهو ضرب من الأحاديث التي تروى عن النبي ، فيسندها الى الله عز وجل وبسبب هذا الاسناد اكتسبت هذه الأحاديث صفة القدسية ، الأول بعنوان «الأربعون النووية» للامام النووي ، والثاني الأربعون القدسية ، صدرا عن دار القرآن الكريم بدمشق وبيروت . وبدأت أقلب في بعض المجلات العربية .

● «في عام ١٩٧٦ ، إذ كنت أستاذاً زائراً في جامعة كاليفورنيا ببيركلي قررت

دينيس جونس ديفيز



لصف من طلاب البكالوريوس والماجستير ، مجموعة من القصص العربية المعاصرة ، التي اختارها وترجمها دينيس جونسون ديفيز ، ونشرتها مطبعة جامعة اكسفورد ، وذلك في دورة عن «الأدب العربي مترجماً» ، أي أن الطلاب فيها كانوا في غنى عن معرفة العربية ، وقد كان رد الفعل مثيراً حقاً ، من طلاب هم على قدر كبير من النضج والذكاء ، ففي البحوث التي كتبوها عن بعض هذه القصص ، كانت دهشتهم رائعة ، لأن يكتشفوا قصاصين كما قال أحد الطلاب ، لو لم يعرفوا أنهم عرب ، لحسبوا أن قصصهم جاءت عن قلم غوغول أو مكسيم غوركي ، وقال أحد الطلاب عن احدى القصص ، انها بدت وكأنها مجتزأة من رواية لكاتب من أعظم ما قرأ ... الخ» قرأت ذلك للاديب العربي الكبير الأستاذ جبرا ابراهيم جبرا في مجلة الأسبوع العربي عدد ١٠٦٣ الصادر بتاريخ ١٩٨٠/٢/١٨ .

● ذهبت لمقابلة الرجل مرة ثانية ومعي قائمة بأسماء كتاب القصة القصيرة في الخليج العربي الذين أصدروا مجموعات قصصية ، ونسخاً من المجموعات القصصية التي اخترتها حسب وجهة نظري لتمثل التيارات والتوجهات الحديثة في القصة القصيرة بالخليج ، وسلمته عنواني رابطة الأدباء الكويتيين وأسرة الأدباء والكتاب في البحرين ، لمزيد من التفاصيل . وبدأ حبل الود يجر الحديث ...

● حدثني الرجل باخلاص وتعاطف وحماس للعرب ولآدابهم وحضارتهم العريقة . فهو من مواليد كندا عام ١٩٢٢ يحمل الجنسية الانجليزية ، درس في جامعة لندن ثم كامبرج ، وتتلمذ على يدي الشيخ محمد محمود جمعة المدرس بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ويدي المستشرق المشهور نيكلسون وحاز

المؤتمر العادى الخامس لوزراء الاعلام فى دول الخليج العربى الذى إنعقد بالدوحة فى فبراير ١٩٨٠ .



درجات علمية عالية فى اللغة العربية والاسلاميات . بدأ اهتمامه بترجمة القصص العربية الحديثة الى الانجليزية عام ١٩٤٢ ، سافر الى مصر عام ١٩٤٥ ليعمل مدرساً للأدب الانجليزى والترجمة العربية .. ومايزال.

● نشر على حسابه الخاص ترجمة لمجموعة قصصية مختارة لمحمود تيمور عام ١٩٤٦ ، بالتجربة العملية أيقن بأن الجهد الفردى محدود الفاعلية ، فاتفق مع دار جامعة اكسفورد للنشر بلندن على اصدار مجموعة من القصص العربية الحديثة المترجمة بالاضافة الى مسرحية (يا طالع الشجرة) لتوفيق الحكيم التى اعتبرت حين صدورها أول مسرحية عربية تترجم الى الانجليزية .

● لم تتطوع أية جهة عربية لشراء نسخة واحدة من هذه الترجمات .

● عندما ترجم (عرس الزين) للطيب صالح وعرض نشرها على نفس الدار اعتذرت لانعدام تشجيع خطواتها الأولى من قبل أجهزة الاعلام والثقافة العربية . انتقل الرجل للتعاون مع دار (هاينمن) وهى ثانى أكبر دار نشر بريطانية ، فنشرت له (عرس الزين) ضمن سلسلة كتاب أفريقيين ، وكذلك (موسم الهجرة الى الشمال) لنفس الكاتب .. وتوالت الاصدارات (السلطان الحائر) ، (مصير صرصار) ، (أغنية الموت) ضمن نفس السلسلة . آخر كتاب تحت الطبع الآن عن الشاعر الفلسطينى محمود درويش .. مختارات من أشعاره ودراسة مستفيضة عن أدب المقاومة الفلسطينية .

● استمرت الدار فى نشر أربعة كتب مترجمة عن الأدب العربى كل عام ، ستضطر هذا العام الى تخفيضها لكتابين فقط ، وربما فى العام الذى يليه الى كتاب واحد .. ثم تتوقف ، وتضرب عرض الحائط بكل ما هو عربى إزاء المصاريف التى تتحملها لتمويل مشروع الترجمة والطبع وتؤثر السلامة على التصدى غير المباشر للدعاية الصهيونية والعداء السافر ضد العرب فى أوربا .

● كانت الدار تطبع من كل ترجمة ثمانية آلاف نسخة يقرأ كل نسخة حوالى خمسون قارىء ، حسب المعدل العالمى لقراء اللغة الانجليزية . وتذكرت شيئاً ..

● .. «إن وزراء الاعلام فى دول الخليج العربية المجتمعين فى مؤتمرهم الخامس فى الدوحة بدولة قطر (فبراير ١٩٨٠) ... بعد أن أجروا مشاورات ومداولات مستفيضة حول الحملات الاعلامية الجائرة التى توجه الى الأمة العربية وبصورة خاصة الدول العربية فى منطقة الخليج من قبل أجهزة الاعلام الأجنبية ، فانهم يرون أن على الدول العربية واجباً قومياً هو القيام بجهود اعلامية منسقة وفى اطار نظام اعلامى عربى جديد يوضح التوجه الحقيقى الصادق لشعوب الأمة العربية وسعيها الدائم لخدمة الحضارة والتقدم الانسانيين ومناصرة الحقوق المشروعة وترسيخ الاستقرار ونشر الرخاء والسلام فى أرجاء العالم .» (من اعلان الدوحة) .

● قلت لصاحبى : ما الذى يحتاجه مشروعك كي يستمر بنفس نشاطه السابق ؟ قال وهو يحدق فى وجهى مبتسماً ، ويمس جرحاً ما بداخلى : إننى أحاول أن أقنع بعض الجهات العربية رسمية أو أهلية بأن تشترى من الناشر مباشرة كل عام عدداً من النسخ مساهمة فى تغطية الخسائر ، لا أريد أكثر من ذلك .

ـ هل لاقيت تجاوباً من أحد ؟

ـ إننى أتعثر ، ولم تسنح لي فرصة لتوصيل ما أريد .. انكم هنا مشغولون جداً ، هل تعتقد بأن ما أطلبه كثير ؟

ـ لا ، أتمنى لك التوفيق .. يا سيد ديفيز .

ـ عبد الودود ، منذ أكثر من ثلاثين سنة واخوانى وأصدقائى وتلامذتى فى مصر يصرون على تسميتى عبد الودود .

● أيها السادة ، إن ما يطلبه الرجل من كل دولة عربية أقل من قيمة عجلة سيارة.



جو جول



مكسيم جوركى



محمود تيمور



توفيق الحكيم



الطيب صالح



محمود درويش

في وراع السيدة الخضراء



عندما يُغرقُني المَدُّ
ويمحو ذكرَايَ الأسْفَلْتُ
وتبقَيْنَ بجوفِ التُّربةِ السَّمراءِ
عِرْقًا واهنًا .. ذكرى حياةْ
لملايينِ البواسِقْ
سيِّداتِ الشَّجرِ المُعْطِي ، وَكُنْتِ امْرَأَةَ البَحْرِ ،
يَذُوبُ البَحْرُ وَجْدًا ، عندما يَجْثُو كليمًا
يَغْسِلُ الأَقْدَامَ حُبًّا .. ثُمَّ يَرْحَلْ
فإذا عادَ شَرِبْتِ دَمْعَهُ المَالِحَ ، كُنْتِ خَادِمَ
البَيتِ ، مَلاذَ المُتْعَبِ المُضْنَى وَأُمَّ الفُقَرَاءْ
حَيْثُمَا امْتَدَّتْ على الأَرضِ فَلاَةْ
شَابِتُ أَصْلُكِ ، فَرْعَاءُ ، رَذَاذُ الغَيْمِ يُقْرِيكِ
سَلاَمَ النَّهْرِ والبَحْرِ وأَجْرَامَ السَّمَاءْ

ماالذي يُمْكِنُ للطِّفلِ الذي يَغْفُو على حُضْنِي أَقُولْ
عِنْدَمَا يَلْمَحُ ظِلًّا لبَقَايَاكِ بأَطْرَافِ الحُقُولْ
ويُغَنِّي بعْضَ مَا جُنَّتْ به الدُّنيا
وَمَاتَتْ مِنْ تَبَارِيحِ أَسَاهُ الشُّعَرَاءْ

ماالذي يُمْكِنُ يا سيِّدتي الخَضْرَاءُ ؟ والدُّنيا تُغَادِرُ
لوْنَهَا الأَخْضَرَ ، والأَرْضُ التي كَانَ لَهَا عُرْسُ البِذَارْ
قَتَلَتْ أَشْوَاقَهَا الحَرَّى
وقَالَتْ للرِّجَالِ الجُوفِ : هَاتُوا
كُلَّ مَا تَبْغُونَهُ آسْمَنْتَ وَقَارْ.

علي عبد الله خليفة

حوار مع: فتاة مثقفة!

د. يحيى الجمل

لم تكن مجرد فتاة جامعية وإنما كانت أكثر من ذلك سعة ثقافة وقوة شخصية ورغبة صادقة فى فهم الحياة وزيادة المعرفة ، وكانت إلى جوار تفوقها فى دراستها الجامعية تحب الاطلاع وتهوى القراءة وتحاول كتابة القصة وتتذوق الشعر ، ولم يكن إطلاعها قاصراً على العربية ، بل كانت ذات باع واسع فى معرفة اللغة الانجليزية والاطلاع على آدابها ، ولذلك كله فان الحوار معها – رغم فارق السن الكبير وما قد يكون من فوارق أخرى كثيرة – كان يشعرنى بغير قليل من المتعة والراحة فى وقت عز علينا فيه معشر الأساتذة أن نجد بين طلابنا والقريبين منا من يحسنون حتى إلقاء السؤال أو الاستماع إلى جوابه .

وكانت إذا بدأت حواراً حول موضوع تحرص على أن تحدد هدف الحوار ولا تحب أن تقفز من موضوع إلى آخر دون أن تستوعب ما بدأته ، أو دون أن يصل النقاش إلى غاية ، وكانت تضجر من زملائها وزميلاتها عندما ينتقلون من موضوع إلى آخر لاصلة له به أو عندما يطرحون أموراًتبدو لها تافهة لا تستحق مجرد الاثارة فضلا عن المناقشة .

جاءتنى يوماً تزف إلى نبأ حصولها على منحة علمية تتيح لها أن تسافر إلى بلد من بلاد الحضارة تقضى فيها عاماً جامعياً ، وكان وجهها ينبىء عن سعادة غامرة ، وهى تسألنى الرأى فى أمر سفرها واغترابها عن أهلها ووطنها لمثل هذه المدة الطويلة لأول مرة ، وزادت سعادتها عندما وافقتها على قبول المنحة وشجعتها على السفر قائلا إنها إضافة ضخمة يا ابنتى لحياتك وتجربتك وثقافتك . اذهبى على بركة الله ولكن لا تنفصلى عن جذورك وأصولك . اذهبى يا ابنتى وحاولى أن تحصلى من العلم قدر ما تستطيعين وحاولى أيضاً قبل ذلك وبعد ذلك أن تثرى حياتك وأن تعمقى جوانبها نتيجة لاحتكاكك بأقوام آخرين وبأنماط من السلوك والتفكير مختلفة عما تالفين .

وكنت أعرف أنها خرجت لتوها من تجربة فاشلة من تلك التجارب التى يمر بها الشباب فى مثل سنها ، ويحسون أثناءها أن الكون كله قد توقف عند تلك التجربة حتى إذا انتهت إذا بهم يفاجأون أن الكون هو هو لم يتغير فيه شىء قط ، وأن هذه التجربة لا تزيد عن أن تكون نقطة مضافة فى تيار الحياة المتدفق .

الحياة السعيدة

وانتقل بنا الحديث من موضوع إلى موضوع ... إلى أن سألتنى :

– ما رأيك فى الحياة السعيدة على ضوء ما مر بك من تجارب الحياة ؟

وأنصت غير قليل ، ثم قلت لها :

هل تقبلين أن أدخل على سؤالك نوعاً من التعديل اليسير ؟

قالت : لا ضير ، ولكن ما هو ذلك التعديل الذى تريد أن تدخله على السؤال ؟

قلت لها : دعينا نتحدث عن الحياة الموفقة بدلا من الحديث عن الحياة السعيدة .

وأجابت : لا بأس ولكن ما الذى يدعوك إلى هذا ؟ عهدى بك أنك حريص الحرص كله على انتقاء اللفظ واختيار الكلمات ، ولابد أن يكون لذلك التعديل هدف تقصد إليه من ورائه .

نعم ، يا ابنتى ، ذلك أن الحديث عن السعادة أمر يضرب بنا فى غيابات بغير حدود ، وأنا أعرفك ، تحبين الكلام الواضح المحدد ، وما أظن أن الحديث عن السعادة والحياة السعيدة يمكن أن يكون حديثاً واضحاً محدداً ، إذ كيف يكون الوصف واضحاً إن لم يكن الموصوف كذلك ؟ ما أكثر ما اختلف الفلاسفة والمفكرون حول معنى السعادة ولا يزالون مختلفين . قد أقول لك – وهذا هو رأيى على أى حال – إن السعادة تقوم على أمرين أحدهما إيجابى والآخر سلبى ، ومع ذلك فهما وثيقا الارتباط : الشعور بالرضا والشعور بالاستغناء أرأيت يا ابنتى أننا منذ البداية سنضرب فى غيابات يتوه فيها أمثالنا ممن عركوا الحياة وعركتهم الحياة ، فما بالك أنت ، وأنت تدلفين ببراءة على عتبات الحياة ؟ أليس الأولى بنا أن نتحدث عن الحياة الموفقة ؟ إننا عندئذ سنكون أقرب إلى الأرض وإلى واقع الحياة . وأحب أن أتأكد أنك تعنين بالسؤال الحياة الموفقة بين الزوج والزوجة ، أليس هذا هو ما تقصدين من وراء السؤال ؟ .

قالت ، بل هو ذلك ، وإن لم أرد أن أضع السؤال على هذا النحو المكشوف ، وآثرت أن أطرحه عاماً بغير تحديد . قلت لها : لك العذر ، ففى مثل سنك لا يطرح

السؤال إلا على النحو الذى طرحته ، ولا يفهم إلا على النحو الذى فهمته ، فهو إذن يا ابنتى سؤال لا ينقصه الوضوح ولا التحديد .

والحق معك يا ابنتى ، فالحياة الخاصة الموفقة هى مطلب كل فتى وفتاة بل هى مطلب كل رجل وكل امراة فى كل مكان ومع ذلك فما أكثر ما نرى حولنا من حيوات ممزقة ومن كائنات تعيش مع بعضها لا يكاد يجمع بينها شىء على الاطلاق . وما أكثر ما ينجم عن ذلك من تعاسة وإحباط .

دعائم ثلاث

أتصور يا ابنتى أن الحياة الموفقة تقوم على دعائم ثلاث ، إن اجتمعت أدت إليها ، وإن اختفت عز معها التوفيق ، أما هذه الدعائم فهى : الاحترام المتبادل ، والفهم المتقارب ، والمقدرة على التسامح .

الاحترام المتبادل يجعل لكل من الطرفين قيمة فى نظر صاحبه . يجعل العلاقة بين طرفين حقاً . تصورى أنك تعيشين مع إنسان لا تجدين فى نفسك احتراماً له ، إنك بالضرورة لن تجدى له فى نفسك مكاناً ، ومن ثم لن تقوم علاقة حقيقية بينكما ، وهذا الاحترام المتبادل لابد وأن يستقر على قيم موضوعية ، يجدها كل طرف لدى الطرف الآخر .

والعلاقة السابقة على الحياة الزوجية بالغة التأثير على هذه الحياة عند قيامها ، وهناك أمور لا تنسى ، وهناك أمور تحفر فى الذاكرة حفراً ، وقد تتصرف الفتاة قبل الزواج بخفة أو بحسن نية أو نتيجة الثقة الزائدة تصرفات معينة مع زوج المستقبل ، فاذا بهذه التصرفات تكون هى بذاتها سبباً لعدم وجود احترام الفتى للفتاة ،أو العكس ، ولابد أن يلقى هذا بدوره ظلالا كئيبة على الحياة الزوجية قد تؤدى إلى تحطيمها تحطيماً .

الاحترام المتبادل يا ابنتى أساس صلب للحياة الموفقة ، وأوشك أن أقول إن هذا الشعور ضرورى للاستقرار النفسى عند الفتاة أكثر منه عند الفتى ، وعلى ذلك فقد يكون هذا الشعور مطلوباً عندها بدرجة أكبر مما هو مطلوب عند صاحبها وقد يكون ذلك أحفظ لحياتها المقبلة ، وأصح نفسياً للاطفال عندما يجيئون إلى هذه الدنيا . إن الشعور بالأمان لدى الطفل أحد مصادره الكبرى : صورة الأب والأطفال مرهفو الشعور ، إلى درجة قد لا يعيها معشر الكبار ، وإحساس الطفل باكبار أمه لأبيه واحترامها له ، يعمق الشعور بالأمان لدى الطفل ، ذلك أنه فى العلاقات النفسية فان الأب مصدر الشعور بالأمان أساساً ، ذلك على حين أن الأم هى مصدر الشعور بالحنان ودفئة الأمران لازمان لكى تنشأ الطفل نشاة نفسية سوية .

أرأيت يا ابنتى أن هذا الاحترام المتبادل أساسى وجوهرى للحياة الموفقة

الدعامة الثانيــة

ـ حقاً ما تقول ، لقد انتهت تلك التجربة السريعة التى مررت بها لأننى أحسست بعد فترة قصيرة أننى لا أستطيع أن أجد ما أحترمه لديه احتراماً حقيقياً . ثم ماذا عن الدعامة الثانية ؟ .

ـ مساحة من الفهم المشترك يا ابنتى . لابد من قدر من اللقاء الذهنى على أمور واهتمامات مشتركة . لا أقول إن الأفكار يجب أن تكون متطابقة ، فان ذلك أدخل فى باب المحال ، ولكنى أقول إن هذه الأفكار يتعين ألا تكون متناقضة تناقضاً كاملا إذا كنت يا ابنتى ممن يهتمون بالقراءة والاطلاع مثلا ، فلن تجدى راحة مع رجل يكره الكتاب وينفر من الاطلاع . وإذا كنت ترين الحياة هى السهر والنوادى والمجتمعات فانك لن تجدى الراحة مع رجل يحب الهدوء والبيت ويميل إلى العزلة ، والعكس أيضاً صحيح . وإذا كنت ممن يحبون جمع المال واكتنازه ، فانك لن تجدى نفسك مع رجل كل همه ينصرف للبحث العلمى مثلا هذا هو ما أعتقد يا ابنتى ، وجود مساحة من الأرض الذهنية المشتركة ، مع يقينى أن التطابق غير ممكن ، بل قد يكون غير مرغوب فيه ، حتى لو كان ممكنا ، ذلك أن التعدد فى المواهب يعطى الحياة نوعا من الثراء والتكامل .

قالت : لكأنك تعنى ما كان من أمر تلك التجربة العارضة التى بدأت بنوع من الاعجاب العارض ثم تكشفت ، فاذا بنا نجد أن كلا منا يعيش فى عالم مبتوت الصلة بعالم الآخر واهتماماته .

القدرة على التسامح

أما الأمر الثالث يا ابنتى فهو القدرة على التسامح . إذا كان فى امكانك أن تتصورى إنساناً كاملا ، إنسانا بغير



حوار مع: فتاة مثقفة!

أخطاء ، إنسانا بلا نواقص ، فقولى إن التسامح فى الحياة غير ضرورى ، أما حياتنا هذه فلا يوجد فيها من لا يخطىء ، ولا يوجد فيها الكمال ، لأنها بطبيعتها محدودة وناقصة ، فانها لا يمكن أن تسير وتستقيم بين اثنين إلا إذا كان لدى كل منهما الرغبة والمقدرة على التسامح أحياناً .

هذه يا ابنتى فيما أرى دعائم الحياة الموفقة ، إن اجتمعت كان من نتاجها حياة رضية هنية تنتج خيرا ، وان فقدت تهدد تلك الحياة من المخاطر بقدر ما نفقده من العناصر الجوهرية .

قالت : أوشك أن أتفق معك فى كل ما قلت ، ولكنى أخالك نسيت أمراً خطيراً بالغ الخطورة .

ـ وما هو ذاك الأمر الخطير ؟!

ـ الحب . الحب يا سيدى الأستاذ . هل تتصور الحياة الموفقة تقوم بغير حب ؟

لقد كنت أنتظر ذلك السؤال وكنت قمينا أن أتعجب لو لم تسأليه .

ـ الحديث عن الحب يا ابنتى مثله مثل الحديث عن السعادة يدخل بنا إلى الغيبيات من أوسع أبوابها ، الحب يا ابنتى هو أعمق ما فى الحياة ، وأغلى ما فى الحياة ، وأروع ما فى الحياة ، وهو لذلك كله ، ومن أجل ذلك كله عصى على التحديد والتعريف . وعندما أصف الحب على هذا النحو ، أعنى الحب الناضج ، ولا أعنى تلك الضرورات التى يحس بها الشباب تثور أحيانا ثم تمور وكأنها ما كانت ، وهى أمور طبيعية فى حياة الشباب لابد وأن تكون ، ولكنها يا ابنتى ليست هى الحب ، وأخشى أن أقول لك إن الحب نفسه ذلك الاحساس الرائع والعميق ، يصعب أن يوجد ويستحيل أن يستقر وأن يستمر بغير احترام متبادل وفهم مشترك ومقدرة على التسامح بين الحين والحين .

وثقى يا ابنتى أنه ليس أحب إلى نفسى من أن أراك أنت ولداتك تعيشين تلك الحياة المرضية الموفقة التى يفتقدها فى دنيانا هذه كثيرون .. كثيرون .

د. يحيى الجمل

إدارة الكهرباء

إعلان

إلى السادة الملاك والمقاولين الكهربائيين

تلفت هذه الإدارة النظر إلى أنها تتلقى العديد من الشكاوى الخاصة بخلافات تقع بين الملاك والمقاولين الكهربائيين بسبب النواحي المالية أو تأخير المقاول في التنفيذ أو تغيير المقاول إلى المستوى الأعلى أو الأقل ، والنظر في هذه الخلافات ليس من اختصاص هذه الإدارة ، وإنما يجب أن يقوم بحلها المعنيّون أنفسهم حيث أن الإدارة تقوم فقط بإبداء الرأي الفني أمام الجهات القانونية المختصة إذا طلبت هذه الجهات ذلك .

إدارة الكهرباء

الترويض

مريد البرغوثي



تقول : الفضاء الفضاء
وتركض نحو الشباك !

ألا تستطيع التلاقى بنفسك ؟
كل المرايا تكذبك الآن
لا أنت ذاك المزنر بالشمس
والمتلألىء كالبحر عند الشروق
ولا أنت كالصورة المطمئنة فى صفحة فى الهوية
كل ملامحك اليوم مسلوبة
والمسافات زائفة من خطاك .
لقد حددوك كأن الفضاء حواليك سور
وقد حاصروك كأن الخلاء حواليك يوم النشور
وقد أفردوك كأن البلاد خلت من سواك !

ومازلت تستهجن الحادثات
وتبكى كطفل نجا بعد قتل ذويه

وتسمع عبر المسافات من غابة العنف صوتاً
تصيح : «هو الصوت»
لكنما
يجيء مروضك المتبهرج
بالسوط ، والسكرية ، والمكر ،
والزركشات المضيئة فى ضجة العازفين
وفى بهجة المذبحة :

على عنق النمر سلسلة من ذهب
على لبدة السبع شال الحرير
على قدم المهر خلخال فضه

تساقطت الآن كل الصفات عن الوحش
إذ اتقن الركض بين الاطارات
حتى تمكن هذا المروض أن يعتليه
فما عاد فى قاعة الضوء وحشاً
وإن عاد للغاب أضحى فريسة من يشتهيه !
روضت
ـ لم اكتهل ـ
غير انى أضعت صباى
تساقطت الآن عنى خصالى وأوصاف قلبى
فبت أرى فى المرايا سواى !
واستهجن الحادثات
وأبكى
كشيخ نجا بعد قتل بنيه

ومازلت أسمع صوت المروض
مبتهجاً
وتعاليمه مستجابه
يروض وحشاً ، فيحرق غابه !

مازلت أسمع عبر المسافات من شجر العنف
صوتاً ، يحاول أن ..
يقترب .

حسّان عطوان

ملامح الشعر الخليجي القومي
في مرحلة ماقبل ظهور النفط



لا أظن أن الدراسة المتانية للشعر العربى فى الخليج ، تكتسب توازنها ، ما لم تقف وقفة موضوعية أمام الأطر التاريخية ، التى شكلت حضارة هذه البلاد العربية الاسلامية ، الضاربة عمقاً فى جذور الزمان ؛ الى حقب قد لا تعيها الذكريات ؛ فى محاولة للربط الموضوعى بين (ثقافة الجزيرة العربية والخليج) من جهة ، كأساس ومنبع ؛ وبين ثقافة الشمال العربى وغربه ؛ فى المساحة الممتدة ما بين (العراق ، والشام ، ومصر والشمال الأفريقى) من جهة ثانية .. إذ لا معنى من فهم الشعر العربى فى الخليج والجزيرة ـ خارج إطار المعطيات الحضارية العربية الاسلامية الواحدة .. وكل دراسة أو فهم خارج هذا الواقع الموضوعى ؛ يعد خاطئاً ومبتسراً ...

إذاً .. لا مناص من إطلالة سريعة ، ومكثفة .. على العمق الثقافى للخليج ...

الجذور العربية فى الخليج

توافق المؤرخون أن «بلاد العرب» الأولى ؛ هى تلك البلاد المترامية من (سورية) وبلاد ما بين النهرين فى الشمال ؛ وفى هذه الرقعة المترامية الأطراف تنامت حضارة مزدهرة .. منها (الأكادية ؛ والبابلية والآشورية والفينيقية فى الشمال) ؛ و (المعينية والسبئية فى الجنوب) .. وخلقت هذه الحضارة فى نهاية الأمر أمة عربية متجانسة ؛ وكان الشعر قبل الاسلام .. عاملا وحد العرب ثقافياً ونفسياً وهيأهم لقبول الاسلام وتبنيه ؛ والذى نزل بلغة عربية (قرشية) صافية .. إذ كانت تلك الأقوام العربية الأولى تتخاطب بالشعر وتتفاهم به ؛ وتضمنه بوحها وشجونها ؛. وكانت الجزيرة العربية مفتوحة دائماً للتمازج والاندماج الحضاريين منذ القديم إذ أشعت عليها أنوار التأثيرات المصرية ؛ والبابلية ؛ والبيزنطية ؛ هذا الاتصال الحضارى .. جعل الخليج غير معزول عن التفاعل مع الحضارات الانسانية منذ القديم .. والى أزمنة لا تعيها الذكريات .

- لامعنى من فهم الشعر العربي في الخليج خارج إطار الثقافة العربية الإسلامية
- تألق الشعر العربي في الخليج .. عبر أصوات شعرية خالدة
- استجاب الشعر القومي الخليجي لمخاضات الأمة العربية وعبر عن ظواهرها العامة

كان الخليج العربى ؛ على اتصال وثيق بحضارة (السومريين والآكاديين) منذ أقدم العصور ، يكاد يرجع الى (٣٠٠ ق.م) حيث نشأت صلات تجارية بين السومريين والأكاديين والبحرين ، لاستيراد النحاس والخشب من منطقة (مكان) ..

ونتيجة لازدهار الحضارة فى الألف الأولى قبل الميلاد ؛ فى جزر اليونان وحوض المتوسط وبروز الحاجة الى مواد التجارة الأولية من جنوب بلاد العرب ... فقد أصاب المنطقة العربية ثراء كبير ؛ وظلت هذه المنطقة معبراً تذرعه القوافل؛ ولا يخفى ما لهذا الوضع من آثار اجتماعية وثقافية واقتصادية ... حتى سميت هذه البلاد (ببلاد العرب السعيدة) .

قال المؤرخ اليونانى الشهير (هيرودتس) عام (٤٠٠) ق.م «إنها أغنى مكان فى العالم وأكثره ثراء ورخاء .. وأن فى العاصمة السبئية (مأرب) ؛ قصوراً لها أبواب من ذهب مليئة بأوانى الفضة مما جعل المنطقة العربية ، مطمعاً مهماً للغزاة» .

غير أن العرب لم يفقدوا سطوتهم .. فظلت مملكة (الحيرة) جنوب العراق قوة ضاربة فأسست دولة اللخميين فى المنطقة الممتدة بين (الامارات العربية) الآن وبادية الجزيرة الفراتية ، على حفافى الفرات الأعلى ، غير بعيد عن مدينة (الرقة) السورية الآن أو (الرها) ..

كل هذا يقطع لنا بالدليل الأكيد . أن (الخليج والجزيرة العربية وبلاد العرب الأخرى) شكلت وحدة ثقافية وفكرية . نابعة من جذور حضارية واحدة ..

الاسلام والوحدة الثقافية

اذا تجاوزنا العصور الموغلة فى القدم .. حيث يتناهض الاسلام .. ليوحد بشكل جذرى القبائل العربية فى بوتقة وإطار فكرى وسلوكى واحد ؛ نجد شعراء من العرب المسلمين .. يشيدون بالاسلام .. وفتوحاته فيما بعد .. وليسهم الشعر أيضاً جنباً الى جنب فى توطيد أركان الدولة العربية .. فتقرأ لشاعر (خليجى) من قطر .. وهو «قطرى بن الفجاءة» كان خارجياً إذ يقول :

أقول لها وقد طارت شعاعاً
من الأبطال ويحك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم
على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبراً فى مجال الموت صبراً
فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حى
فداعيه لأهل الأرض داع ..

وتعاقبت على الخليج .. دعوات فكرية .. حققت انعطافات مهمة فى الفكر العربى والاسلامى . منها (حركة الزنج)التى امتدت فيما بين (العراق والبحرين) بقيادة «على بن محمد» (٨١٦ – ٨٨٣ م) و (الحركة القرمطية) بقيادة (أبى سعيد الجنابى) وامتدت بين (البحرين ؛ والمناطق الشرقية وقطر) .. حتى سقوطهم أمام (العيونيين – نسبة الى العيون بالاحساء) ..

ولا سبيل الى الخوض فى تفصيلات أدبية .. وشعرية فى هذه الحقبة ؛ إذ يكفى أن نعرف أعلام الشعر العربى فى الاسلام . والعصر الراشدى . والأموى . والعباسى .. لنقول : إنهم نتاج هذه الحضارة التى تنامت بكل معطياتها وتفاعل أحداثها ؛ فيما بين الخليج والجزيرة وبقية البلاد العربية الأخرى ؛ التى انضوت تحت لواء الاسلام ..

وتوالت فيما بعد الغزوات الاستعمارية المعروفة على الوطن العربى الكبير ؛ فأصاب الخليج ما أصاب بقية الدول العربية . من استعمار (برتغالى) عام ١٥٠٨ م ؛ و (اسبانى) عام ١٥٨٠ م . و (هولندى ، وفرنسى ، وعثمانى) فيما بعد ..

إزاء كل هذه الظروف الطبيعية الواحدة فى الخليج والجزيرة العربية تشكلت ثقافة وحضارة واحدة ، وذات سمات متجانسة ومتشابهة إذا لم نقل متطابقة .. وهى فى التحليل النهائى ؛ غير منفصلة ولا بعيدة عن ثقافة بقية المناطق العربية الأخرى شمالا أو غرباً .. وما يدلل على ما نذهب اليه (تقارب اللهجات الشعبية) و (توحد الكيانات اللغوية العربية) .. وهم بالتالى قد كتبوا أدباً وشعراً وفكراً يتسم بطوابع مشتركة وملامح متقاربة وموحدة .. وقد طرقوا مواضيع واحدة لاشتراكهم فى بيئة ومناخ وتحديات وحدت رؤيتهم وفكرهم وأنشطتهم .. وهذا ما نجده فى شعر رواد الخليج ..

مع الرواد الأوائل

ولعل أية اضاءة لمرحلة الرواد من مثقفى وشعراء الخليج تقتضى من الباحث تقصى أولئك الشعراء الذين مثلوا المراحل التاريخية التى مر بها الخليج أصدق تمثيل .. من هؤلاء (عمرو ابن قميئة) .. وهو شاعر جاهلى من قبيلة بكر بن وائل ، وقد استوطن (البحرين الكبرى) .. وأود أن أنوه هنا أن البحرين الكبرى تطلق على الخليج من البصرة حتى عمان .. فيما يطلق اسم (أوال) على (البحرين الحالية) .. ومن أولئك الرواد (سعد بن مالك) جد الشاعر طرفة بن العبد ..

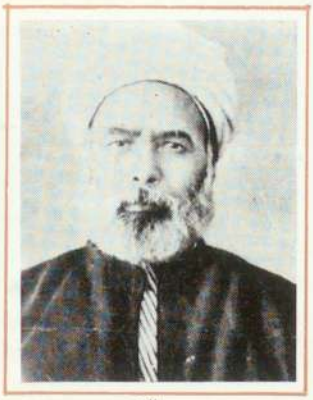
ومن شعراء الخليج أيضاً .. (المتلمس) العبدى . و(المرقش الأكبر) المتوفى عام ٥٥٢ م و(المرقش الأصغر) و(المثقب العبدى) و(المزق العبدى) وهو فحل من فحول شعراء البحرين ؛ و (الجمال العبدى) .. وهو شاعر بنى عبد القيس ؛ و (نفيل العبدى) و (ابنته) ولها مراثى شعرية عذبة . و (الخرنق) وهى أخت (طرفة بن العبد) .

ومنهم أيضاً ظهر شعراء خليجيون ؛ فى العصر الجاهلى هم :

(توبة بن مضرس) و (مالك بن عروة) و (حريث بن الزبرقان) و (المفضل العبدى) و (المخضع) و (الحصين)

ملامح الشعر الخليجي القومي
قبيل مرحلة ماقبل ظهور النفط


خالد محمد الفرج


الشيخ محمد عبده

● قدّم شعراء الخليج البدائل الموضوعية لنهوض الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي

و (جدل بن اشمط) و (أسامة بن ربيعة) و (ثعلبة بن حزن) و (ربيعة بن توبة) و (منقذ بن هلال الشيني) و (هرم بن حيان) و (عمرو بن هبيرة) و (أنس بن مساحق) و (معارك بن مرة) و (زيد بن خذاق) و (مسعود بن سلامة) و (مويلك ابن قابس) و (نشبة بن عمرو) و (النعمان بن حنظلة) و (عمرو بن مرة) و (عطارد بن حاجب) و (عمرو بن أوس ابن عصية) و (مقاتل بن مسعود) و (سلمة بن حبابة) .

وما إن حل الاسلام .. حتى رأينا من شعراء الخليج من الأمويين والخوارج .

(نصر بن نصير) و (الجارود بن بشر) و (محمد بن سهل) و (الصلتان العبدى) و (زياد الأعجم العبدى) و (الأعور الشينى) و (كعب الهجرى) و (رشيد الهجرى) و (ابن الجويرية) و (عمرو بن اسوى) و (ابن ثمامة العبدى) و (قطرى ابن الفجاءة) و (كعب بن جابر العبدى) و (عيسى الحظي) .

أما فى العصر العباسى .. فمنهم :

(يحيى العبدى) و (الأعصم) القرمطى الشهير ، و (ابن أسلم العبدى) و (كشاجم) القرمطى ؛ و (علي بن المقرب العيونى) .. وهو من كبار شعراء الخليج (والشيخ ميثم) وفيما عاش فى الخليج شعراء فى العصور المتأخرة حوالى القرن العاشر الهجرى : (ابراهيم بن سلمان القفطى) و (حسين بن مفلح) و (عبد الرؤوف المسوسوى) و (محمد آل شبانة) و (ماجد الصادقى) و (أبو البحر جعفر الحظي) و (محمد سعيد آل عمير) و (أحمد آل عبد القادر) المتوفى عام ١١٩٤ هـ ؛ و (حسين بن غنام) المتوفى (١٢٢٥ م) ؛ و (أحمد بن مشرف) المتوفى (١٢٥٨ م) و (أبو بكر الملا) و (محمد بن أبى جمهور) و (يوسف بن أحمد الدرازى) و (أحمد بن مهدى) و (علي حسن البلادى) و (حسن علي البدر) و (عبد النبى المانع) .

شعراء العصر الحديث التيار الوطنى

يتميز شعر (أجيال ما قبل النفط) بتيارات متعددة منها (التيار الوطنى) والتيار (القومى الوحدوى) والتيار (الاصلاحي) .. والتيار (التأملى) ..

ولعل أبرز ملامح شعراء التيار الوطنى ؛ أنهم أسهموا بقسط وافر فى تسجيل وقائع الحروب والمعارك ؛ ومن أبرز أولئك الشعراء (عبد الجليل الطباطبائى) العراقى الأصل والمولد ، الكويتى المقام .. الخليجى الثقافة . وقد اضطلع بمهام سياسية مهمة فى (امارة العتوب) الناشئة بزعامة (آل خليفة) .. وانتقل بعدها عام (١٨١٠ م) من (الزبارة) فى قطر الى المحرق فى البحرين .. وفى عام ١٨٤٣ .. هبط الكويت بعد حياة عاصفة مضطربة . وتوفى عام ١٨٥٣ ميلادية .

ونجد أن من سمات شعر هذا الجيل ؛ كان المديح والوصف يغلب على خصائصه الشعرية العامة شىء من محاكاة الشعر الجاهلى . مع مسحة دينية واضحة ومن هؤلاء الشاعر أحمد ابن مشرف .. إذ يصف صراع السعوديين مع غيرهم من القبائل بقوله:

لك الحمد اللهم ما نزل القطر
وما نسخ الديجور من ليلنا الفجر
وما هبت النكبا رخاء وزعزعاً
على نعم لا يستطاع لها حصر
فمن ذلك الفتح المبين الذى له
تهلل وجه الدين وابتسم الثغر ..
فناهيك من فتح به أمن الفلا
وأسفرت البلدان وابتهج الحضر
قبائل عجمان وفيها شوامر
ومن لحسين ينتمون وما بروا ..

وقد صور هذا الجيل بصدق ؛ واقع التناحر القبلى .. وشجعوا على تأجيج نار الحروب .. دون أن يكون لهم أى موقف اصلاحى .. أو رادع .. فها هو الشاعر يهدد جميع البوادى العربية والقبائل التى لا تنضوى للطاعة ..

فقل للبوادى : قد نكثتم عهودكم
وذقتم وبال النكث وانكشف الأمر
فعودوا الى الاسلام واجتنبوا الردى
وإلا فلا يؤويكم السهل والوعر
وننذركم من بعدها أن من عصى
فأفسد أو شق العصا دمه هدر

ويتابع (الشاعر ابن عثيمين) هذا الخط . مادحاً ؛ وهو المولود فى السلمية عام ١٨٥٣ من أعمال الخرج .. وتنقل بين الجزيرة العربية والخليج ؛ وعاش فترة الاضطرابات تلك مساهماً فى تغذية أوار الحروب والتطاحن ؛ وهو يقلد فى شعره مطالع أبى تمام كقوله :

العز والمجد فى الهندية القضب
لا فى الرسائل والتنميق للخطب

(عبد العزيز) الذى ذلت لسطوته
شوس الجبابر من عجم ومن عرب
قال النزال لنا فى الحرب شنشنة
نمشى اليها ولو جثياً على الركب ..
فسار من نفسه فى جحفل حرد
وسار من جيشه فى عسكر لجب
صب الاله عليهم سوط منتقم
من كف محتسب للّه مرتقب
فتح به أضحت الاحساء طاهرة
من رجسها وهى فيما مر كالجنب

التيار القومى

وشهدت منطقة الخليج العربى ، موجات عاتية من الغزو الاستعمارى (البرتغالى ، والاسبانى ، والعثمانى .. والبريطانى والفرنسى) واتخذت أشكالا متعددة ، وابتداء من القرن التاسع عشر حيث خرجت من القبضة العثمانية .. لتفرض بريطانيا هيمنتها على الخليج بعد فشل كل الوعود التى قطعتها بريطانيا للشريف حسين ، إذا وقف مع الحلفاء فى حربهم ضد العثمانيين والألمان .. فكان أن برزت بوادر انتفاضات جماهيرية فى الخليج .. وقد وجد

الشعراء أنفسهم أمام استعمار (فرنسى – انجليزى) .. وقد تأثر الشعراء باشعاعات ثورة مصر عام ١٩١٩ وثورة عام ١٩٢٠ فى العراق . وبدأت منطقة الخليج تغلى ، والشعراء الخليجيون يتحسسون ذلك بعمق . وبدأ القمع والكبت الذى مارسه الاستعمار يحفر قسمات واضحة فى الشعر . وكانت آراء جمال الدين الأفغانى و محمد عبده ورفاعة الطهطاوى تزيد فى ارادة الحرية وتوقظ همم الأدباء .. فكان عليهم أن ينادوا بمزيد من الاصلاح . والشورى ، وشيوع التعليم ، بمعزل عن الحركات التبشيرية الغربية ، أو آراء الغرب الاستعمارى . وتجسد ذلك فى الفترة ما بين الحربين العالميتين ١٩١٨ – ١٩٤٥ .

ولعل الدراسة ، تسوقنا منطقياً ، كى نقف عند أبرز شعراء هذا الاتجاه ، القومى .. وبداءة يمكن الاطمئنان الى نتيجة مفادها ، أن حدة التناحر والحروب قد تضامنت ، بين القبائل العربية .. أمام الخطر الخارجى .. وبعد سيادة السعوديين على منطقة الجزيرة العربية .. ضد خصومهم .. فبرز شاعر ؛ يعد ظاهرة متميزة فى هذا الاتجاه القومى .. وهو الشاعر خالد الفرج .. أما لماذا يعد ظاهرة ؛ فلأنه تجاوز الشعر الوصفى المدائحى ؛ الى شعر قومى عام .. منطلقاً من انتمائه الوطنى .. وقد واكب بعمق تفاعلات الأحداث السياسية فى منطقة الخليج والجزيرة العربية .. غير بعيد عن مرافقة ومصاحبة قادة العرب آنذاك ومنهم الملك عبد العزيز بن سعود . والشيخ عيسى حاكم البحرين ؛ وحين كانت الظروف تشتد وتدلهم كان يواجه بوعيه القومى .. وإذا ضاقت به السبل ، فانه لا يستسلم بل يرحل الى الهند ليصدر من هناك عام ١٣٤١ هجرية وعبر المطبعة التى أنشأها أشعاره القومية المناهضة للاستعمار الذى كان هيمن على وطنه ، وقد أكسبه هذا القلق والهم القومى رؤية شمولية عريضة ، مكنته من رسم ملامح تلك المرحلة . . وقد رفدت مواقفه السياسية القومية ، ثقافة انسانية ..وانتصاراً للحق فى كل مكان ويعتقد أن لمعاناته تجربة الهند المريرة ضد الاستعمار – بحكم وجوده هناك – عام ١٩٢٢ – دوراً أساسياً فى بلورة حقده على الاستعمار .. وقد كتب عن غاندى الزعيم الوطنى الهندى :

قطعة من نسيج قطن خام
خشن حول هيكل من عظام
هزت الهند بالمحيط بهملايا
وما بينها من الأقوام
وحدت حولها الملايين ممن
خلقوا وسط بؤرة الانقسام ..
يتحدى القوى الكبيرة بالروح
فيعنو لأمره كل هام
بسلاح من التقشف والزهد
ويرمى قنابلا من صيام

انطلق خالد الفرج (١٨٩٨ – ١٩٥٤م) فى وعيه ؛ لواقع أمته المفككة ووطنه المجزأ .. فكان رائداً فى وعيه لدور الانسان فى مجتمعه إذ يرى أن عليه أن لا يحمل خنجراً يجرح به صدر الوطن ، بل عليه أن يقدم (البلسم والدواء) إذا مرض هذا الجسد :

يا قوم إن مرضت بكم أوطانكم
كونوا من (الآسين) لا العواد
ومتى أتت فرص القيام فشمروا
عن ساعد الاقدام باستعداد
(بالعلم) نقدر أن نعيد تراثنا
حتى نرى الأحفاد كالأجداد
(والاتحاد) هو الأساس وإنه
كالخنصر المبدوء بالتعداد !

ولأن خالد الفرج .. قد فهم موضوعياً ، أن تحديث المجتمع العربى لا يتم إلا عن طريق العلم والعقل سبيلا أولياً للخروج من شرنقة الموت .. يقول :

(والجهل) آفة كل شعب فى الورى
كالقز تهلك نفسه حشراته
قد خدر الأعصاب فعل سمومه
وعلى جفون القوم ران سباته
كيف السبيل الى الرقى وأهله
متخاذلون أباته وحماته ..

لقد كان اشعاع نهوض (القوميات) فى أوربا يؤثر فى فكر المثقفين العرب الرواد فى العصر الحديث .. وكان نجاح تجارب الوحدة الوطنية فى ايطاليا والمانيا وبقية الدول الأوربية .. يلقى آمالا جديدة على امكانية نجاح الوحدة العربية .. من هذه الخلفية الفكرية انطلق خالد الفرج فى مناداته للوحدة ... ولتكن البداية من الوحدة الوطنية . يقول :

هل فى الجزيرة غير شعب واحد
قد مزقت بيد العدا وحداته
من لى (ببسمرك) يضم صفوفه
وعليه تجمع نفسها أشتاته
شعب بنو (قحطان) ركن أساسه
وبنو (نزار) فى العلا شرفاته
بدر له هالاته : (أحقافه)
و (خليجه) و (فراته) و (سراته)

ولعل خالد الفرج فى وعيه القومى ، انطلق من أن التحديات ، المطروحة أمام العرب كانت واحدة ، وأمام الخطر الواحد .. المتمثل بالغرب الاستعمارى الزاحف والمهيمن على الأرض العربية .. يقول :

يستجمع الغرب قواه لكى
يستعبد العالم فى صولته ..
مصالح العالم من نهبه
وساكنو الأقطار فى سخرته ..
والشرق – ويح الشرق – من جهله
وهى به الاحساس من علته
يعلل النفس بأجداده
وآيلات المجد من دولته
فان دهاه الغرب فى بأسه
فللقضا التفريج من أزمته
يكلف الأقدار إسعاده
يحلم بالأمال من رقدته ..
كآكل الأفيون يسرى به
السم ويسترسل فى لذته ..

ولقد أفضى هذا الانتماء القومى بالشاعر خالد الفرج الى تسفيه واقع التجزئة والانقسام أمام التحديات الكبرى .. إذ كيف نبرر واقع التجزئة السياسية ، لأمة عربية واحدة ضاربة الجذور فى عمقها التاريخى ، ونموها الاسلامى .. فهل يصح ذلك ؟ .. يقول الفرج ساخراً من التجزئة :

هذى بلاد العرب فى ضعفها
لا يعطف الجار على جيرته
فى كل شبر دولة تاجها
كصاحب التمثيل فى جوقته

ويترك كل بهرجة لفظية فى سبيل تقديم نماذج شعرية ، مفهومة للمتلقى ؛ إذ لا يهتم خالد الفرج بالصياغة اللفظية قدر اعتنائه بتوصيل المضمون .. ولذا يقع فى (المباشرة) و (التقريرية) حتى لتستحيل القصيدة عنده الى (تحليل سياسى) .. ولكن لا يهم مادامت غايته تحريك الواقع الراكد .. (يقول) :

والغرب لا يسمع صوتاً لنا
إن لم يك المدفع فى نبرته
لا يدفع الغرب سوى بأسه
أو قوة تسمو الى قوته
أو لا فان لم نجتمع عاجلا
ونحصر العنصر فى وحدته
ستأكل الهرة أولادها
ويحصل القط على حصته
فحسبنا الاسلام من جامع
ونحن من يعرب فى دوحته

● ● ●

البقية : العدد القادم

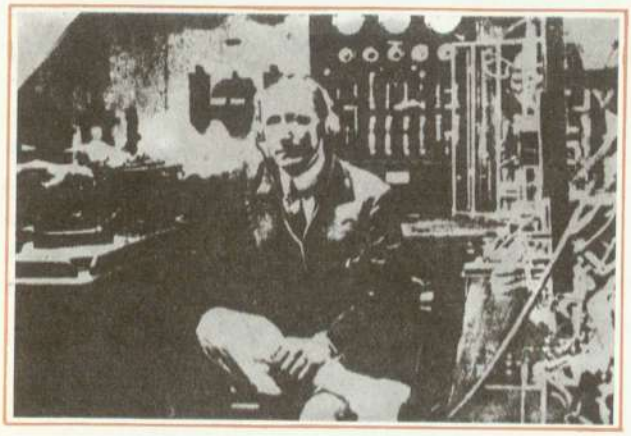
درويش مصطفى الفار

مستقبلنا والموجات الكهرومغناطيسية

- كيف وقعت هذه الموجات تحت طائلة الجشع التجاري؟
- لماذا لا نضمن لهذا الجيل المعرفة العلمية الصحيحة؟

لما تبوأ العرب ، بالاسلام ، مقعد قيادة البشر ، أعطوا للبحث العلمى عطاء غير محدود ، واحترموا العلم والتجربة العلمية احتراما يفوق كل وصف ، حتى حدثنا التاريخ عن القيادة السياسية العليا ، فى شخص خليفة كالمامون بن هارون الرشيد ، مثلا ، ممن كان لا يجد غضاضة فى أن يصحب ، الباحثين والعلماء ، فى تجربة ميدانية ، لقياس مقدار درجة خط العرض ، على سطح الأرض ، بالأميال ، مع ما فى ذلك من مشقة بدنية وعقلية ، لا يتحملها إلا الرجال .. ودفع حب العقيدة واحترام العلم ، المسلمين ، فمنحوا الحضارة الانسانية ، عدداً ـ لم يحصره العد بعد ـ من كبار العلماء فى الرياضيات البحتة والتطبيقية بكل فروعها ، من حساب وهندسة فراغية ومقابلة ، ولوغاريتمات ، وحساب مثلثات وهندسة فراغية للخطوط المستقيمة والأقواس ، وتسطيح (أى اسقاط) الكرة والمخروط للمساحة والتخريط ، وفن الحيل الهندسية (الميكانيكا) والحسابات الفلكية ، والملاحة ، بحيث مهدوا الطريق باشعاعات النور من جامعاتهم ومعاهدهم ـ فى الأندلس على وجه الخصوص ـ لقيام النهضة العلمية الأوروبية المعاصرة ، ولكى يظهر فى اسكتلندا عبقرى فذ من علماء الرياضة هو «جيمس كلارك ماكسويل» ، الذى تنبأ بمعادلاته الرياضية النظرية البحتة ، بوجود (الموجات) الكهرومغناطيسية ، وهى التى منها موجات الراديو وموجات الضوء التى نراها ، والتى لا تراها العين تحت الحمراء وفوق البنفسجية ، وقال ان هذه الموجات تسير فى الفراغ أو (الأثير) وظل امر الموجات الاشعاعية او الكهرومغناطيسية اكاديميا بحتا ، حتى قام عالم فيزياء المانى ، هو «هينريخ هيرتز» ، باثبات وجود تلك الموجات عمليا ، بتجاربه المشهورة على الملفات الكهربية ، وطور العلماء والباحثون هذه التجارب ، حتى استطاع الايطالى «جوليلمو ماركونى» ، ان يجعل المواصلات لاسلكيا ، اى بغير أسلاك كالهاتف ، أمرا عمليا ، محققا افكار ماكسويل لدى رجل الشارع ، ثم استطاع الامريكى «جنكنز» والبريطانى «بيرد» ـ بعد قائمة طويلة من العلماء والباحثين ـ استخدام الموجات الكهرومغناطيسية فى نقل الصور مع الكلام والغناء ، فاصبح التلفاز العادى ، والملون جزءاً من حياة الناس ، فى كل اقطار الأرض ، المتخمة والجوعى ، النامية والمتقدمة ، النائمة واليقظى ، لا سلطان لهم عليه ولا حيلة لهم فى درء بلائه ، ولا استطاعة عندهم للامتناع عنه وعن الاجتماع اليه والاحاطة به ، ليلا او نهاراً ، شيباً وشباناً واطفالا ، رجالا ونساء ، سوداً وبيضا ، جهلة ومتعلمين ... واصبح هذا الاستخدام لموجات صاحبنا ماكسويل ، خارج نطاق البحث العلمى للمعرفة الأكاديمية ، واستكناه اسرار نواميس الله فى كونه ، تحت طائلة الجشع التجارى الذى يقضى منطقه ، وتسير فلسفته ـ بصرف النظر عما يعود على عامة الناس من نفع أو ضر ـ بانتهاج طريق انتاج الاجهزة ولزوميات الأجهزة ، من أغان ، وأناشيد ،

ماركونى فى مختبره



ورقصات ، ومسلسلات ، وأحاديث ، ومحطات ، وأفلام ، ومعامل حيث لا عناية إلا بجلب المكاسب والأرباح .. وبعد ذلك فليات الطوفان .. وأمام الأمة الاسلامية ـ والوطن العربى هو قلبها وفؤادها ـ فرصة سانحة ، غير محدودة فى حاضرها ذاك الذى نعرفه ، ولا نعرف من ماضيها شيئاً مثله .. لتسخير الموجات الكهرومغناطيسية المسموعة والمرئية ، كسلاح ، دونه كل الأسلحة والمعدات ، لرأب صدوعها ، وسد ثغراتها ، واستعادة كرامتها ... اذا وفق الله القائمين على مرافق الاذاعات السمعية والبصرية فى كل أرجاء الوطن العربى ، الى ما يلى : ـ

أولا : اصدار وتطبيق تشريعات حازمة باتة ، بالا ينقل الأثير العربى ، أية أغنية ، أو حديث ، أو مسلسل ، بغير اللغة العربية السليمة نحواً وصرفاً ، مما يفهمه كل الناس بين الخليج والمحيط ...

ثانياً : الضرب بيد من حديد ، على كل البرامج التى تفوح منها رائحة أية شبهة تسيء الى الدين أو تخالف قواعده ، وقيمه ، ومثله ، وآدابه ، وتعاليمه ، واقصاء كل المتسللين للاساءة للتراث والقيم من بعيد أو قريب ، وبالتالى منع كل برامج الغناء والسفه والسقوط والتفاهة .

ثالثا : وضع البرامج الصادقة ، التى تبصر اجيال هذه الأمة بتراثها ، وتوضح معالمه بايدى من يحسنون الأداء فكراً وعلماً ممن لا تشوب سلوكهم النقائص والجروح ، وممن تتمزق قلوبهم حسرة على حاضرنا ومهانتنا بين الناس ...

رابعاً : منع الاذاعات منعاً باتاً عن الخوض فى النزاعات التى تطرأ بين (الحكومات) وحفظها مترفعة عن السباب والشتائم ، بل دفعها دفعاً لازالة الصدوع ، والتبصير بمغبة الخلافات والمنازعات .

خامساً : اقتطاع أكبر قدر من وقت الاذاعات ، للتعليم بمختلف مستوياته ، وشرح قواعد ونظريات أصول العلم والتقنية لكل الأعمار ، بما يرفع المستوى الثقافى للناس ، على أصول صحيحة ، ولعمرى لأن يشرح التلفاز للناس كيفية دوران محرك السيارة تفصيلا ، خير ألف مرة من كثير من التوافه التى لا هم لصانعيها إلا الحصول على المال ...

سادساً : اتخاذ الاذاعات وسيلة جادة لتعريف الشباب بوطنهم الكبير ، وبالعالم حولهم ، بأسلوب علمى فنى جاد ليس فيه فجاجة أو سطحية ، بما يضمن نشأة جيل يؤمن بهذا الوطن الكبير عن معرفة علمية صحيحة ، وبوجدان صادق حى ...

ذلك قليل من كثير يمكن به فى هذا القرن الخامس عشر ان نجعل موجات ماكسويل نافعة مفيدة لمستقبل اجيال هذه الأمة ، بدل تركها ضمن مجموعة المعاول التى تهدم وتفرق ، وتبث الجهالات والسطحيات

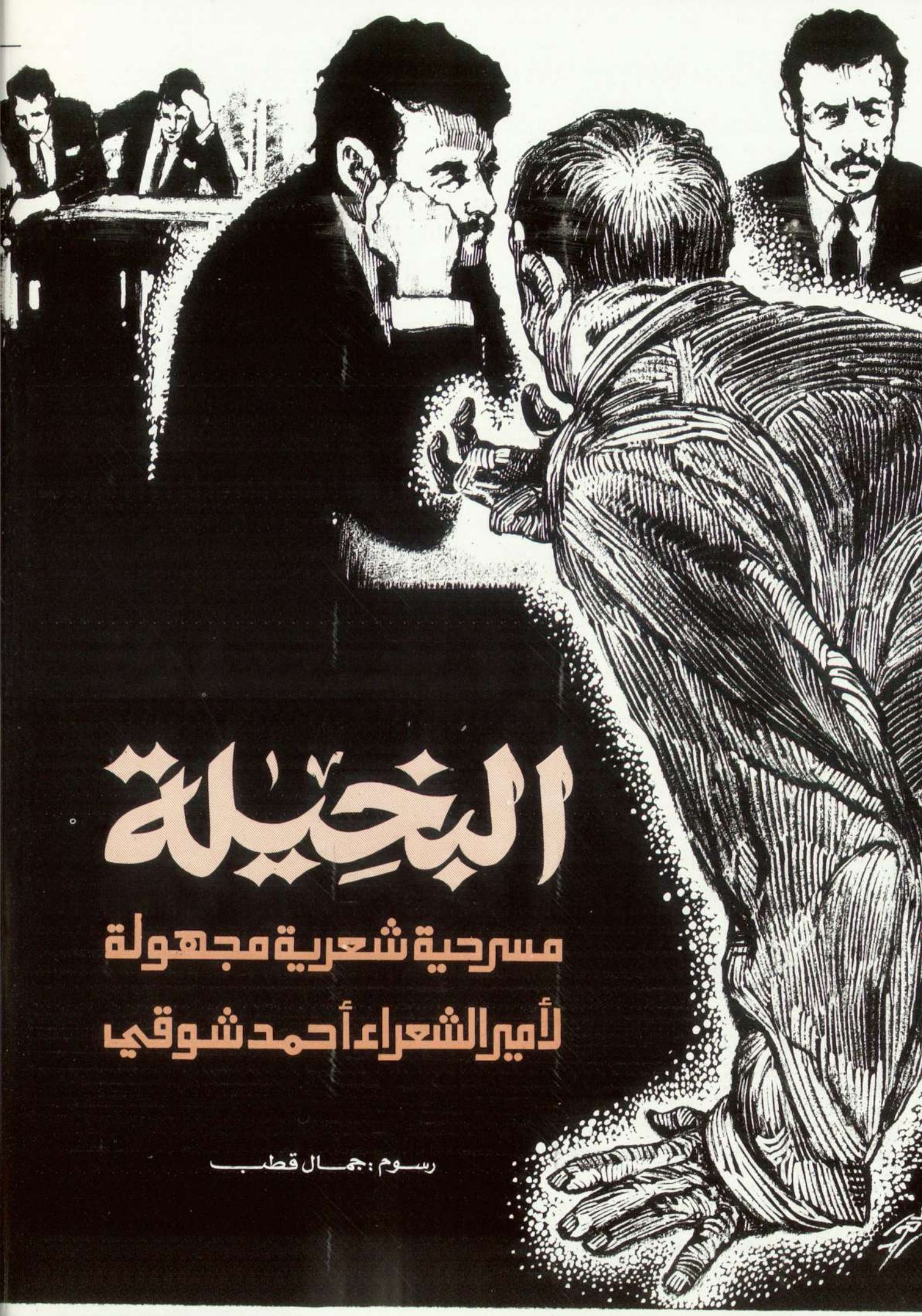
بلاغة الإمام الشافعي وحكمته

كان الامام الشافعى عالماً لغوياً اديباً ، وكان بحكم عروبته وثقافته وتطلبه اللغة والأدب والشعر صاحب بيان ضخم وتعبير جزل ، وقد أثرت عنه مجموعة ضخمة من الكلمات البليغة الوجيزة المركزة ، وتناثرت فى الكتب التى كتبها او التى كتبت عنه ، ومنها :

- من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ..
- فقر العلماء فقر اختيار .. وفقر الجهال فقر اضطرار .
- أصحاب المروءات فى جهد ..
- من تزين بباطل هتك ستره ..
- من ولى القضاء ولم يفتقر فهو لص ..
- من سمع بأذنه صار حاكياً ، ومن أصغى بقلبه كان واعياً ومن وعظ بفعله كان هادياً .
- من غلبته شدة شهوة الدنيا لزمته العبودية لأهلها .

غـــايـــة الوجـــود

ظهر فى الأندلس فى القرن الثانى عشر للميلاد مفكر عربى عظيم هو ابن طفيل ، وكان فى كل دراساته لا يعترف إلا بالبراهين العلمية ، وقد رأى أن الأخلاق الحميدة توجب على الانسان ان يزيل العوائق التى تعترض نموه وتحقيق غايته من الوجود . وحمل الانسان مسئولية السكوت على الخطأ أو الظلم .. وقال ان الأخلاق الحميدة تحتم علينا اصلاح الخطأ والسعى الى الخير العام والصالح العام ، فاذا وقع بصرنا على نبات قد حجبه عن الشمس حاجب او تعلق به نبات آخر يؤذيه ، وجب علينا ان نزيل ذلك الحاجب !



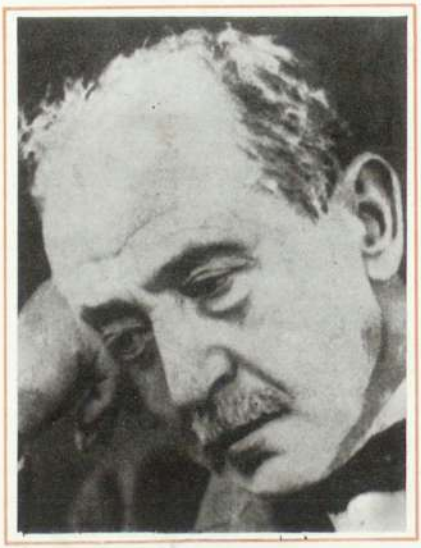
البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة
لأمير الشعراء أحمد شوقي

رسوم : جمال قطب

هذه المسرحية

عندما توفى أمير الشعراء أحمد شوقى فى ليلة ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ كان قد ترك وراءه كثيراً من الأعمال الفنيـــة التى لم ينشرها فى حياته ، وبعض هذه الأعمال كان يكتبها وينشرها باسماء مستعارة بسبب بعض الظروف السياسية التى كانت تحيط به ، وكان شوقى كثيراً ما يحتاط فى هذا المجال لشدة حرصه على أن يكون شاعر الأمة كلها ، لا شاعر فريق واحد من هذه الأمة ، وكان شوقى دائماً يميل الى أن يكون موضع الاجماع من الأمة ، فلا تختلف حوله ، وكان هذا الطبع متاصلا فيه ، ولذلك كان فى بعض المواقف يكتب شعراً ، وينشره ، دون توقيع ومن ناحية أخرى فقد كان الرأى العام الأدبى والفنى ينظر الى شوقى على أنه أكبر شعراء العصر ، ويربط بينه وبين الأحداث الكبرى التى تمر بالبلاد ، وكان هذا الأمر يفرض على شوقى بعض التحفظ والحذر ، وهما تحفظ وحذر لا يتلاءمان مع طبيعته الفنية المتحررة المنطلقة ، فقد كان شوقى يكتب كثيراً من الشعر الفكاهى الساخر ، وكان كثيراً ما يكتب الأغانى «باللهجة العامية» ، وخاصة بعد أن اكتشف الفنان محمد عبد الوهاب كملحن ومطرب فى أوائل العشرينات حيث كان شوقى يكتب له معظم أغانيه ذلك الحين ، وكانت كثير من هذه الأغانى بالعامية ، وإن كانت عامية راقية ورقيقة ، ونقية تقترب من الفصحى ، وكثير من هذه الأغانى العامية أصبح مشهوراً ، دون أن يكون منسوباً الى شوقى ، ومن بين الآثار التى لم ينشرها شوقى فى حياته بعض المسرحيات الاجتماعية التى كتبها ، ولم يقدمها



أحمد شوقى

للمطبعة ولا للمسرح ، إما لأنه لم يكن قد أعطاها صورتها النهائية ، وأنه كان يريد أن يعيد النظر فيها ، أو لأنها كانت تعالج مشاكل اجتماعية دقيقة كان متردداً فى إثارتها لسبب أو لآخر .

والمعروف أن شوقى قد مات فجاة ، فقد عاد الى منزله ليلة وفاته قرب منتصف الليل ، بعد أن قام بجولته اليومية للعتادة ، وكان آخرها زيارة جريدة «الجهاد» التى كان يرأس تحريرها محمد توفيق دياب ، ولذلك فقد ترك شوقى وراءه كثيراً من الأعمال الأدبية التى لم يكن قد رتبها أو أعدها - نهائياً - للنشر .

وقد قام الدكتور محمد صبرى السربونى بعد وفاة شوقى بنشر مجلدين كبيرين بعنوان «الشوقيات المجهولة» ، جمع فيها الكثير من الآثار الشعرية والنثرية التى لم تكن معروفة لشوقى ، وقد أشار الدكتور السربونى فى الشوقيات المجهولة الى مسرحية «البخيلة» ونشر فقرات موجزة منها . وها هى «الدوحة» تبدأ فى نشر المسرحية الكاملة ، وقد عثرت على النص الكامل للمسرحية فى مكتبة الفنان المعروف سعد الدين وهبه الذى عثر عليها بدوره فى «متحف المسرح المصرى» الذى تشرف عليه السيدة ليلى جاد . وكانت النسخة التى حصلنا عليها مكتوبة بالآلة الكاتبة ، وبصورة انطبست فيها كثير من الكلمات والحروف ، مما جعل قراءتها عملا صعباً بذلنا فيه كل الجهد لكى يخرج هذا الأثر الأدبى التاريخى الى النور ، تاركين للقراء والنقاد تقدير قيمة النص من الناحية الفنية والشعرية ، وإن كان مما يسعدنا حقاً أن نقول : إننا بنشر هذا النص نصحح تاريخ شوقى الشعرى ونساهم فى إكماله ، بعد ما يقرب من خمسين عاماً على رحيله وقد كان النص الأصلى للمسرحية بعد وفاة شوقى - فيما علمت - عند الدكتور سعيد عبده الذى كان يراجع أعمال شوقى الشعرية ويقدم له الاقتراحات بشأنها ، وقد سلمها الدكتور سعيد عبده لمتحف المسرح المصرى حيث عثرنا عليها . وقد دفعت الدوحة بالمسرحية الى الشاعر والباحث الشاب حسن طلب لمراجعتها وكتابة التعليقات والهوامش اللازمة لها ، حتى تبدو المسرحية أقرب ما تكون الى أصلها الصحيح الواضح .

رجاء النقاش

تمهيد

زمن الرواية : ١٩٠٧

مكان الرواية : القاهرة

أشخاص الرواية

الست نظيفة : «البخيلة»

جمـــال : «حفيدها»

حُسْـــنى : «خادمتها»

عبد السلام : «طبيب»

رشـــاد : «سمسار»

عزيـــز : «من أبناء الذوات»

الفصل الأول

«قهوة جميل بميدان لاظ أوغلى . (١)
جمال ورشاد على مائدة يتحدثان وآخرون متفرقون» .

يدخل صبى القهوة بصينية عليها المطلوب من المشروبات فيناول الزبائن ويقول :

هنا ساده هنا القرفه هنا الشاى . ثم ينتقل الى مائدة جمال ورشاد ويقول :

خشاف سيدى . والبانزهير لمن . (٢)

جمال : البانزهير لي أنا . (٣)

رشاد : وشيشتى يا مصطفى .

الصبى : طلبتها يا سيدى .

يمر بائع الجرائد منادياً - اللوا

البائع : اقرأوا حديث مصطفى (٤)
اقرأوا خروج المعتمد . (٥)

رشاد : كرومر ؟ خروجه متى ؟ (٦)

البائع : غداً أو بعد غد .

رشاد : من قال ذلك .

البائع : (ويمشى) - مصطفى . (٧)

رشاد : التفت الأفكار حول مصطفى كالقائد .

جمال : وصارت الأخبار عند باعة الجرائد .

رشاد : آمن معى بمصطفى كفى تعنتاً كفى .

والعقلا ...

جمال : كُلُّهُمُوا . (٨)

رشاد : والأذكياء .

جمال : اشرَبْهُمُوا .

رشاد : ما أنت .

جمال : لست منهمو . (٩)

إنى أنا مع البلـــــــد
إن قام قمـــت أو قعـــد
لم يرنـــى فيـــه أحـــد

«إثنان على مائدة يتحادثان عن جمال»

الأول : تامل المكثر من اعجابه
بنفسه ينظر فى ثيابـــه
تلفت الطاووس فى إهابه

البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

الثانى : لله ما أظرف . يا له من فتى
قد أبدع البارى تعالى شكله
لو كان هذا ولدى وواحدى
خرجت قبل الموت من مالى له (١٠)

الأول : من الفتى يا أخى ؟

الثانى : جمال .

هذا الذى يخلف البخيله
على الدكاكين والضياع
والثروة الضخمة الجليله
هذا الذى يفترس الاكياسا
ولا يرى الأحلام إلا ماسا
فان صحا شكا لك الافلاسا (١١)
يأخذ من هذا وذاك بالربا
يعطى نحاسا ليرد ذهبا
وقيل شىء فوق ذا ... (١٢)

الأول : وما يقولون ؟

الثانى : عجب

الأول : ماذا ؟

الثانى : بلاط بيتها
مركب على الذهب

الأول : وذلك الأخر من ؟

الثانى : ذاك من السماسر . (١٣)
يبيع كل عامر يصيبه وغامر
وكم وكم زوّج او طلّق من حرائر
تلقاه فى كل طريق كالغبار السائر
من قهوة (لبيرة)(١٤) لمنتدى لسامر
ويدفع الشباب في الـ وحول والمخاطر
فمن يدى مُستَلِف الى يدى مقامر
ومن سموم حانة الى لعاب عاهر
لا يبغض الله ولا رسوله
ولا العباد كالمرابين فئة (١٥)

الأول : اى ربا يشترطون يا ترى ؟

الثانى : عشرون او ما فوق ذاك فى المئة ؟ (١٦)

انظر الى السمسار يسحر الفتى

وانظر الى الغلام كيف استحسنه
عندى الف ما ملكت وغيرها
من لى بها الفين إن فاتت سنه

الأول : عندك الف انت .

الثانى : الف ذهبا .

الأول :

تريد تعطيها بفلاحش الربا
إذن لقد كنت ترائى يا أخى
ولم تكن تقواك إلا كذبا

جمال يرفع صوته :

(١٧) بالله من هذا الحديث دعنا
وانظر معى هذه الكرنبه (١٨)

«ينظر الى رجل وجيه ملفف بالثياب ومعمم» ويقول :

ومن يكون الوجيه ؟

رشاد :

هذا مقاول يكبرون كسبه
وكل يوم عليه نعل ، وكل يوم عليه جبه
تراكم المال فى يديه من حبة أمس صار قبه (١٩)

جمال :

وما فتن الحظ بالكركدن (٢٠)
وما اعجب المال من سحته ؟

رشاد :

ومن عجب بعد هذا المشيب
(٢١) بنى باثنتين على زوجته
(٢٢) ورام الزواج ببنت النقيب
فما قبلوه على ثروته ؟

جمال : وما تلك ، من هى بنت النقيب ؟

رشاد : فتاة هى البدر فى ليلته .

جمال : وما بيتها ؟

رشاد : قصر أبائها
طويل العماد عريض الغرف

جمال : وما مالها ؟

رشاد : القصر عنوانه
أليس القصور «رموز» الترف

جمال : وما سمعة البيت ؟ (٢٣)

رشاد : ماذا تقول
اما فى قديم البيوت الشرف ؟



جمال : ولم أبت الشيخ وهو الغنى ؟

رشاد :

وهل كل ما فى الزواج المهور ؟
وهل يملأ التيس عين المهاة
وهل تحمل الكركدن القصور

جمال : رشاد أهى حلوة ؟ (٢٤)

رشاد : وذات قصر ، وكفى .

جمال : ما ضر لو أنى صاهرت الغنا والشرفا . (٢٥)

رشاد : وأعرف الأم يا جمال .

جمال : كيف ومن أين ؟

رشاد :

لى ببيت النقيب من نشاتى اتصال(٢٦)
أمى كانت اليه تغدو
إذ أنا طفل . ولا تزال

جمال :

ماذا ترى رشاد إن طلبتها ؟
ترى تردنى إذا خطبتها

رشاد :

اصغ لي ، انت مثل ما تتمنى
زينب ، تجمع الغنا والجمالا

جمال : الغنى يا رشاد ؟ إنك تهذى .

رشاد : انا اهذى ؟

جمال : اجل وتخلط .

رشاد : لا ، لا
انت فوق النقيب دخلا وريعا
بعد حين وانت اكثر مالا
جدة تجعل الحديد على المال
وتحمى الأبواب والاقفالا

جمال :

لكنها يا صديقى
اشد منى ومنكا

رشاد :

صبرا فعما قليل
سيفرج الله عنكا

جمال : وجمالى ؟!

رشاد : (يخرج مرآة)
افى جمالك شك ؟
خذ تامل . انظره فى مرآتى (٢٧)
سوف تسبى فؤاد زينب

جمال : من زينب ؟

رشاد : هذا يا صاحبى اسم الفتاة .

جمال :

رشاد ، اسمع ، عقدت العزم فاذهب
وامك فاخطبا لى اليوم زينب

رشاد :

(٢٨) وهب لي ريالين تحت الحساب
وبعد غد نلتقى ها هنا

جمال :
يناوله الريالين – :
قبلت فخـــذ
رشاد : «بعد أن ينظر أمامه» :
(٢٩) انتظـــر يا جمـــال
بربـــك فالحظ قد أحســـنا
(٣٠) فهذا أخو زينـــب مقبـــلا
فسر حيـــث شئت ودعنى أنا
عزيز :
رشـــاد أنت ههنـــا
منـــذا الذى كـــان معـــك ؟
رشاد :
انظـــر الـــى ثيابـــه
ولونهـــا كيـــف اتحـــد
انظـــر الـــى حذائـــه
مـــن النظافـــة اتقـــد
والبنطلـــون مســـتو
لم ينكسر ، لم ينعقـــد
(٣٢) اعرنـــى الســـمع أعـــر
عنـــدى لكـــم شيء يسر
عزيز : ما ذاك ؟ هات ما الخبر ؟
رشاد :
هـــذا جمـــال وحيـــد جـــده
بخيلـــة ، يا عزيز ، جِلْـــدَه (٣٣)
عزيز : وعمر يا رشاد ؟
رشاد : يربو على الثمانين .
عزيز : تلك مده
والمـــال ؟
رشاد :
ما شـــئت مـــن فداديـــن (٣٤)
ومن بيـــوت ومن دكاكيـــن
والذهب الصب كل ناحيـــة (٣٥)
فى البيت ، من مخبأ ومدفـــون (٣٦)
عزيز : والآن ماذا تبتغى ؟
رشاد اريده لزينبا .
عزيز : وكيف هل يقبلها ؟
رشاد :
كلمتـــه فمـــا أبـــى
فامض الـــى امـــك يـــا
عزيـــز بلغهـــا النـــبا (٣٧)
لقد وصفـــت القصـــر لـــ
ابلـــه وصفـــا عجبـــا
ولم أزل أطـــرى لـــه الـ
جـــد وامـــدح الأبـــا
وانعـــت المجـــد القديـــم
واحلـــى النســـبا
وقلـــت عـــن امـــك خيـــرا
وامتدحـــت زينبـــا
عزيز : وقد نسيتنى انا .

رشاد : لا . بل أطلت الكذبا .
عزيز : وما الذى قلت عنى ؟
رشاد :
قلـــت : فتـــى ما أفاقـــا
بالليـــل يغشى الملاهـــى
وبالنهـــار الســـباقا
تسالنى عزيـــز رأيـــى ؟
عزيز : لم لا ؟
(٣٨) ألست من زمن المهد أخا ؟
رشاد :
أنتم عزيز يا أخى فى أزمـــة
ولا يفـــك ضيقكم إلا الغنـــى (٣٨)
فى المـــال وحـــده خلاصكـــم
لابد منه اليـــوم وإلا فغـــداً (٣٩)
عزيز :
أجل بغير المال لا عيش لكـــم
وكيف ؟ من أين يجيء ؟ أفتنـــا (٤٠)
رشاد :
مما نخوض فيه منذ ســـاعة
من الفتى . من موت جدة الفتى
عزيز :
وما الذى نفعل كى نصيـــده
لابـــد مـــن مصيـــدة

رشاد :
تـــــلك أنـــا
(٤١) اسمع أخى عزيـــز أنتم أسرة
لم يبق من وجودها إلا شـــفا (٤٢)
(٤٣) قصركم من قـــدم مهـــدم
(٤٤) قد خاط فيه العنكبـــوت وبنى
سكنتموه ههنـــا وههنـــا
كالبوم كل بومتين فى فضـــا
ملأتموه خدماً أشـــداقهم
دائرة على الرغيف كالرحـــى (٤٥)
انظر الى القصور كيف اصبحت
لم يبق من مقـــدم ولا أغـــا (٤٦)
احتجب القوم وراء ظلهـــا
(٤٧) لا يسال البـــواب إلا قـــال لا

عزيز :
كفـــى رشـــاد ضعـــة
لبؤســـنا ، كفـــى كفـــى
ولا تعـــذب مهجتـــى
ولا تهـــج لـــى البـــكا
(٤٨) وامض واجتهد رشـــاد فـــى
تزويـــج أختـــى بالفتى
إذا كان لهـــا أهـــلا



البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

رشاد :
(٤٩) ولم لا يا أخي . لم لا ؟
فتى لم يحكه الشبان(٥٠)
هندامًا ولا شكلا
ولم ينكر له الاخوان
لا ظرفًا ولا عقلا
ومن بيت يرى الناس
عليه الخير والنبلا
أبوه كان إنسانا

عزيز :
وهذا كله فضلا
عما وراء جدته

رشاد :
وعن عظيم ثروته
يا ليتني في حالته
اسمع عزيز يا أخي
أنا وأنت لا نرث
أملط يا رب كما خلقتني
راض على قلة ما رزقتني

عزيز :
دعنا من الهزل . هلا
أخذت في الجد ساعة
رشاد أنت صديق
ماذا ترى في البضاعه
ادخل بنا في الجد يا رشاد
متى تراه ؟

رشاد : في غد أراه .
عزيز:لم تقل لي عن الفتى ما أبوه ؟ (٥١)
رشاد : كان فخر الرجال كان مديرا .
عزيز : والفتى كيف شغله ؟
رشاد : في الدواوين .
عزيز : إذن قد نراه يوماً وزيرا .
رشاد : لم لا
«ثم لنفسه» .
قلتها ومن أين أدرى
ربما صار حاجباً أو خفيرا

«ثم لعزيز» : ـ
لا تسلني ما أبوه يا أخي
أو من الأم وسل ما جدته

(٥٣) لا ولا ما شغله وما جاهه
في الدواوين ولا ما رتبته
فجمال في غد أو بعده
بوزيرين تساوى ثروته
«بعد لحظة» : ـ
ولم لا وجدته نملة(٥٤)
إذا وقفت أو مشت حصلت
وتدخل في بيتها ما تصيب
ولا يخرج الدهر ما أدخلت
أو انقلبت في جميع الجهات
(٥٥)على القش في فمها ما انفلت (٥٦)
ترى المال في بيتها في اللحاف
وتحت البلاط وحشو الشلت(٥٧)

عزيز :
عجبت . يأتي البخيل المال وهو يرى
أن البخيل اليه غير محتاج
وقلّ ما جاء حراً ماجداً ومشى
الى الكريم الكثير الهم والحاج(٥٨)
آه ما أكثر حاجي
من بحاجاتي اناجي
أزمة درت فلم (٦٠)
الق لها وجه انفراج

رشاد : عزيز أنت مفلس .
عزيز : ما شئت في ذاك فقل .
رشاد :
(٦١) على البلاط يا عزيز
كلنا ذاك الرجل

عزيز :
إذن جمال صفقة رابحه
لنا كلينا قد فهمت ماربي

رشاد :
ولست أنسى فضلكم عندي ولا
ما طوقت أمك أمي وأبي

عزيز : اذهب إذن رشاد فاخطبه .
رشاد : لمن ؟
عزيز : لي ولزينب وأم زينب .
رشاد : للأم والابن وللبنت ؟ (٦٢)
عزيز : أجل . وكل من مت لنا بالنسب
رشاد : أصبت يا عزيز أنت فطن .
عزيز : لا بل هو البؤس يفطن الغبي

رشاد :
(٦٣) وركوبي يا صديقي
وذهابي وإيابي

عزيز :
امض انفق ما تشاء اصبر(٦٤)
الى يوم الحساب
أنا لو بيع بفلس (٦٥)
لم يجد سوقاً جرابي
كلانا رشاد على زورق
كسير وموج عنيف شقي
فان ننج ننج بخير المتاع
وإلا غرقنا مع الزورق

● ● ●

«ثلاثة آخرون جلوس على مائدة (٦٦) بالقهوة أحدهم يقرأ جريدة والآخران يتحادثان ...»
أحدهم :
(٦٧) من ذلك المطل من لحيته
كالبغل من وراء مخلاة رنا
الثاني :
نسأل عن ذاك الذي انحنى على
(٦٨)صحيفة يقرأ وولانا القفا
الأول : أجل أجل هذا القفا . (٦٩)
الثاني : هذا هو الدكتور .



الأول : من ؟
الثانى :
عبد السلام مرتضى
يقرأ ما صادف من جريدة
من صدرها الأول حتى المنتهى
(٧٠) وتستوى صحف الصباح عنده
(٧١) وصحف ظهرن من عام مضى
تذاكر الدفن التى يكتبها
(٧٣) فى الشهر أضعاف تذاكر الدوا (٧٢)
وعيبه البخل
الأول : فيه بخل ؟
الثانى : أبخل من جارتى نظيفة .
الأول : من يا أخى هذه ؟
الثانى :
عجوز
(٧٤) فى الخط من أسرة شريفة
ليس لها فى الحياة إلا
عبادة المال من وظيفة
حتى لقد صارت حديث الحارة
وضحك الجار وسخر الجاره (٧٥)
كلهمو يحسدها بمالها
ويتمنى حاله كحالها
وهكذا الأنفس فى ضلالها
الأول : ما غناها يا أخى .
الثانى: أكثر هذا الخط مالا .
الأول : ومن الوارث إن ماتت . (٧٦)
الثانى : فتى يدعى جمالا .
الأول : هذا ما در (٧٧)
الجوع يا أخى ولا الأكل معه
لقد دعانى للغداء مرة
فقسم البيضة بين أربعه
وجىء بالشواء

الأول : ماذا جرى ؟
الثانى :
أوحى الى خادمه أن يرفعه
رأى فيه عيباً وإن لم نجد
على اللحم عيباً سوى قلته
فقد كان أنضج لحم رأيت
(٨٠) وقد كان كالمسك فى نكهته

ومن بخله تفتح القهوات (٨١)
وتغلق وهى على «شيشته»
يقضى بها طرفى يومه
ويمضى بها طرفى ليلته
الأول : ومرضاه ؟





البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

الثاني :
يلقاهمو فى الطريـــــق
حيناً وحيناً على قهوتـــه

«غلام يدخل القهوة صائحاً»
الغلام : أين هو الدكتور ؟
احدهما : ذاك .
الغلام : «للدكتور»

ســـيدى أخـــى ســـقط
تحـــت التـــرام
الدكتور :
فليكـــــن
(٨٢) أو تحت وابور الزلـــط
فما الذى أصابـــه ؟ (٨٣)

الغلام : انفلق الرأس ؟
الدكتور : فقط ؟
الغلام : دكتور ؟!
الدكتور :
(٨٤) هيـا ولـو أننـى مـا
عالجـت فى الشـارع قط
الغلام :
اللـــه فى عـــون الجريح
(٨٥) امض جـــراح القـــطط
ستار .

«البقية فى العدد القادم»

مسرحية البخيلة
تعليقات وهوامش

يكتبها : حسن طلب

حين دفع إلي رئيس التحرير بهذا المخطوط النفيس المجهول ، وعهد إلي بتحقيقه ، سعدت سعادة حقيقية بأن أشارك في إظهار هذا النص الى النور ، ومن ثم ، فقد فرغت له فراغاً تاماً حتى يظهر على أفضل نحو ممكن.

والحقيقة ، فان النص ، على الرغم من كونه منسوخاً على الآلة الكاتبة، فقد كان حافلا بالكثير من الأخطاء التي شوهت المعنى أحياناً وأخلت بالوزن أحياناً أخرى ، ومما زاد الطين بلةٍ ، أن النسخة التى بين أيدينا ليست هى النسخة الأصلية ، بل هى صورة بالكربون ، انطمست فيها بعض الكلمات وضاعت معالمها ، وكانت عملية إعادة قراءتها تحتاج الى الكثير من الأناة والكثير من إعمال الخيال .

وإنى أسجل هنا ، أنى عجزت فى بعض المرات عن الوصول الى القراءة السليمة ، ولم يكن موجعى الأخير إلا رئيس التحرير الذى كان يتدخل بخبرته ، فيجلو ما غمض ويحل ما استشكل .

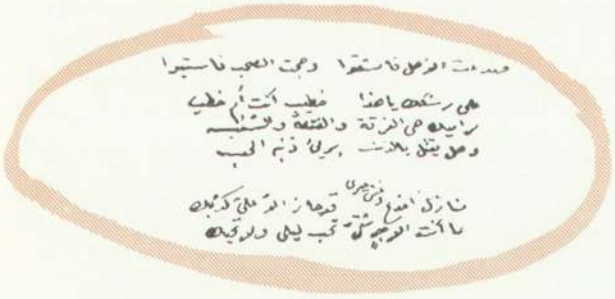
وقد التزمت التزاماً صارماً بالنص ، ولم أتدخل إلا لأصحح خطأ أو تصحيفاً أو أقيم وزناً أو أقوم معنى .. ، وعلى الرغم من أن هناك بعض التصحيحات بالقلم الحبر ثم بالرصاص ، إلا أن ذلك المصحح المجهول (أو المصححين) فاته الكثير .. ، واذا كانت التعليقات تبدو فى ظاهرها كبيرة الحجم ، فهى فى حقيقتها مضغوطة الى أقصى حد لاعتبارات نشر النص فى دورية . ولولا ذلك لبلغت أضعاف ما هى عليه .

وهذه هى الهوامش والتعليقات .

(١) ميدان لازوغلى : ميدان صغير فى القاهرة يتوسط شارعى خيرت ونوبار .

(٢) البنزهير : هو الليمون أو صنف منه (الليمون البلدى) ، والكلمة فارسية الأصل ومعناها : ضد السم ، أى الترياق (الدرياق) .

(٣) فى الأصل : (لي انا) وهو تصحيف . والصواب ما أثبتناه .



(٤) اقروا اللواء (اراد : (اقرءوا) فخفف لاقامة الوزن . و (اللواء) جريدة مصرية ، يومية ، سياسية ، أسسها مصطفى كامل زعيم الحزب الوطنى (انظر هامش رقم ٧) فى سنة ١٩٠٠ . وراس تحريرها ، وعند وفاته سنة ١٩٠٨ انتقلت رئاسة تحريرها الى الشيخ عبد العزيز جاويش وتوقفت عن الصدور ١٩١٤ .

(٥) المعتمد : هو المعتمد البريطانى فى مصر ، الذى كان الحاكم الفعلى للبلاد والمتصرف فى شئونها ، ويعتبر كرومر من أشهر من شغلوا هذا المنصب فى تاريخ مصر (انظر الهامش التالى) .

(٦) كرومر : إيرل افلن بيرنج كرومر (١٨٤١ ـ ١٩١٧) . كان قد تقلد عدة مناصب ادارية فى المستعمرات البريطانية فى الشرق ، قبل أن يأتى الى مصر سنة ١٨٨٣ عقب الاحتلال ، حيث عينته بريطانيا قنصلا عاما ووكيلا بريطانيا ، وعلى الرغم من كفاءته الادارية ، فقد قمع الحريات وأهمل النظام النيابى وقيد سلطة مجلس شورى القوانين ، حدثت فى أواخر عهده مأساة دنشواى (١٣ يونيو ١٩٠٦) . وكان هو المسئول الأول عن أحكام الاعدام التى صدرت ضد الفلاحين المصريين فى هذه القرية (دنشواى) ، مما أثار سخط المصريين والب عليه الرأى العام حتى لقد اضطر الى أن يستقيل فى ابريل ١٩٠٧ . ومما يذكر أنه كان ـ على الرغم

مصطفى كامل — اللورد كرومر — أحمد لطفى السيد



من انهماكه فى الشئون السياسية والادارية ـ كاتباً نشطاً مرموقاً ، ومن مؤلفاته المشهورة «مصر الحديثة» ١٩٠٨ ، و «الاستعمار القديم والحديث» ١٩١٠ .

والجدير بالذكر أن شوقى ندد بكرومر حين قال من قصيدة له بمناسبة حادثة دنشواى :

نيرون لو أدركت عهد كرومر — لعرفت كيف تنفذ الأحكام

(٧) مصطفى كامل : (١٨٧٤ ـ ١٩٠٨) ، زعيم وطنى مصرى معروف ، يعتبر من أبرز المدافعين عن حرية مصر واستقلالها فى التاريخ الحديث ، ولد بالقاهرة وتخرج فى مدرسة الحقوق ثم انصرف الى السياسة ، فدعا الى الحركة الوطنية وقادها فى مواجهة الاحتلال البريطانى ، استغل كل الوسائل الممكنة ، فكان ينظم اللقاءات والمؤتمرات ويشارك فيها ، ويستغل الخطابة ، ويكتب فى الصحف (خاصة صحيفة المؤيد لصاحبها الشيخ على يوسف) ، ثم لم يلبث أن أسس صحيفة اللواء سنة ١٩٠٠ ، التى كانت تصدر بالعربية فى مصر وبالفرنسية فى فرنسا وبالانجليزية فى بريطانيا ، ثم أسس الحزب الوطنى سنة ١٩٠٧ وكان هو اول رئيس له ، مات فى ريعان شبابه (حوالى ٣٤ عاماً) ، بعد أن أفرغ كل طاقاته فى العمل السياسى الوطنى وربما يكون قد مات مسموماً .

(٨) و (٩) ربما كان فى ذلك اشارة الى انصار حزب الأمة الذى شارك فى تاسيسه أحمد لطفى السيد ، وكانت جريدة (الجريدة) هى المعبرة عن ذلك الحزب ، الذى عرف بانه كان أكثر تحفظاً وتعقلا فى حل المسالة الوطنية .

(١٠) خرجت قبل الموت من مالى له : يقصد : انفق من ماله على المساكين فى سبيل ذلك الابن .

(١١) «الافلاسا» : فى الأصل (الافلاس) وهو خطا لانه لا ينسجم مع حركة قافية الأبيات .

(١٢) : ما بين قوسين اضافة بخط اليد (بقلم الحبر) .

(١٣) ذاك هو السمسار : فى الأصل : (ذاك من السمسار) ، وما أثبتناه أكثر انسجاماً مع السياق .

(١٤) البيرة : أراد : (البار) ، فاكتفى بدلالة الشىء على المكان الذى يقدم فيه .

(١٥) ولا فى العباد كالمرابين فئة : أراد (ولا فى العباد ...) فحذف حرف الجر لاقامة الوزن .

(١٦) فوق ذاك فى المئة : (ذاك) كانت غير موجودة ثم أضيفت بخط اليد (بقلم الحبر) ، والاضافة صحيحة وبغيرها لا يستقيم الوزن .

(١٧) بالله : فى الأصل (يالله) ، وبها لا يستقيم المعنى ولا الوزن .

(١٨) الكرنبة : من الخضروات ، نبات من الفصيلة الصليبية ، وهو غذاء معروف ذو رأس ملىء بالأوراق الملفوفة ، معروف منذ قدماء المصريين وتستخدم الكلمة هنا على سبيل السخرية للاشارة الى الرجل الملفوف (كالكرنبة) .

(١٩) من حمة أمس صار قبة : تضمين للمثل المعروف ، (جعل من الحبة قبة) ويضرب للدلالة على الأمر التافه الصغير يجعل منه صاحبه أمراً عظيماً . ونلاحظ أن المثل هنا مستخدم على غير وجهه .

(٢٠) الكركدن : حيوان ثديى من ذوات الحافر ، من آكلات العشب ، يتميز بعظم جرمه وغلظ بدنه وجلده . ويستوطن افريقيا وبعض مناطق آسيا ، أهم ما يميزه أن له قرنا أنفياً او قرنين لدى بعض الأنواع . من أسمائه الأخرى الخرتيت ووحيد القرن .

(٢١) بنى باثنتين : يقال تزوج فلانة أو بنى بها بمعنى واحد .

(٢٢) ورام الزواج ببنت النقيب : لعله يقصد (نقيب الأشراف) وهى وظيفة شرفية معروفة منذ العباسيين . وكان يختار النقيب من آل البيت ، ومن واجباته الحفاظ على سجلات السلالة الشريفة وسمعة أفرادها .

(٢٣) وما سمعة البيت : فى الأصل (سمعت) وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى ولا الوزن .

(٢٤) أهى حلوة : يلاحظ تسكين الهاء فى «أهى» حتى يستقيم الوزن .

(٢٥) ما ضر لو صاهرت الغنى والشرفا : هذا المصراع يحتوى على «وتد مجموع» زيادة فى تفعيلاته ، ولم نهتد الى وسيلة نحذف بها هذا «الوتد» ونحافظ فى نفس الوقت على سلامة المعنى . ومن الطريف أن الشعر الحر يستخدم فى تفعيلاته مثل هذه الزيادة كثيراً ، وهى على كل حال ليست مضرة بالايقاع بل انه يصعب تبينها ، ذلك أن هذا «الوتد» يعتبر فى حد ذاته وحدة ايقاعية مقدارها نصف تفعيلة من «مستفعلن» والمصراع من بحر الرجز .

(٢٦) طبيعة اتصال رشاد ببيت النقيب ستتضح أكثر بعد قليل ، حين يقول رشاد موجهاً الشكر الى (عزيز) :

ولست انسى فضلكم عندى ولا — ما طوقت أمك أمـى وأبى

(٢٧) أنظره فى مرآتى : فى الأصل (انظره) ولابد من استبدال ألف القطع بألف الوصل حتى يستقيم الوزن .

(٢٨) إذن أعطنى ليرة :

أ ـ فى الأصل (اعطنى) بدون همز ، وهو خطأ لأنه يخل بالوزن .

ب ـ استخدام (الليرة) هنا ليس غريباً ، حيث كانت معروفة آنذاك بوصفها عملة تركية بدأ صكها منذ سنة ١٨٤٥ م ، وكانت تسمى أيضاً بالمجيدة . واللفظ لاتينى الأصل .

(٢٩) فى الأصل (لا تمضى) والصواب ما أثبتناه .

(٣٠) الصواب (أخو زينب) ولكنه خضع للضرورة الشعرية .

مثل هذا شاذ فى اللغة العربية ، ومن هذا الشذوذ قول رؤبة بن العجاج يمدح عدياً بن حاتم الطائى :

بابه اقتدى عدي فى الكرم — ومن يشابه «أبه» فما ظلم

وكان ينبغى أن يقول (بأبيه) و (أباه) .

(٣١) الطربوش غطاء تقليدى للرأس كان يستخدم فى الكثير من البلاد العربية والاسلامية حتى وقت قريب ، ولكنه اوشك الآن على الانقراض ، وقد قاوم مصطفى كمال أتاتورك استخدامه فى تركيا حتى قضى عليه . والكلمة فارسية الأصل .

(٣٢) فى الأصل (أعوه) وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٣٣) بخيلة يا عزيز جلدة : تعبير شائع فى العامية المصرية للدلالة على البخل .

(٣٤) الفدان وحدة مساحية لقياس الأراضى الزراعية بمصر ، وتبلغ مساحته حوالى أربعة اضعاف مساحة الهكتار .

(٣٥) يريد بالذهب الصب ، الذهب الخالص ، والتعبير دارج .

(٣٦) كلمة (مخبأ) تقرأ على أنها اسم مفعول من الفعل الثلاثى خبأ حتى يستقيم الوزن .

(٣٧) حذف همزة (النبأ) للضرورة الشعرية .

(٣٨) فى الأصل : (ألست من زمن المهد) وبه لا يستقيم الوزن .

(٣٨) فى الأصل (إلا الغنا) وهو تصحيف .

(٣٩) فى الأصل (فولا فغدا) وهو تصحيف .

(٤٠) (أفتنا) كانت فى الأصل بدون همز ، وصححناها حتى يستقيم الوزن.

(٤١) كلمة (أخى) مطموسة فى الأصل .

(٤٢) (شفا) كل شىء هو حرفه أو طرفه أو حافته ، والشاعر يريد أنها على وشك الموت .

مسرحية البخيلة
تعليقات وهوامش



علي يوسف



سليم تقلا



بشارة تقلا

(٤٣) فى الأصل : (قصركم من قديم) وهو تصحيف وبه لا يستقيم الوزن ، والصواب ما أثبتناه .

(٤٤) يعتبر العنكبوت ونسيجه رمزين لما هو بال أو فان أو متداع ، يقول أحمد ناجى :

والبلى أبصرته رأى العيان ... وبداه تنسجان العنكبوت
قلت يا ويحك تبدو فى مكان ... كل شىء فيه حى لا يموت

(٤٥) (رحا) و (رحى) واحد ، وجمعها أرح وأرحاء ورحى وأرحية .

(٤٦) فى الأصل : (لم يبق من مقدم ولا من أغا) وهو مكسور ويستقيم الوزن إذا قلنا (لم يبق من مقدم ولا أغا) أو (لم يبق من مقدم أو مؤخر أغا) ، والمقدم رتبة عسكرية فوق الرائد ودون العقيد ، والأغا كلمة تركية معناها الرئيس أو الشيخ أو السيد ، وكان صغار الضباط حتى رتبة يوزباشى (نقيب) ، يحملون هذا اللقب .

(٤٧) فى الأصل (لا تسالوا) وهو تصحيف .

(٤٨) فى الأصل (وامضى) وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

(٤٩) فى الأصل (ولم يا أخى لم لا) ، وقد أضفنا (لا) الأولى حتى يستقيم الوزن .

(٥٠) تضمين لمثل مصرى شعبى معروف .

(٥١) تعبير (ما أبوه) صحيح ، حيث أن (ما) تستخدم أحيانا بمعنى (من) وقد جاء فى القرآن :

(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) ....

(٥٢) يسكع ويتسكع بمعنى واحد ، والشاعر تجاوز هنا عن حرف الجر لاقامة الوزن .

(٥٣) تعبير (لا ولا تسأل به) سليم ، فقد جاء فى القرآن : (فاسأل به خبيراً) .

(٥٤) البيت فى الأصل متداخل ، والشطرة الأولى تنتهى عند كلمة (نملة) كما أثبتناها .

(٥٥) فى الأصل (على القش) وهو تصحيف صوابه القرش كما أثبتنا ، والقرش عملة مصرية معروفة .

(٥٦) لم أجد أتفلت بمعنى تفلت ، والشاعر اضطر لاستخدامها لتستقيم قافيته .

(٥٧) (الشلت) فى العامية المصرية جمع (شلتة) ، وهى الحشية أو الوسادة ونحوهما ، وعادة وضع النقود أو المال فى (الشلت) وتحت (البلاط) كانت معروفة وسائدة حتى وقت قريب ، خاصة بين الطبقات الشعبية .

(٥٨) استخدم الشاعر (حلج) بمعنى حاجة ، وهو استخدام وارد فى الشعر العربى .

(٥٩) الدمى من العلج أو المعدن أو الحجر ، معروفة منذ الحضارة المصرية القديمة ، وكانت تصنع لأغراض دينية ، وقد عرف العرب القدامى هذه الدمى وكانوا يضربون بها المثل فى الجمال ، والشعر العربى حافل بصور عديدة تشبه فيها المرأة الجميلة بالدمية .

(٦٠) فى الأصل (درت) وهو تصحيف .

(٦١) تعبير (على البلاطة) مثله مثل (على الحديدة) ، يستخدم فى العامية المصرية للدلالة على الافلاس .

(٦٢) كانت فى الأصل (والبنت) ، ثم تداركها مصحح النسخة (بقلم الحبر) فاستقام الوزن .

(٦٣) أراد (وأجر ركوبى ؟) فحذف المضاف لدلالة المضاف اليه عليه .

(٦٤) فى الأصل (ما تشاء) فحذفنا الهمزة حتى يستقيم الوزن .

(٦٥) (فلوس) فى العامية المصرية بمعنى (نقود) .

(٦٦) فى الأصل (جلوسا) وأثبتناها مرفوعة لأنه لا وجه لنصبها هنا .

(٦٧) فى الأصل (ذلك) وبها يختل الوزن .

(٦٨) خفف الشاعر همزة (يقرا) ليستقيم له الوزن .

(٦٩) فى العامية المصرية يكنى بـ (القفا) عن الانسان العظيم الجرم البليد العقل .

(٧٠) حتى يستقيم الوزن يجب أن تسكن الحاء فى كلمة (صحف) الأولى ، وتحرك فى الثانية .

(٧١) (الأهرام) هى الصحيفة المصرية اليومية المعروفة الآن ، وقد أسسها كل من سليم وبشارة تقلا سنة ١٨٧٥ ، و (اللواء) سبق الاشارة اليها ، انظر الهامش رقم (٤) .

(٧٢) حذف الشاعر همزة (الدواء) للضرورة الشعرية ، مثلما فعل بهمزة (اللواء) فى البيت السابق .

(٧٣) كلمة (تذاكر) معروفة فى اللغة العربية ، ومفردها (تذكرة) وتعنى كل ما تستذكر به الأمور أو كل ما يدعو منها الى العبرة والذكر ، وقد ورد فى القرآن : (كلا إنها تذكرة) . أما (تذكرة) بمعنى (بطاقة) ، فهى محدثة .

(٧٤) (الخط) بفتح الخاء تعنى الطريق ، وبكسرها تعنى المكان المختط للعمارة أو البناء ، والذى أراده الشاعر هو (الخط) بضم الخاء ، بمعنى موقع الحى من المدينة .

(٧٥) سخر منه سخرا وسخرا (بضم السين أو فتحها) بمعنى سخرية .

(٧٦) (إن ماتت) لم تكن موجودة بالأصل ، ثم أضيفت (بقلم الرصاص) ، على غير الاضافات والتصحيحات السابقة والتى كانت كلها بقلم الحبر . وهى اضافة سليمة من حيث أنها متممة للمعنى مقيمة للوزن .

(٧٧) (مادر) هو أبخل العرب ، فى مقابل حاتم الطائى أكرمهم ، ضرب به المثل فى البخل ، وقابل أبو العلاء المعرى بينه وبين حاتم الطائى فى لاميته الشهيرة ، فقال :

إذا وصف الطائى بالبخل مادر ... وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس أنت كليلة ... وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر إن الحياة رخيصة ... ويا نفس جدى إن دهرك هازل

(٧٨) خفف الشاعر (أوما) ليستقيم الوزن .

(٧٩) كلمة (نحن) لم تكن موجودة فى الأصل ، وقد أضيفت بقلم الرصاص أيضا كالاضافة السابقة ، مما يدل على أن المصحح الذى أتى بالاضافتين واحد ، والاضافة هنا صحيحة ، إذ لا يستقيم الوزن بدونها .

(٨٠) (المسك) ضرب من الطيب معروف برائحته وليس بنكهته كما يشير الشاعر ، ويتخذ المسك من دم بعض أنواع الغزال ، يقول المتنبى فى سيف الدولة :

فان تفق الأنام وأنت منهم ... فان المسك بعض دم الغزال

(٨١) أراد الشاعر (المقاهى) فاستعصى عليه الوزن ، فاستبدل بها (القهوات) ، وهى كلمة تستخدم فى العامية بمعنى (المقاهى) ، ولكنها فى الأصل العربى جمع قهوة ، والقهوة هى الخمر أو اللبن الخالص ، وتطلق أيضا على مشروب البن المسحوق ولكنها بهذا المعنى تعتبر مولدة .

واستخدامها بمعنى الخمر هو المشهور والمعروف منذ الجاهلية ، يقول الأعشى ميمون بن قيس :

وقهوة مزة رووقها خضل

(٨٢) (الوابور) كلمة معربة تستخدم فى العامية المصرية للدلالة على بعض الآلات من ذوات المحركات أو من غيرها .

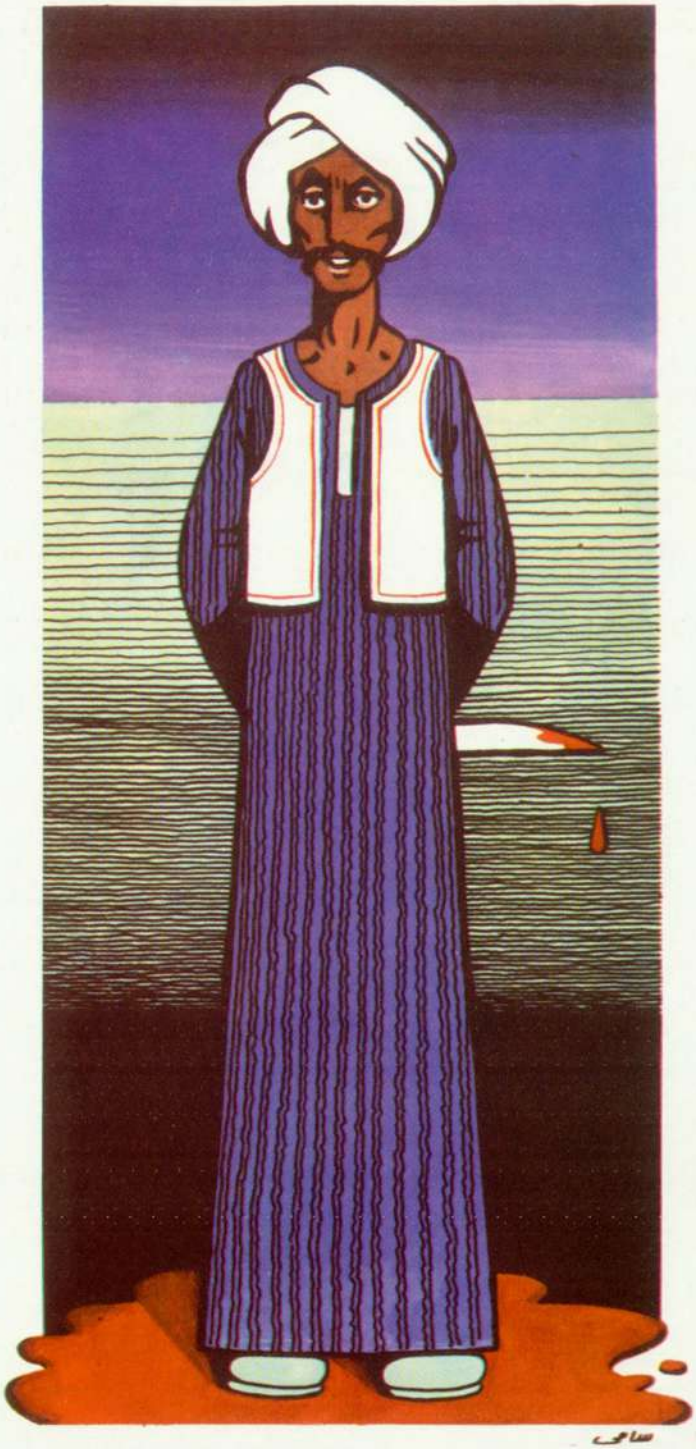
(٨٣) فى الأصل (اصابة) بدون همز .

(٨٤) فى الأصل كلمة (خلنى) مطموسة .

(٨٥) كلمة (امض) غير واضحة فى الأصل .

الثأر

قصة قصيرة بقلم : يوسف الشاروني



ثلاثون عاماً راح خلالها ثلاثون قتيلا أخذاً بالثأر فى قريتنا الجبلية الصغيرة آخرهم كان ضحية صبى فى الرابعة عشرة من عمره ، كان أبوه قد سبق أن مات مقتولا وهو مايزال جنيناً فى رحم أمه ، فلما ولدته لم ترضعه ولم تطعمه إلا هدفاً واحداً فى الحياة : ان ينتقم من قاتل أبيه . وكما انتهت مأساة قريتنا ـ حتى الآن على الأقل ـ بصبى فانها بدأت بصبى .

• • •

كان رفاعة من أسرة أبو دومة يصطاد العصافير ـ فى أحد العصارى ـ بنبلته فى الحقول المجاورة لبيوت القرية ، غير انه أخطأ ـ ذات مرة ـ هدفه وأصاب عين طفل من أسرة الدرمللى . وقد ثار سالم الدرمللى والد الطفل ـ الذى لم يكن قد بلغ العاشرة ـ وحلف بالطلاق الا يكون انتقامه بأقل من أن يذبح الصبى المفزوع رفاعة ابن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة وقد توسط أهل الخير وحاولوا عبثاً أن يفهموا الوالد المكلوم ان الاصابة غير مقصودة وانها من صبى لا يدرك عواقب الأمور ، وعرضوا عليه دفع دية أو تعويض ، غير أن الوالد الثائر ركب رأسه كما يقولون ، وقد أقسم فكيف يحنث فى قسمه ؟

وحين فشل وسطاء الخير واتضحت خطورة العواقب لهذا الموقف المتصلب ، تدخل عمدتنا واقترح حلا قد يرضى الجميع فمادام الرجل قد أقسم فلينفذ قسمه ، ولكن على شرط أن يمر بالسكين على رقبة الصبى بحدها غير المسنون ، أو بمعنى آخر أن يمثل عملية الذبح كما يفعل الممثل فى المناظر المشابهة على المسرح ، بذلك يبر قسمه دون أن ينفذه . وعندما بدا أن سالم الدرمللى قد اقتنع بهذا الحل بعد أن فقد الجميع الأمل ، واضطرت أسرة أبو دومة الى قبوله أيضاً وإن كان على مضض ، فقد كانوا فى شك أن ينفذ سالم الدرمللى تعهده ، وألا يستغل طيبة العمدة لينفذ قسمه ، فدماغه كانت ناشفة .

وفى الموعد المتفق عليه ذهب كبار أسرة أبو دومة بصحبة الصبى رفاعة الى المكان المتفق عليه وهو دوار العمدة ، كما ذهب سالم الدرمللى وبعض أقاربه . وبعد أن شربوا الشاى دورين ، صنع الرجل حلقة ووقف رجال كل أسرة فى مواجهة الأخرى . وأدرك رفاعة أن دوره قد حان ، فهم بالبكاء فزعاً وتشبث بأبيه لولا أن أخرسته نظرة منه ، فاستجمع شجاعته وتقدم وسط الحلقة ، بينما قدم العمدة السكين بنفسه ـ ولكن مقلوباً ـ الى سالم الدرمللى .

ووسط جو مشحون بالتوتر أمسك سالم السكين ، وفى لحظة أقل من اللحظة ، عدل السكين ومرره بكل عنف على رقبة الصبى المكشوفة المستسلمة لتتفجر دماؤه بشدة حتى أصاب رشاشها الواقفين : ثيابهم ووجوههم . وترنح الصبى وهو يرفرف كدجاجة مذبوحة . وفى لحظة خارج الزمن انطلقت الرصاصات من أسرة أبو دومة تتهاوى متسابقة مرشوقة فى جسد سالم الدرمللى : ثلاثون رصاصة ـ كما جاء فى تقرير الطبيب الشرعى ـ اخترقت جسده من رأسه الى أسفل بطنه حتى أصبح كالغربال .

تلك كانت البداية ...



وجه مدينة من فلسطين



حيفا

قلادة على صدر الوطن

نبيل خالد الأغا

موقفان تراجيديان واجهتهما في مستهل الجولة التى نقلتنى الى المدينتين الحبيبتين الرائعتين : القدس الخالدة .. محارة اديان السماء ، وحيفا الفاتنة قلادة الشوق التى تزين صدر وطننا الفلسطينى المغتصب !

لقد تعرضت لهذين الموقفين الغريبين وواجهتهما بأسلوب أعترف بداية أنه سلبى وقد لا يرتضيه الكثيرون ! ولكن ما حيلتى وانا لا أملك غير الدمعة السخية الدافئة اسكبها على وطنى بعد أن عز على امتى العربية الاسلامية أن تسكب الدم فداء للقداسة والطهارة والكبرياء !

أول الموقفين حدث اثناء احدى الجمع الرمضانية المباركة حيث انطلقت من مدينتى صباحاً فى طريقى الى القدس الحبيبة لزيارتها وللصلاة فى المسجد الأقصى المبارك . وفى العاشرة والنصف أردت تجديد وضوئى استعداداً لأول فريضة أصليها فى ثالث الحرمين الشريفين .

اتجهت الى «سبيل» رئيسى فى الساحة قبالة مسجد الصخرة ، فرأيت عشرات المسلمين متحلقون حول صنابير المياه ، فانتظمت فى دورى ، وبعد أكثر من عشرين دقيقة استطعت الوصول الى احد ها !

بدأت فى الوضوء وكل كيانى منغمس حتى النخاع فى مستنقع نفسى جاوز الحد الأعلى للتعاسة البشرية قاطبة !

وعندما أوشكت على الانتهاء تنبهت الى أن وضوئى لم يكن منظماً ولا متوالياً فبدأت الوضوء من جديد ، وانا أذوب خجلا من نفسى ومن الرجال الذين ينتظرون أدوارهم خلفى !

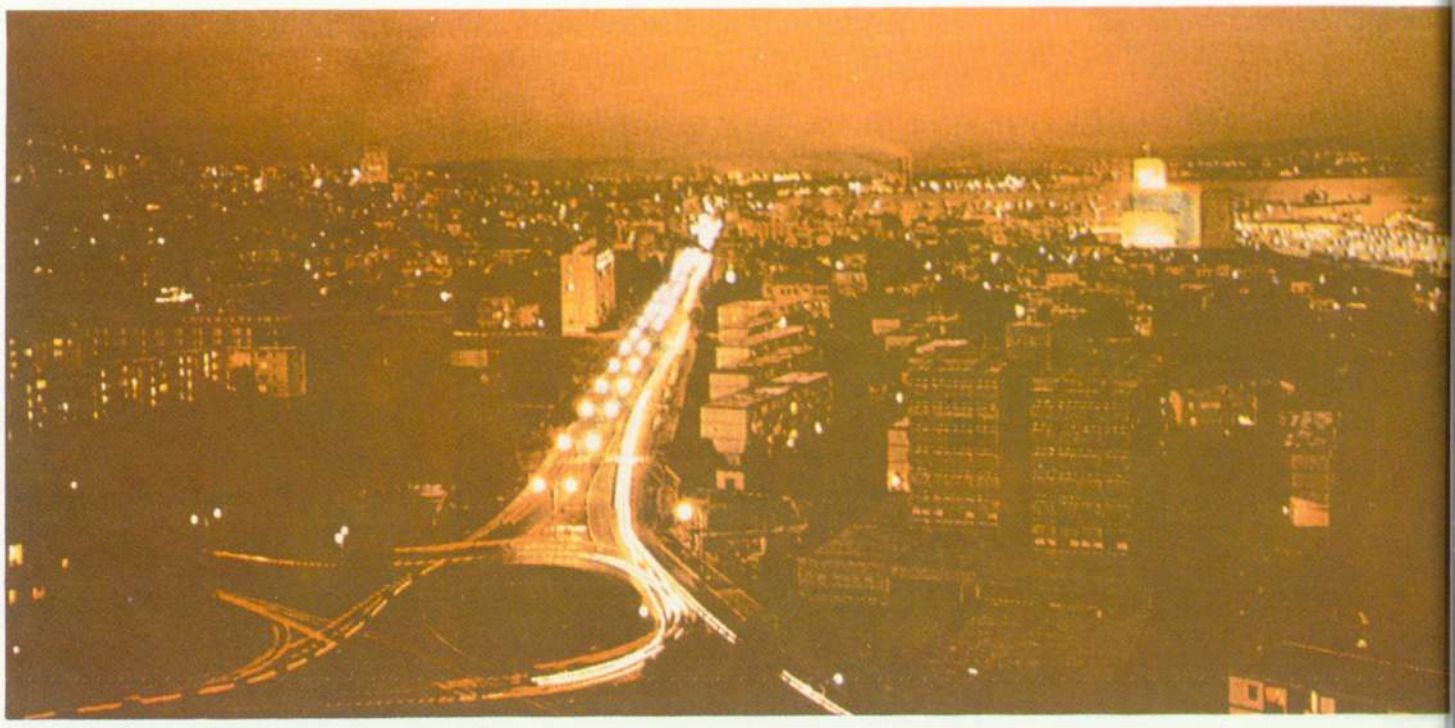
وعندما أوشكت على الانتهاء تنبهت الى خطئي فى ترتيب فرائض الوضوء للمرة الثانية ! .. وبدأت من جديد أغسل وجهى ، وهنا نفد صبر الرجل الواقف خلفى مباشرة . فصرخ بلهجة فلاحينا البسطاء : هيه يا رجل .. قم الى بيتك لتتعلم الوضوء فيه ولا تضيع علينا صلاة الجمعة !!

وأسقط فى يدى ووجدانى وكل ذرة فى كيانى .. فنظرت الى الرجل فى ذل وانكسار وتمنيت ان يهبه الله حكمة لقمان كى يدرك ما بى من حزن يعقوب ، وحسرة يوسف ، وبلوة أيوب ، وألم آدم ! وتمنيت لحظتها أن تكون دموعى بلون دمى حتى يدرك صاحبى أننى اتوضأ وضوءاً آخر لا عهد له به ، وتذكرت قول الشاعر :

لم يخلق الدمـــع لامرىء عبثاً
الله أدرى بلوعة الحـــزن !

• • •

أما الموقف الثانى فقد حدث على قمة جبل الكرمل .. حينما كنت مستغرقاً متأملا بصمت واجلال منظر مدينة حيفا



● توضأت ثلاث مرات وأنا أسكب الدمعة السخية الدافئة على وطني !

● من الذي يحصد هذا الجمال لأمتع منظر تغرق فيه الأبصار ؟

● عندما خرجت "إيزيس" تبحث عن زوجها في كهوف جبل الكرمل !

الآية الرائعة التى أبدعت يد الله صنعها جبل الكرمل يحتضنها ، والأبيض المتوسط يهدهدها ، ، والنجوم تداعبها ، والسهل يناغيها ، والجمال نفسه يغار منها ، وعيون الحساد تخاف عليها ، إنه بلا شك أمتع منظر تغرق فيه الأبصار بفلسطيننا المغتصبة ... ولكن من الذى يحصد هذا المحصول الجمالى الفريد ؟ ان الاجابة الموحشة عن هذا التساؤل كفيلة بتشييد أهرام جديدة من الوجد والألم على صدرى المترع بالاحزان .. ولم يكن هذا الواقع وحده هو الموقف التراجيدى الوحيد الذى أعني فلقد رأيت أغرب منظر لا أخلاقى وقعت عليه عيناى فى طول حياتى وعرضها ! والذى أتورع حتى عن استحضار صورته البشعة فى خيالى خشية أن أخدش عفة هذا الخيال بشيطانية ذلك القبح ، وإنى لمشفق على كرام القراء من تفصيله .. لكن عز على نفسى أن أراه حادثاً فى وطنى .. وفى أكرم شهر من شهور ربى وبتلقائية شديدة ... انداحت على وجهى حبات الدموع ... ثم سحت عينى خيراتها المدرارة وأخذت أردد قول الرصافى :

أأمنع عينى أن تجود بدمعها
على وطنى إنى اذن لبخيل

وبعد أن عشيت عيناى من طول البكاء وبكى بعضى على بعضى معى كما يقول أحد شعراء الأندلس أخرجت نفسى من محنتها ، وقلت ان تدارسنا لحياة حيفا أنفع وأجدى ألف مرة من بكائنا عليها ، ونواحنا على ضياعها !

جنة الله

تتربع مدينة حيفا الفاتنة على قمة سفح جبل الكرمل الشامخ ، وهو يكون الجزء الشمالى الغربى من جبال نابلس ، حيث يبدأ من وادى الملح وينتهى على شاطىء الأبيض المتوسط عند حيفا ، ويبلغ طوله ١٥ كم ، وعرضه حوالى ثمانى كيلو مترات ، أما أعلى قمة فترتفع ما يقرب من ٥٥٠ متراً عن سطح البحر .

ولقد اكتشف علماء الآثار فى كهوفه ومغاوره بقايا هياكل بشرية ترجع الى العصر الحجرى القديم مما يدل على وجود حياة بشرية فيه منذ آلاف السنين.

وقد ورد فى الأساطير المصرية القديمة أن «ايزيس» خرجت تبحث عن زوجها أوزوريس فى أحد كهوف جبل الكرمل ، فرأت القمح نامياً فى مدخل الكهف . وهى اشارة تدل على أن القمح قد عرف للمرة الأولى فى فلسطين وبوجه خاص على هذا الجبل .

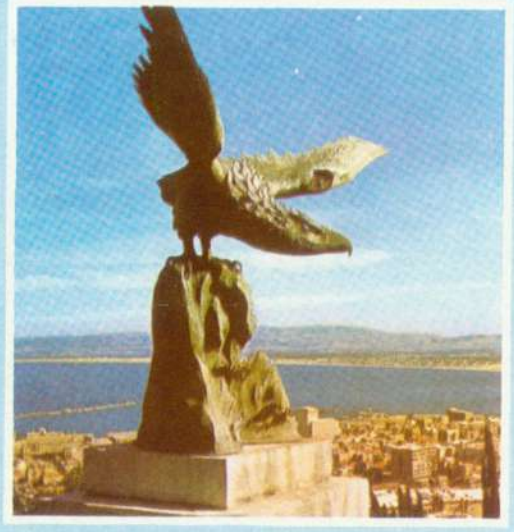
وقد ورد فى الأدب اليونانى القديم أن الفيلسوف الرياضى الشهير «فيثاغورس» عاش فترة من الزمن على جبل الكرمل ، التقى خلالها مع بعض تلاميذه .

وبعض الناس يدعونه «جبل مار الياس» بحجة انتصار هذا النبى

حيفا



جانب من حيفا القديمة ويبدو فيه جبل الكرمل



المدينة تطل على شاطىء البحر

على أعدائه من الوثنيين اليهود فوق الجبل .

وفيما بعد حفل الجبل بالنساك والموحدين الذين تناثروا فى أرجائه يعبدون الله ويتقربون اليه .

أما كلمة «كرمل» ذاتها فهى كنعانية الأصل ، وتعنى كرم الله ، أو جنة الله ، وهى تسمية لها من اسمها نصيب ، حيث كسا الله هذا الجبل بأشكال مختلفة من الأشجار والفواكه منذ قديم الزمن فتواجدت فيه أشجار الصنوبر ، والسريس والبلوط ، والسنديان ، والعبهر ، والخروب ، والجميز ، والتين ، والزيتون ، إضافة الى أنواع عديدة من الرياحين والأزهار .

واذا وقف المرء على أماكن محددة على جبل الكرمل يستطيع أن يكحل عينه برؤية عكا وفنار صور شمالا ، والى ما وراء قيسارية جنوباً ، والى جبال الجليل وجبل الشيخ شرقاً ... اضافة الى منظر الأفق الممتد بعيداً وهو يعانق البحر ويحنو عليه فى لهفة ودلال . انها بلا ريب مشاهد فريدة من أمتع ما تقع عليه العين فى وطننا الفلسطينى المستباح .

تاريخ المدينة

حيفا كلمة عربية ، و «الحيفة» معناها «الناحية» ، وقد ورد ذكرها فى القرن الرابع الميلادى باسم «ايفا» .

ويرجح أنها أنشئت زمن الكنعانيين العرب ، ولكنها عاشت كقرية متواضعة لم تثر اليها انتباه التاريخ القديم ، وانحصرت ميزتها الكبرى فى موقعها الطبيعى النادر ، وكذلك لم يرد لها ذكر ما فى مصادر الفتح العربى الاسلامى ، ولعل أقرب ذكر لها كان فى عام ١١٠٠ ميلادية ، حينما استولى عليها الصليبيون بعد هجومهم على الحامية المصرية الصغيرة التى كانت تدافع عن البلدة .

وقد اهتم لويس التاسع ملك فرنسا بتحصين حيفا وقيسارية بوجه خاص ، إلا أن ذلك التحصين لم ينقذها من قبضة الجيش الاسلامى بقيادة البطل الظاهر بيبرس ، حيث فر الصليبيون وأتاحوا الفرصة لدخول الامراء العرب اليها ...

وغفت حيفا فترة وجيزة من الزمن ثم استيقظت فجأة على وقع أقدام نابليون الذى أقام قيادته على جبل الكرمل .

وفى نهاية القرن التاسع عشر أصبحت «مركزاً» لقضاء يحمل اسمها ، وتولى «احسان بك التركي» منصب قائم مقام القضاء ... ومع مرور الزمن اتسعت المدينة .

وقد سمح السلطان العثمانى عبد العزيز للجالية الألمانية بتأسيس حي لها فى حيفا .. فقام المهندس «شوماخر» برسم الخريطة وتنفيذها فى القسم الغربى ... وأصبح ذلك الحى فيما بعد من أجمل أحياء المدينة وأنظفها ، واتفق سكانه منذ البداية على أن لا يبيعوا شيئاً من أراضيه لغير الألمان أنفسهم ... وقد صدقوا النية فى عقدهم «ولم ير حتى الآن انهم باعوا شيئاً من أراضى الحى لغريب عنهم» .

استيطان اليهود فى حيفا

لقد كان اليهود الوطنيون «السفارديم» يسكنون فى حيفا منذ زمن قديم ، وبرغم أن حالتهم الاجتماعية فيها كانت سيئة إلا أنهم كانوا يرفضون النزوح عنها .

أما اليهود الغربيون «الاشكيناز» فقد كانوا قبيل الحرب العالمية الأولى يقطنون فى القسم الغربى من حيفا ، ويشتغل أغلبهم فى التجارة التى برعوا فيها واغتنوا من ورائها . ومن أجل نماء هذه التجارة حصروا بيعهم وشراءهم فيما بينهم فقط .. وافتتحوا لهم فرعاً لمصرف «انجلو فلسطين» ، والذى لا يتعامل إلا مع اليهود فقط ، اضافة الى أنه يبتاع اراض وأملاكا وعقارات مختلفة ويعطيها لشباب اليهود وفقرائهم اضافة الى اقراضهم أموالا يستطيعون بها تنمية مواردهم ، ويستطيعون بعد ذلك اداء ما عليهم على أقساط طويلة الأمد .

وقد اهتم اليهود فى حيفا بنشر اللغة العبرية ، فقاموا بفتح بعض المدارس التى كان يؤمها مئات التلاميذ يومياً .

خمسة أيام حاسمة

هناك خمسة أيام حاسمة وحافلة فى



مصيف ناتانيا

حياة حيفا المعاصرة ...

اليوم الأول كان فى عام ١٩٠٥ ميلادية .. حينما شهدت المدينة ميلاد أول خط حديدى لأول قطار ينطلق من محطتها أو ينتهى اليها . فلقد تحرك فى ذلك اليوم قطار سكة حديد الحجاز فربطها بدمشق وحوران وعمان والحجاز

وبعد أن كانت حيفا وثغرها مقراً متواضعاً لصيادى السمك وصغار التجار أصبحت تنمو وتتوسع فى نهضتها وتجارتها ولكن على حساب جارتها عكا !

فصارت حيفا ميناء هاماً تصدر منه حبوب المنطقة المجاورة ، وتصل بواسطته البضائع المختلفة القادمة من شتى بقاع العالم .

واليوم الثانى من أيام حيفا الحاسمة كان فى عام ١٩١٨ حيث بدأ عهد جديد خيم بظلاله السوداء فيما بعد على حيفا ففلسطين فالشرق الأوسط ، وذلك حينما احتل المدينة الجنرال اللنبى والكولونيل ستانتون وهما يقودان الجيوش البريطانية التى اشتبكت فى معركة حربية مع فلول الجيش التركى الذى كانت مدفعيته الالمانية تتمركز فى غابات الصنوبر فى الكرمل . وكذلك عندما أوصل اليها الجيش البريطانى أول قطار يربطها بمصر حيث صار معظم المسافرين يمرون بها وبخاصة الذين يسافرون بين مصر وسورية وبالعكس .

واليوم الثالث فى حياة حيفا كان فى عام ١٩٤٠ عندما بدأ الجيش البريطانى فى تحريك أول قطار متجه من بيروت وطرابلس خلال الحرب العالمية الثانية . وبهذه الشبكة المهمة من الخطوط الحديدية ارتبطت حيفا بخطوط العالم الرئيسية ، وأصبحت المدينة ذاتها محطة يتدفق اليها ألوف العمال العرب طلباً للرزق ، كما رحل اليها بعض كبار التجار السوريين والمصريين واللبنانيين

أما اليوم الرابع فى حياة مدينتنا الساحرة فقد كان فى عام ١٩٣٣ ... وفيه عدة خطوط عريضة برزت فى تاريخ المدينة ..

فلقد افتتح مدير شركة بترول العراق أول أنابيب البترول الممتدة من كركوك الى حيفا تحمل اليها نصف ما كانت تصدره العراق من بترولها ومنها يصدر الى أوربا وغيرها .

ومما زاد فى ازدهار حيفا وجعلها مقصد الرزق للكثيرين من داخل البلاد وخارجها بناء مصفاة حيفا الشهيرة .

وشهد نفس العام تدشين ميناء حيفا ليكون أعظم موانىء البحر المتوسط بعد مينائى مرسيليا والاسكندرية وبلغ عرض مدخله ١٧٣ متراً ، فأصبح الشريان الحيوى لفلسطين والأردن وسوريا والعراق وايران وغيرها من الأقطار الآسيوية .

ومما ساعد على ازدهار المدينة فى المجال الاقتصادى توفر أعمال البناء وصناعة الاسمنت والسجائر والنسيج والصابون ومطاحن الدقيق وأخيراً صناعة تكرير البترول .

يقول استاذنا المرحوم محمود العابدى : لقد كانت حيفا تشكل قوة مغناطيس تجذب اليها العامل العربى من سائر بلاد الشام دون حساب الحدود السياسية المصطنعة ، ولذلك كان جنيه حيفا يداعب خيال كل طموح ولا سيما التاجر السورى الذى نجح نجاحاً باهراً فى مزاحمة اليهود تجارياً ، لذلك كانت حيفا مركز العمل والعمال فى فلسطين .

ومن الخطوط العريضة التى برزت كذلك فى عام ١٩٣٣ استقبال حيفا لجثمان المغفور له الملك فيصل الأول حيث خرجت الجماهير عن بكرة أبيها تحيي الزعيم العربى الراحل ، وأقامت له بعد ذلك نصباً تذكارياً أمام جامع الاستقلال ، والملك فيصل هو فيصل الأول ابن الحسين الهاشمى يعتبر من أشهر ساسة العرب فى العصر الحديث وقد نودى به ملكاً على العراق عام ١٩٢١ ثم وافته المنية فى سويسرا بعدئذ .

وقد خلد شاعر فلسطين الراحل ابراهيم طوقان هذه المناسبة بقصيدة مطولة جاء فى مطلعها :

شيعى الليل وقومى استقبلى
طلعة الشمس وراء الكرمل
واخشعى ، يوشك أن يغشى الحمى
يا فلسطين سنى من فيصل

وخامس الأيام المشهودة فى حياة حيفا هو يوم الثالث والعشرين من نيسان (ابريل) من عام ١٩٤٨ . وفيه انسحب البريطانيون من حيفا وتركوها لقمة هنية فى أفواه الصهاينة . لقد حدث ذلك برغم أن الادارة البريطانية قد أكدت مراراً فى بياناتها الرسمية أنها لن تتخلى عن حيفا قبل انتهاء الانتداب يوم الخامس عشر من مايو (أيار) من نفس العام ، وأنهم مسئولون عن الأمن حتى ذلك التاريخ . ولم يقف البريطانيون عند هذا الحد بل عمدوا الى شطر المدينة شطرين ، ووقفوا على منافذها يمنعون وصول النجدات العربية اليها ، بينما ساعدوا اعداءنا على التمركز والتحصن!

الرحيل .. الرحيل

لقد اجمع المؤرخون الذين رصدوا مراحل النكبة الفلسطينية على بطولة المجاهدين الفلسطينيين من أبناء حيفا وقراها المجاورة .. فلقد قاتلوا اليهود

حيفا

خمسة أشهر كاملة سبقت سقوط المدينة فقتلوا خلقاً كثيراً من أعدائهم ، ونسفوا معامل التكرير التابعة لشركة بترول العراق البريطانية ، ودافعوا عن أرضهم وعرضهم دفاع الصناديد . برغم أن عدد المناضلين الحقيقيين فى حيفا لم يتجاوز فى أى وقت من أوقات النضال عن الأربعمائة مناضل ولقد أظهروا من آيات البطولة والفداء ما يستحق التقدير والاعجاب . ..

وبعد أن انسحب البريطانيون من منطقة الميناء ، قام اليهود بهجوم صاعق على المنطقة العربية مهدوا له بضربها بالمدافع وقاذفات الألغام ، وصد الانجليز نجدة عربية قادمة من قرية الطيرة ومنعوها من الدخول إلا إذا تخلت عن أسلحتها !

وزلزل الناس زلزالا عنيفاً .. وغلبوا على أمرهم .. ونفد الجهد .. ونفذت ارادة الله وسقطت حيفا فى مستنقع الاحتلال الصليبى من جديد .

ويصف لنا الاستاذ قسطنطين خمار أحد المشاهد المأساوية للهزيمة فيقول : لقد هرع الذين بقوا على قيد الحياة الى الميناء ، ومعظمهم حفاة بثياب النوم ، فركبوا الزوارق قاصدين عكا أو لبنان ، وبلغ الزحام فى هذه الزوارق اشده حتى انقلب بعضها وغرق ، ومن الأمهات من نسيت صغارها وقد أوصدت باب منزلها دون أن تعي شيئاً لهول الموقف . وكان لكل عائلة قصة من هذا ، ولكل فرد رواية ولعل أفظعها قصة تلك الأم الذاهلة التى نزلت المركب وهى تحمل لفافة حرصت عليها حرصاً شديداً وهى تظنها وليدها ، فلما وصلت الى ميناء عكا وأفاقت من هول الصدمة هالها أن ترى أن ما كانت تحمله لم يكن إلا وسادة فاغمى عليها فوراً .

... وهكذا وفى ساعات سوداء من أيام قاتمة فى تاريخ العرب وفلسطين فرغت المدينة أو كادت من خمسة وسبعين ألف عربى كانوا يشكلون نصف سكانها ، ويمتلكون سبعين بالمائة من عقاراتها وانشاءاتها .

أما اليوم فيقدر عدد سكان حيفا وضواحيها بحوالى ٤٥٠ ألف نسمة ، بينما يقدر عدد العرب بحوالى ٢٥ ألف نسمة .



مصيف ناتانيا بالوطن السليب .

تقسيمها الادارى

كان قضاء حيفا فى نهاية الانتداب البريطانى على فلسطين يضم ٥٢ قرية عربية ، وما يقرب من ستين مستعمرة يهودية ، سبع منها فقط أسست فى العهد العثمانى والبقية فى عهد الحكم البريطانى اللعين .

كما كان فى هذا القضاء ما لا يقل عن (١٨) قبيلة من الأعراب منها قبائل : التركمان ، الزبيدات ، السواعيد ، الخوالد ، الزوايده ، العلاقمة ، المنسي ، العوادين ، وغيرهم .

أما القرى العربية فقد دمر الأعداء غالبيتها العظمى باستثناء تسع منها هى : شفا عمرو ، اعبلين ، ابطن ، عارة ، كفر قرع ، عرعرة ، عسفيا ، اجزم ، دالية الكرمل



كاتب المقال داخل مدينة حيفا .

لقد كان عدد اليهود فى هذا القضاء ايام الحكم العثمانى لا يزيد عن ٣,٥ بالمائة من مجموع السكان ، ثم أضحوا فى أواخر العهد البريطانى الأسود ٤٦,٥ بالمائة .

هذا وينسب الى قضاء حيفا عدد كبير من الشخصيات الفلسطينية البارزة منها:

●● نجيب نصار ١٨٦٢ ـ ١٩٤٨ م : صحفى مرموق ، تولى اصدار جريدة «الكرمل» الأسبوعية فى حيفا عام ١٩٠٩ ميلادية . طاردته الحكومة العثمانية بعد أن أقفلت الجريدة ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عاود اصدارها الى أن أمرت الحكومة البريطانية باقفالها عام ١٩٤٠ . توفى فى الناصرة فى عام النكبة الأولى .

● رشيد الحاج ابراهيم ١٨٨٩ ـ ١٩٥٣م وجيه مرموق ، وسياسى بارز ، مثل فلسطين فى كثير من المؤتمرات التى عقدت لمجابهة الانتداب البريطانى والهجرة اليهودية . كان واحداً من رجالات فلسطين الذين نفتهم بريطانيا الى جزيرة سيشل عام ١٩٣٧ ، تزعم شئون القتال فى حيفا قبل ضياعها . هاجر الى الأردن وفى عمان أدركته الوفاة

●● نقولا الدر ١٩٠٩ ـ ١٩٦٧ : من مواليد قرية شفا عمرو ، تخرج من كلية «تراسنطة» فى القدس عام ١٩٣٦ ، نزح بعد النكبة الى الاسكندرية ، وبعد عام انتقل الى بيروت حيث أخذ يمارس



جانب من حي الميناء بالمدينة .

نشاطه الصحفى والادبى ، ثم تولى رئاسة تحرير جريدة (ديلى ستار) الانجليزية التى تصدر فى بيروت . وفى عام ١٩٦٤ انتخب نائباً لرئيس المجلس الوطنى الفلسطينى الأول الذي عقد فى القدس ، ثم تولى رئاسة دائرة التوجيه والاعلام بمنظمة التحرير الفلسطينية . حسبه فخراً كتابه الرائع «هكذا ضاعت وهكذا تعود» الذى صدر عام ١٩٦٣ وتضمن شرحاً علمياً وافياً لخطر النفط العربى وعلاقته بكارثة فلسطين وتحريرها .

●● حسن البحيرى ١٩٢٠ ـ ....
ولد فى حيفا ، وأنهى الصف الابتدائى الرابع ، عمل فى سكة الحديد ، ودرس على نفسه الانجليزية والعبرية ، نشر قصائده ومقالاته فى الصحف الفلسطينية والمصرية واللبنانية ، اشترك مع الفدائيين العرب فى نسف «المطحنة الكبرى» وكثير من الأماكن اليهودية المهمة ، بعد النكبة الأولى نزح الى دمشق حيث عمل مراقباً للقسم العربى فى الاذاعة العربية السورية ، ثم عين استاذاً للأدب العربى فى بعض ثانويات دمشق . له عدة دواوين شعرية ومترجمات مطبوعة ومخطوطة .

حيفا .. والواقع

تعتبر حيفا ثالثة أكبر المدن الفلسطينية المحتلة بعد القدس وتل أبيب حيث تبلغ مساحتها حوالى مائة كيلو متر مربع .

وهى مركز مهم للصناعات اليهودية الثقيلة المقامة على خليج عكا ، مثل مصانع الاسمنت ، والأسلاك الكهربية ، والزجاج ، والسماد ، والكيماويات ، وفيها مصفاة البترول وغيرها . أما الميناء فهو بمثابة القلب البحرى النابض للكيان الصهيونى ، وحركة العمل فيه نشيطة جداً تعادل نحو ٥٦ بالمئة من مجموع حركة العمل فى الموانىء الفلسطينية الحالية الثلاثة : حيفا وأشدود وايلات

ويعتبر مرفأ المدينة مركزاً للاسطول الحربى اليهودى ، وفيه ترسانة ضخمة لبناء السفن واصلاحها .

ووزارة السياحة الاسرائيلية تحاول أن تجعل من حيفا نقطة انطلاق للرحلات السياحية الى مدن وقرى الجليل . وتركز الدعاية السياحية على الجمال الطبيعى للمدينة ، ووجود الميناء نفسه فى مقدمة الأسباب التى تساهم فى زيادة السياحة فى المدينة حيث تتوقف معظم ناقلات الركاب فى هذا المرفأ الحيوى .

ومن أهم الأماكن التى يدعى السياح لزيارتها بالمدينة هى : بناية «داغون» لطحن القمح وترتفع ٦٠ متراً وهى أعلى بناية فى وطننا المغتصب ، وسبعة متاحف هى : المتحف البلدى ، متحف الفن الحديث ، متحف الفولكلور ، المتحف الملاحى ، متحف الفن اليابانى ، المتحف الموسيقى ، متحف الطبيعة وما قبل التاريخ .

ويوجد بالمدينة أكثر من خمسين فندقاً مختلفة الدرجات ، وبعض بيوت الشبيبة ، وعدد كبير من المطاعم بعضها له صبغة شرقية ويقدم المأكولات العربية مثل اللحم المشوى والفلافل والفول والحمص ، والمتبل ، وتدعي الكتيبات السياحية الصهيونية أن هذه المأكولات هى أطعمة اسرائيلية خاصة !

أما أهم الأماكن السياحية فى المدينة فهو «المعبد البهائى والحدائق الفارسية» ويوجد فى الحدائق البالغة الجمال تماثيل من الحجارة لمؤسسى المذهب البهائى . كما يوجد بناء يحتوى على مكتبة ضخمة تضم الكتب والمخطوطات والوثائق التى تخص الحركة البهائية .

ومن مشاهد حيفا الرئيسية (معهد اسرائيل التكنولوجى ـ التخنيون) ، وكان يعرف فى العهد البريطانى (بمعهد حيفا الصناعى) وتشمل الدراسة فيه الهندسة المدنية ، والصناعية ، والمعمارية ، والكيمائية ، وهندسة الطيران ، وتخطيط المدن .

وفى الفترة الأخيرة الحقت به دوائر متعددة منها: العلوم النووية ، وعلم الميكروبات والجراثيم العامة ، والدراسات العامة ، والتربية ، ويبلغ عدد طلابه حوالى تسعة آلاف طالب .

وفى عام ١٩٦٤ ميلادية تأسست «جامعة حيفا» ، وتضم الكثير من الأقسام العلمية والنظرية ، وبها مكتبة ضخمة تحتوى على ما يقرب من مائتى الف مجلد !

● ● ●

أثناء عودتنا الى خان يونس أخذت أردد بلوعة وأسى مع حسن البحيرى شاعر حيفا وابنها المتيم قوله :

حيفا .. وأنت مزاج الروح فى رمقى
وعمق جرح الهوى فى موجعى الخفق
عيناى انت .. وانت العمر أجمعه
وانت عرس المنى فى مأملي الالق
يشدنى اليك شوق لو غمست له
يراع شعرى فى صوب الحيا الغسق
لجف حبرى ولم أبلغ قراءة ما
ضمت جوانح صدرى من لظى حرقى

نبيل خالد الآغا

مدخل لدراسة الفولكلور الخليجي

محمد علي عبد الله

- ملامح التشابه الثقافي في فنون شرق الجزيرة العربية هي نتاج روح الشعر العربي



واجهة معمارية من البحرين يعلوها ما يشبه المقرنصات الاسلامية .



باب قديم فى متحف قطر الوطنى

إن الثقافة المادية لمنطقة الخليج العربى ، هى من الثقافات التى مازالت مجهولة وغائبة عن إهتمام كثير من الباحثين التراثيين للخليج ، وقد يرجع أحد أسبابها إلى قلة المراجع التى تناولت هذه الناحية .

والثقافة المادية ، هى كل ما صنعه الانسان بيديه ، ليؤدى به الى غرض معيشى ، أمنى ، أو فنى .

وإن أكثر المراجع الموجودة عن منطقة الخليج ، والساحل العربى بالأخص ، هى مراجع تخص الجزء التاريخى أو السياسى أو بعض الملاحظات لبعض الرحالة العرب ، أو الأوروبيين منذ نهاية القرن الثامن عشر !

ولذا فان الدخول فى موضوع لا يوجد له رواد خاضوه من قبل ، وأعدوا عنه أرضية يقف عليها من يجيء من بعدهم ، لمن الأمور التى تدخل إلى كثير من المتاهات والافتراضات التى تتحقق صحتها أو يحدث العكس مع مرور الزمن

هذا البيت البسيط

لقد بدأت منذ فترة فى جمع بعض الملاحظات عن الثقافة المادية فى قطر ومقارنتها بباقى منطقة الخليج العربى ، ولم أتعجب عندما وجدت أن وحدة ثقافية كبيرة تجمع بين هذه المنطقة ، ومن هنا وجدت نفسى أذهب إلى بعض مناطق الخليج لأخذ الصور والبحث عن مراجع إذا وجدت ، أو الالتقاء بالباحثين فى التراث الخليجى والمناقشة فى آخر ما توصلوا إليه فى أبحاثهم .

وقد كانت زيارتى إلى الكويت فى شهر اكتوبر من عام ٧٨ ميلاديه ، بغرض الذهاب إلى مركز الفنون الشعبية ، وكم كانت دهشتى كبيرة عندما دخلت هذا المكان ، فهو عبارة عن بيت على شاطىء الخليج العربى ، وهو من البيوت الخليجية البسيطة التى كانت تؤدى أغراضاً عظيمة فى الماضى !

ودهشتى كانت أكبر عندما اكتشفت أن دراسات ذات أهمية كبرى قد خرجت من هذا المكـــان البسيط والذى لم أر باحثين يموجون فى بعض أروقته كما يحدث فى العادة ، بل فى إحدى أطراف هذا المنزل حجرة قالوا لى بانها مكتب الأستاذ صفوت كمال ، وهو رائد فى مجاله ، وقد وصل إلى الكويت فى الستينات ، وقام بابحاث عظيمة فى جمع وتدوين التراث الخليجى منذ تلك الفترة ، وتـوج جهوده المثمرة بكتابين احدهما : المدخل لدراسة الفولكلور الكويتى ، والآخر : من عادات وتقاليد الزواج فى الكويت ، الكتابان تعرضا إلى الثقافه الماديه وحدداً وصفاً لها .

التشابه الثقافى

وقد أجريت معه أثناء لقائى به هذا الحديث الذى سألته فيه عن التشابه الثقافى الموجود فى شرق شبه الجزيرة العربية ، واذا ما كانت هنالك أية تيارات ثقافية خارجية دخلت المنطقة ؟

وقال لى أن دراستنا للقبائل العربية تجعلنا نلاحظ أن كل هذه القبائل مشتركة فى جذورها ، بالاضافة إلى أن طبيعة المنطقة تدل على عدم وجود حواجز طبيعية شديدة بين اتصال القبائل مع بعضها كما أن متاخمة الصـحراء للخليـج العربى أوجـدت مهنة البحر ، سواء فى الغوص على اللؤلؤ ، أو السفر للتجارة فيه .

وقال انه يعتقد بان الغوص كان أقدم من التجارة ، والدليل على ذلك انها ذكرت فى نصوص (جلجاميش) ودلمون .

ومن هنا نلاحظ أن الرقعة الثقافية واحدة فى عملية التصور الأسطورى فى البحث عن اللؤلؤ ، كما أن الحفريات التى تمت فى البحرين من عمل (جفرى. بى. بى) مع وضع التصور العلمى الخيالى ، وهو أن جذوراً ثقافيه أخرى دخلت المنطقة وبالأحرى من مصر القديمة ، بالاضافة إلى الاتصال القديم مع أفريقيا والحبشه والهند سواء عن طريق اليمن أو عن طريق الجزيرة العربية ، كل ذلك يدل على أن البحر لم يكن حاجزاً فى وجه عملية الانتقال .

وإذا ما لاحظنا الجانب الثقافى الآخر وذلك فى طرق حياة البدو ، فاننا نرى فى التجارة على سبيل المثال البدو يقومون بنقل التمور منذ القدم ويتاجرون بها ، كما كانوا يقومون بوسائل وسطاء فى النقل ، ما بين فارس والهند ، وكذلك ما بين العراق والهند ، والوسيلة لم تكن عن طريق البر فقط بواسطة الجمال ، بل

كانت هنالك وسيلة البحر أيضاً ، ونستنتج من هذا الانتقال والاتصال النشط عن طريق البر والبحر ، أن التبادل البشرى الثقافى كان مستمراً وموجوداً أيضاً .

مشكلة نوعية الحياة

والدارس للتصورات الأسطورية الموجودة عند العرب ، وبجانب الأساطير العربية يلاحظ تصورات أسطورية اخرى وافدة من الهند وفارس وبلاد مصر القديمة ، وكذلك من بابل وآشور .

بالاضافة إلى أن طبيعة حياة البدوى وبحثه عن الماء والكلأ ، خلفت عند الانسان العربى نوعاً من الألفة مع المناطق الأخرى وثقافتها ، فاصبحت هذه المناطق مطروحة، وجاءت فترة الاستقرار والتى بدأت تطور تصوراتها البسيطة إلى أشكال أعقد واكثر تطوراً ، ومن هنا تبرز أهمية تاريخ القبائل فى دراسة اتصال الثقافات وتاثرها ببعضها البعض .

والمشكلة التى تواجه الباحث فى التراث الشعبى ، أن المراجع التاريخية لا تخبرنا عن نوعية الحياة التى كانت موجودة فى الجزيرة العربية ، فالناحية الفنية تنعدم فى هذه المصادر . فحضارة اليمن وسد مأرب حضارة عمرانية وتشكيلية مازالت بقاياها موجودة حتى اليوم ، والزخارف فى البيوت اليمنية القديمة اليوم ، ومقارنتها ببقايا المنسوجات التى وصلت إلينا ، بما فيها من وحدة زخرفية معمارية تشابه الوحدة الزخرفية الموجودة فى المنسوج وأدوات الحلى ، والسيوف ، احتفظت بنقوشها مدة أطول ، وهذا دليل قاطع على أن وحدة ثقافية في المنطقة كانت موجودة .

فن التجريد الاسلامى

لم يكن هنالك شيء مثل اللغة فى توحيد وسهولة نقل الثقافة بين أجزاء المنطقة ، فهذه لم تكن حاجزاً على الاطلاق ، ماعدا حواجز اللهجات والتى نتخطاها ، وذلك بالتحدث بالعربية الفصحى ، وهذا راجع إلى فضل الدين الاسلامى والقرآن الكريم .

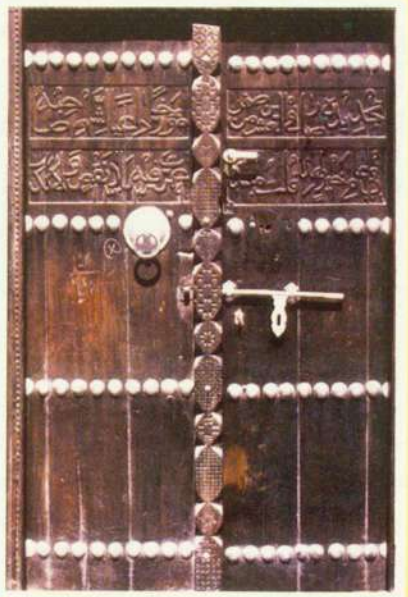
ومن المؤسف أن الموروث فى العصر الجاهلى قليل ، لانها كانت تعتبر عصر جهالة وثنيه ، ولذا لم يهتم المؤرخون العرب بهذه الفترة ، ولا نستطيع التعرف على أشكال الحياة إلا من خلال الشعر الجاهلى ، ويمكننا التعرف على الثقافة المادية المتمثلة فى الشكل عندما يتغنى الشاعر فى شكل الأزياء و السيوف ، والدروع ، فهذه كلها ثقافة مادية كانت تزخر بها حياتهم .

والحضارة العربية كانت تعتمد على الكلمة ، ليس لأنها كانت مناطق انتقال ، فهذا لم يكن إلا جزءاً فالرحلات التجارية وسوق عكاظ كانت تمثل ملتقيات ثقافية بين شتى قبائل الجزيرة .

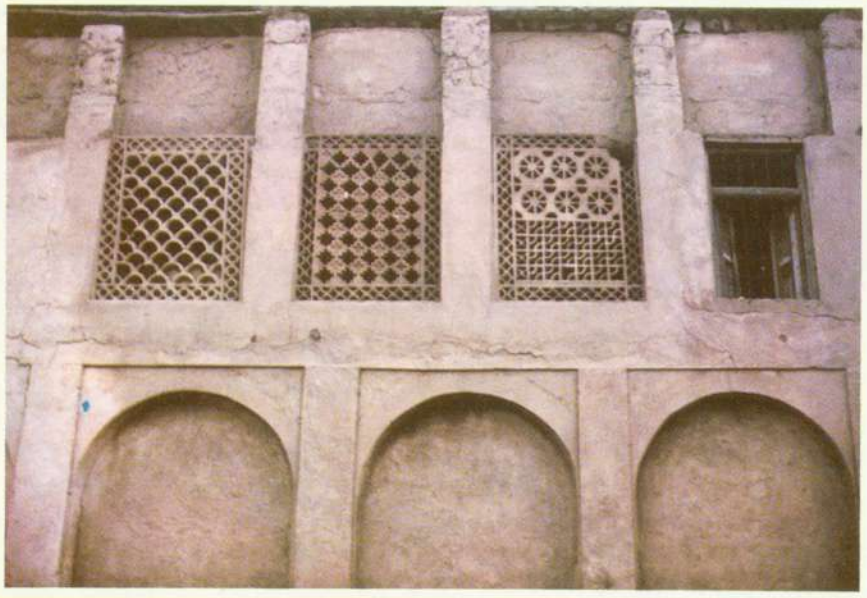
ثم ما معنى أن تعلق المعلقات فى سوق عكاظ . وقد قال بعضهم انها كانت تكتب على الحرير الدمشقى ، وتطرز بخيوط من ذهب وتحتوى كلماتها على وصف للدروع والسيوف .

وفى سير الابطال ، مثل ملحمة عنترة ، نجد الوصف الثقافى (الاتنوغرافيا) ، ولكن بقاياها اندثرت ، وبقى أن نبحث عنها ، أما الموروث الشفاهى ، فقد حدث عليه تأثير استمر فى أشكال الحلى والتطريز ، وأرى انه يجب أن نركز تماماً على المنسوجات الشعبية ، لأنها تستطيع أن تعطينا صوراً عن الرؤية الفنية التشكيلية عند الفنان العربى القديم .

زخرفة الأبواب .



نمط من الفن المعمارى فى دبى .



والفن العربى عندما ظهر لم يكن مرتبطاً بمفهوم التجريد الاسلامى وإلغاء الصورة ، بل كان مرتبطاً بوحدة الثقافة . ونلاحظ أن كلمة نمنمة عربية ، ومعناها أثر الرياح على الرمال التى جعلت البدوى يلاحظ الآثار الدقيقة جداً ، ويستطيع التعرف على آثار المشي ومدتها وحالة الماشي البصرية والجسدية من أثر على الرمل ، فهذه قدرة على التأمل الشديد جداً المبنى على إدراك التغيرات البسيطة الجزئية .

ولهذا فان الزخرفة العربية المسماه بالأرابسك هى نتاج هذه الروح الموجودة فى الشعر العربى ، وهى تكرار النمنمة فيه ، فالشاعر يضع التفعيلة ويبنى عليها عشرات ومئات الأبيات ، وقافية واحدة ، فهذه هى نفس نغمة للزخارف ، وكذلك الموسيقى فالتقاسيم فيها نمنمة ، وهذه كلها تعبر عن وحدة ثقافية لهذه المنطقة فى أعقد أشكالها !

المثلث على الأبواب

لقد كنت أبحث عن سبب وجود وحدة زخرفية معينة وهى المثلث ، وتكرارها فى معظم فنون وكماليات حياة الناس فى الخليج العربى ، مثل الأبواب ، وزخرفة الجبس ، وإطارات الأبواب الخشبية ، وعندما سألت احد الحرفيين عن تسميتها قال لى بأنها تسمى (بروج) والبرج عند أهل الخليج يرمز إلى الحماية والأمن ، وهذه الوحدة استعملت بكثرة فى فنون بابل فى بلاد ما بين النهرين وهى أقرب الحضارات القديمة من المنطقة .

والمثلث هو أصغر وحدة هندسية ، والمثلث هو أطوع وحدة هندسية فى تجميل الأشكال ، ومرتبطة بالخط المستقيم ، والمثلث المتساوى الأضلاع ، يصنع تقريباً أى شكل ، حتى الأشكال الدائرية . والتصور القديم للقاء الشمس أو عالم السماء مع الأرض يكون نصف بيضة ، وهو التقاء شبه مثلث ، ولا مجال هنا للدخول فى فلسفة هذه الأشكال.

تدوين الفن الشعبى

لقد كان الانسان العربى مع الخط المستقيم كعنصر هندسى فى معظم شئون حياته ، كبناء المنزل والنسيج . وبناء السفن تحت ظروف رياضية وهندسية صارمة ، ومن هذا المنطلق كان تأثر الفنان العربى بالهندسة أكثر من أى شىء أخر فى بناء عناصر زخرفية ومثال ذلك الخط المستقيم والخط المنكسر .

إننا لا نستطيع فصل الفن التشكيلى عن الشعر ، فالاثنان وسيلتان للتعبير عن حالة واحدة .

وكذلك فاننا لا نستطيع تفسير نوع أو نمط من الفنون فى عزلة عن بقية الفنون وبالأخص الفنون الشعبية ، لأنها كلها تصدر عن فكرة واحدة ، وثقافة واحدة ، ولكن بوسائل مختلفة ، وتأتى لحظة نرى بأن كل هذه الفنون مشتركة ، ومثال ذلك ما يحدث فى احتفالات الأعراس ، فهنالك الرقص ، والغناء والموسيقى ، والتزيين .

القارىء لهذه السطور يستنتج بأن الفن الشعبى ليس ذلك الفن الناتج عن رجل الشارع أو الرجل الشعبى ولكنه فن تمتد جذوره آلاف السنين وهو يتعرض فى عصرنا الحالى إلى اندثار خطير وسريع يتوجب علينا أن نقوم بحفظه وتدوينه بشتى الطرق والوسائل الحديثة فى التدوين والتوثيق ، حتى نترك مادة لا بأس بها ، للأجيال القادمة ، قبل أن تتداخل الثقافة الانسانية ، بفعل وسائل الاعلام الحديثة ، وتنشأ عنها ثقافة محايدة ، لا تمثل أحداً ولا تنتمى إلى احد وكل ما يبقى للناس وثائقهم التى قاموا بجمعها وتوثيقها .

محمد علي عبد الله

قارب الصيد على شاطىء عجمان .



البيوت القديمة فى دبى .




الغول
الإنسان الوحش
في الأدب الشعبي العربي
فـــاروق خـــورشـــيد

● الخـــوف من المجـــهول جعـل الخيـال الشـعبي يرسـم مخلوقات عنيـفة وقاسـية!

تعود الخيال الشعبى أن يجسد مخاوفه من المجهول على شكل مخلوقات عجيبة من طير السماء أو وحش الأرض أو الماء .. وتعود حين يرسم هذه المخلوقات أن يجمع لها كل صفات العنف والقسوة من ناحية ، وكل القدرات الخارقة التى تفوق قواه المحدودة من ناحية أخرى ، كما تعود أن يجمع فى مخلوقاته المتخيلة هذه ، سمات من هنا وهناك ، أى من حيوان البر أو وحش البحر أو طير السماء ، بحيث تخرج شيئا مزيجاً من كل ما هو مهول مخوف من أعضاء هذه المخلوقات التى يراها ويعرف قوتها وبطشها ، ويعرف أيضاً مواطن القوة والبطش فيها .. فيختار هذه المواطن أو يختار منها ، ويضيف بعضها الى البعض ، ثم يضيف من عنده ما يزيد هذه المخلوقات هولا على هول ..

ونستطيع ان نلحق الوحوش الخرافية بالمأثورات الشعبية والاساطير التى دارت حول الحيوان .

الوحوش الخيالية

وقد استمد الخيال الشعبى شكل وحوشه المخيفة من الحيوان ، وربط هذه الوحوش بمأثوره المتوارث حول الحيوان وربط هذه الوحوش بقوى الشـــيطان والجن ، كما ربطها بقوى السحر ، وعلوم الاقلام .. ولهذا أخذت هذه الوحوش الخيالية صفات حيوانية من ناحية الشكل ، وصـفات شريرة من ناحيـــة المضمون ، وأحيطت بالأسرار والهواجس ومظنة السحر والطلاسم .. الا ان الحيوانات سواء منها عابرة السماء أو سابحة الماء أو جائلة الأرض ليست وحدها الموجودات الحية التى يمكن أن يصدر عنها الشر ، فهناك أولا ودائماً الانسان ..

فكما ان الحيـــوان منه المستأنس النافع ، ومنه الوحوش الضارة ، فالانسان كذلك منه الطيب الخير ، ومنه الشرير الذى يبث الضرر ويحدث من المخـاوف ما يرقى بـــه مرتبة الحيوان الضار المخيف ، ومنذ حكاية قابيل وهابيل وهذه الطبيعة المزدوجة تلصق لصوقا كليا بالانسان فى كل عصر وكل مكان ..

وبعض النـــاس يقتصر شرهم على المحيط الضيق الذى يعيشون فيه ، وبعضهم عتيد يشمل المجتمع كله ، وبعضهم الآخر تمتد اذرع الشر التى يمدونها لتشـمل الوجـود الانسـانى لعصرهم ، فيصبحون وحوش زمانهم كله ويتحولون الى اساطير للشر الخالص عبر كل زمان ومكان بعد ذلك .. ومن قابيل الى النمرود الى العماليق الى فرعون الى عوج بن عنق الى طالوت ، الى اهرمين وجمشيد والضحاك ، الى ست أو تتفون ، تمتد اسماء الرجال الذين يمثلون الشر والطغيان ، ويعيشون حياتهم فى سفك الدماء وتدمير كل قوى الخير فى عصورهم ..

وقد بالغ الضمير الشعبى فى صفات هؤلاء البشر مبالغات كثيرة تتفق مع ما تصوره لهم من قدرة على الشر والايذاء ، كما ربطهم دائما بالشيطان من ناحية وبعالم السحر الشرير ، والحكمة الخبيثة ، والاتصال بقوى الشر الخفية من ناحية أخرى الا أن الخيال الشعبى فعل فى وصف هؤلاء الرجال ما فعله فى وصف الوحوش الخيالية المخيفة ، فأضفى عليهم من الصفات ماجعلهم فوق

الغول كما تخيله الفنان التشكيلى وهو يشوى لحم الانسان



المألوف من اشكال البشر فى الشكل وفى القدرة وفى الاعمار أيضاً .. ويقول الثعلبى فى كتابه (العرائس) وفى وصفه لعوج بن عنق : «كان طول عوج ثلاثة وعشرين الف ذراع وثلثمائة وثلاثين ذراعا بالذراع الاول» ولست أدرى كيف يكون هذا ولكنه الخيال الشعبى الذى ربط عظم الشر بعظم الجثه وضخامة الحجم .. ويستمر الثعلبى فى وصف قدرات عوج بن عنق فيقول :«وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب من الماء ، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله» هذه القدرة تجسد اضخم ما يمكن ان يصل اليه الخيال الشعبى .. وهذه القدرات الفائقه كلها لا تمنع عنه العقاب ولا تتيح له النجاة من غضب الله لانه جبار وعاص .. ويقول الثعلبى فى حكايته عن عوج بن عنق : «يروى انه اتى نوحا فى ايام الطوفان فقال له احملنى معك فى سفينتك ، فقال له اذهب يا عدو الله لم أومر بك ، فطبق الماء الأرض ، من سهل ومن جبل ، وما جاوز ركبته»

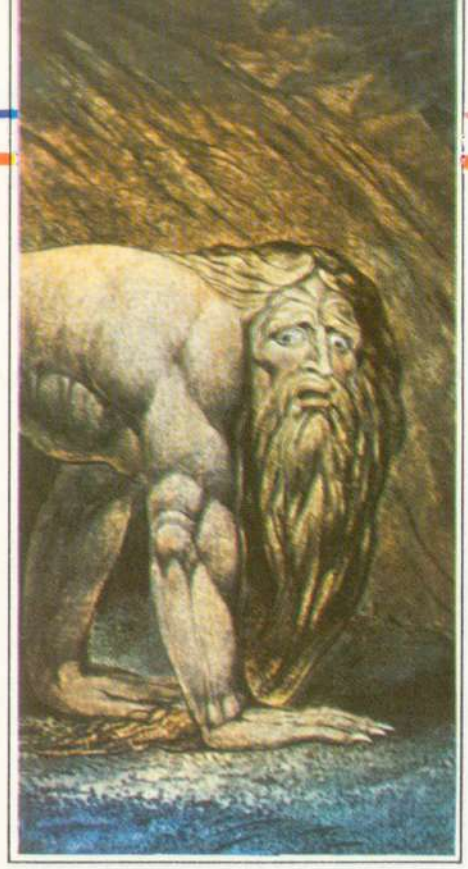
السندباد والغول

وفى نص الثعلبى فى العرائس نجده يقول : «وكانت ام عنق هى احدى بنات آدم من صلبه ، ويقال أنها كانت أول من بغى على وجه الأرض ، وكان كل أصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين فى كل أصبح ظفران حادان مثل المنجلين ، وكان موضع مقعدها خربه من الأرض ، ولما بغت بعث الله اليها أسودا كالفيلة وذئاباً ونموراً فقتلوها واكلوها» .. وهذا النص يقدم لنا تفسيراً لشيمة عنق ، وهو تفسير لم تقدمه لنا نصوص كتب التفاسير والأخبار فعنق هنا هى أم عوج ، وهى مثله فى الضخامة والبغى ، وهى مثله كافرة يرسل الله الوحوش ليريح الدنيا من شرها ، فهنا أيضاً شخصية الوحش الانسانة .. ذلك المارد المهول وتلك الماردة اللذان جسد فيهما الخيال الشعبى كل مخاوفه من قوى الشر والطغيان من ناحيه، واللذان حملهما الخيال الشعبى ايضاً خوفه

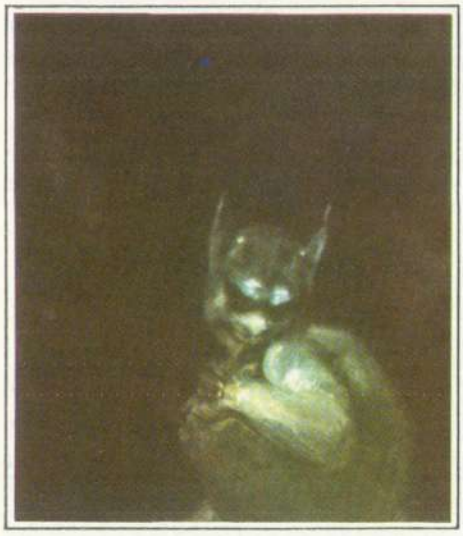
الغول

الإنسان الوحش

في الأدب الشعبي العربي



لوحة للانسان الغول من متاحف لندن .



غول من عالم الجان .

القديم الهابط من عصور وثنيته الأولى ، والهتها الشريرة الفتاكة الظالمة .. وهما هنا ليسا على صورة حيوان ، أو تجميعاً لكل ما هو مهول من وحوش البر والماء والسماء ، وانما هما هنا مستمدان من الصورة الانسانية للبشر .. ولابد لكى تكتمل صورة الايذاء ، أن يتحول فعل الشر من ميدان المعنى الى ميدان المادة المحسوسة ، وهكذا ربط الخيال الشعبى بين صورة هذا الوحش الانسانى وبين افتراس البشر افتراساً مادياً مجسداً فى أكل لحوم البشر ، وسنجد هذه الصورة مكتملة فى الف ليلة وليلة فى رحلة السندباد البحرى الثالثة .. ففى هذه الرحلة ترمى الريح مركب السندباد الى جبل القرود . وهم اقزام يشبهون القرود فى اشكالهم .

(وهم أقبح الوحوش ، وعليهم شعور مثل لبد الأسود ورؤيتهم تفزع ولا يفهم أحد كلامهم وهم مستوحشون من الناس صفر العيون سود الوجوه صغار الخلقة طول كل واحد منهم أربعة أشبار) وينهب هؤلاء الزغب السفينة ويحطونها على جبلهم ، ويقودون البحارة الى الجزيرة حيث يمكثون فيها مرغمين .. وواضح أنهم وأن لم يأكلوا البشر الا أنهم فى خدمة الغول ساكن الجزيرة

وفى الجزيرة يرى الناجون من المركب قصراً عظيماً فى وسطها فيقصدون اليه بحثاً عن الامان ، وطمعاً فى وجود انسان يدلهم على كيفية الخلاص من ورطتهم هذه ..

وفى الصباح التالى ترتج الأرض رجاً تحت اقدام الغول الذى جاء يبحث بينهم عن طعامه ، ويصف السندباد هذا الغول بقوله : «شخص عظيم الخلقة فى صفة انسان ، وهو اسود اللون طويل القامة كأنه نخله عظيمة ، وله عينان كأنهما شعلتان من نار ، وله انياب مثل انياب الخنازير ، وله فم عظيم مثل البئر ، وله مشافر مثل مشافر الجمل مرخية على صدره ، وله اذنان مثل الحرامين مرخيتان على اكتافه ، واظافر يديه مثل مخاليب السبع» .. ووسط الرعب الذى احدثه ظهور هذا (الشخص) كما يسميه السندباد يتقدم نحوهم ليجسهم واحداً واحداً (مثل ما يجس الجزار ذبيحة اللحم) ، ثم يختار اسمنهم ، وأكثرهم شحماً ولحماً ، وهو (ريس المركب) أو الربان .. ويحكى السندباد ما فعله الغول به فيقول : «قبض عليه مثلما يقبض الجزار على ذبيحة ، ورماه على الأرض ، ووضع رجله على رقبته ، وجاء بسيخ طويل فادخله فى حلقه حتى أخرجه من دبره ، وأوقد ناراً شديدة ، وركب عليها السيخ المشكوك فيه الريس ، ولم يزل يقلبه على الجمر حتى استوى لحمه ، واطلعه من النار ، وحطه قدامه ، وفسخه كما يفسخ الرجل الفرخة ، وصار يقطع لحمه باظافره ويأكل منه ، ولم يزل على هذه الحالة حتى أكل لحمه ونهش عظمه ، ولم يبق منه شيئاً ورمى باقى العظام فى جنب القصر «هذه الصورة التجسيدية لوحشية الغول ، واكله للحم الناس ونهشه لعظامهم لاشك تثير الرعب ، ولكنها ايضاً ترسم صورة رمزية لوحشية الطاغية اينما كان ، وكيفما كان .. ويتعاون السندباد ومن يتبقى معه من بحارة ، بعد أن يصنعوا مركباً فى صبر وصمت وهو يأكل كل يوم منهم واحداً ، فيأخذون (سيخين من حديد من الاسياخ المنصوبة ، ووضعناهما فى النار القوية حتى احمرا وصارا مثل الجمر ، وقبضنا عليهما قبضاً شديداً وجئنا بهما إلى ذلك الغول ، وهو نائم يشخر ووضعناهما فى عينيه وهو نائم فانطمستا) واستيقظ الغول وجعل يبحث عنهم وهو أعمى دون جدوى فخرج ، فهرع السندباد ومن معه الى المركب ، ولكنهم فوجئوا به يتعقبهم ومعه (انثى اكبر منه وأوحش) ، وركبوا المركب تتعقبهم الحجارة يرميهم بها الغول وأنثاه ..

الف ليلة وليلة

وتتردد صورة الغول فى أدبنا الشعبى فى أكثر من شكل واكثر من مكان . ففى الليلة (٤٨٤) من الف ليلة وليلة ، ضمن حكاية خاسب كريم .. تلقى السفينة الغارقة بالملك جانشاه ومماليكه الى جزيرة فى البحر ، وفى وسطها يجدون رجلا جالساً الى جوار عين جارية (فأتوه وسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم ان الرجل كلمهم بكلام مثل صفير الطير ، فلما سمع جانشاه كلام ذلك الرجل تعجب ، ثم ان الرجل التفت يميناً ويساراً ، وبينما هم يتعجبون من ذلك الرجل اذ هو انقسم نصفين ، وراح كل نصف فى ناحية ، وبينما هم كذلك اذ اقبل عليهم اصناف رجال لا تحصى ولا تعد ، أتوا من جانب الجبل ، وساروا حتى وصلوا الى العين ، وصار كل واحد



الضخامة صفة من صفات الانسان الوحش .

منقسماً نصفين ، ثم انهم اتوا جانشاه والمماليك ليأكلوهم ، فلما رآهم جانشاه يريدون أكلهم هرب منهم ، وهربت معه المماليك ، فتبعهم هؤلاء الرجال فأكلوا من المماليك ثلاثة وبقى ثلاثة مع جانشاه) .. وهؤلاء الغيلان هم أنفسهم الذين سيقاتلهم جانشاه ومماليكه حين يأسرهم القرود ، وينصبونه ملكاً عليهم ليحارب معهم اعداءهم الغيلان الذين يحتلون نصف الجزيرة الاخر ..

والصورة هنا تضيف الى جانب الوحشية وأكل لحوم البشر ، مظهراً محيراً فى طبيعة هذه الغيلان التى تنقسم وحدها الى نصفين ، وتتكاثر بهذه الطريقة المزعجة تكاثراً يشبه الكوابيس المخيفة .. واذا كانت الغيلان صاحبة قدرة على التكاثر والانقسام فى حكاية ، فهى صاحبة قدرة على تغير أشكالها فى حكايات أخرى ، ونحن نقرأ فى الليلة الخامسة من الف ليلة وليلة فى (التاجر والعفريت) فى المجلد الأول أن ابن الملك ضل الطريق ، ويلتقى بجارية جميلة تبكى ، وأخبرته أنها بنت ملك من ملوك الهند ضلت طريقها ، فرق ابن الملك لكلامها وحملها على ظهر دابته ، وفى أثناء الطريق استأذنته فى قضاء الحاجة عند دغل (ثم تعوقت فأستبطأها فدخل خلفها وهى لا تعلم به ، فاذا هى غولة وهى تقول لاولادها قد أتيتكم اليوم بغلام سمين) .. ويتخلص منها ابن الملك بعد ذلك ، ولكن الذى يهمنا من هذه الحكاية هو معرفته بأنها غولة بمجرد أن رآها على حقيقتها فى الدغل .. فصورة الفتاة الجميلة التى ظهرت له عند أول لقاء بها شىء يختلف تماماً عن الصورة التى رآها فيها بالدغل ، ولم يقل لنا ابن الملك كيف عرف أنها غولة . ولكن اكتفى بأن نظر اليها فعرف فوراً أنها غولة ، اذ تغير مظهرها بما هو مألوف عنده من مظهر الغيلان والغولان .. ولكن احتفظ للغولة بطابع أخر غريب ، اذ هى تسعى لتأتى لصغارها بالطعام ،

وهذه الصفة التى تقترب من وجود بذور خير فى اعماق الغولة نعرفها فى الحدوته الشعبية عن الشاطر حسن الذى يخرج باحثاً عن ست الحسن والجمال التى اختطفها المارد فيخبره الحكيم ان يسير فى سكة السلامة حيث سيجد فى اخر الطريق أمنا الغولة ، وقد جلست تسرح شعرها فى حرار الشمس ، فأن وجدها قد جمعت شعرها الى جانب وجهها الايسر فلا يكلمها ابداً ، اما اذا كانت قد جمعت شعرها على جانب وجهها الايمن فليقرئها الشاطر حسن السلام وهى تدله على طريقه خلاصه ،

نحن هنا نشهد عملا من أعمال الخير تقدم عليه الغوله ، حين يتعمد الانسان أن ينسى جانبها القبيح ، وأن يستثير عطفها بتعاطفه معها ، وأخفاء خوفه وكراهيته لها . واعلان قبوله للجانب الحسن فيها ، وتجاهله الكامل للجانب الشرير فيها .

والحكاية الخرافية هنا تجعل السلام والمبادره مفتاحاً للجانب الخير فى الغوله كما أن الدعاء من القلب فى الحكاية السابقة كان المفتاح الى نفس الجانب الخير فيها ، ووسيلة الى تجنب شرها ، بل والحصول على مساعدتها .. وقد يكون فى هذه الحكايات جانب تعليمى ، وقد يكون فيها جانب خلقى .. الا أنها على كل حال ترسى بذوراً خيرة فى كل نفس متوحشة شريرة ، حتى لو كانت نفس الغوله ، وهذه الحكايات تؤكد وجود الغوله الانثى الى جانب الغول الذكر ، فما هو الغول ؟ ..

هذا الحيوان الخرافى

تقول الموسوعة العربية الميسرة : «الغول حيوان خرافى اعتقد فيه العرب الجاهليون ، وهو عندهم من الخوارق ، وروى أن بعض الادميين تزوج من اناث الغيلان ، ومما يشير الى وجود علاقة بين هذا الحيوان الخرافى وبين الاساطير والديانات القديمة ما يروى عن علاقته ببعض الظواهر الطبيعية كالبرق والرعد . والمشهور أن الغول يهلك بضربة واحدة من السيف فاذا ضرب الثانية عاش..» والواقع ان محور هذه الفقرة يرجع فى هذه الفقرة المختصرة الى ما اورده الجاحظ فى الجزء الأول والجزء السادس من كتابه الحيوان من حكايات عن الغول وعن الجان . وقد زخرت الأساطير العربية القديمة بحكايات الغيلان بصورة واضحة ..

فالغيلان إما صنف من الانسان المتوحش ، أو حيوان توحد فتوحش وتغول ، أو ابن من ابناء الجان ولد من بيضه من بيضات زوجته ، وإما خيال توهمه الناس المستوحشون فى القفار والغيلان واما رؤى تحدثها الكواكب فى حركاتها .. فهى اذن إما موجودة خارج الانسان كشىء حقيقى موجود يؤمن به وينسب قواه الى الجان ، واما شىء من خلق مخيلته يضيف اليه التهاويل

الغول
الإنسان الوحش
في الأدب الشعبي العربي



ملامح الغول قاسية وعنيفة

والصور . ولكن هذه الغيلان جميعاً تشترك فى أنها (كانت تتراءى لهم فى الليالى وأوقات النهار) فيتوهمون أنها انسان فيتبعونها ، فتزيلهم عن الطريق التى هم عليه وتتيههم) كما يقول المسعودى وربما استطعنا أن نضيف الى قوله ، أنها ربما ايضاً تراءت لهم على صورة حيوان أو صيد ، وما أكثر قصص الغزالة التى تتراءى للصياد فيتبعها حتى تغيب عن عينيه ، ثم تقف له حتى يراها ويقترب منها ، فتعود وتهرب من امامه مغرية اياه ان يتبعها ، ويتكرر هذا منها ، ومنه حتى يجد نفسه قد ضل الطريق اخر الامر ، وهى (موتيفه) تتكرر كثيراً فى الف ليلة وليلة ، وسيف بن ذى يزن وغيرهما من الحكايات الخرافية والحواديت والسير الشعبية العربية الاخرى .. الا ان الذى يقربها الى هذا الافتراض ما يذكره المسعودى فى قوله : «ويزعمون ان رجليها رجلا عنز . وكانوا اذا اعترضتهم الغول فى الفيافى يرتجزون ويقولون :

يا رجـل عنز انهقى نهيقـــا
لن تنزلى الســـبيل والطريقـــا

أسئلة الجاحظ

وهناك الى جوار هذه السمات التى يمكن أن تكون رموزاً وعلامات ، بعض الصفات التى يذكرها الجاحظ فى الجزء الاول من الحيوان فى مراحه الذى كتبه الى احمد بن عبد الوهاب الذى صنع فيه الجاحظ رسالة (التربيع والتدبير) .. ففى طوايا هذا المزاح يسأله عن أشياء كثيرة من غرائب (المعرفة) ومنها يسأله (كيف صارت الظباء ماشية الجن ؟ وكيف صارت الغيلان تعير كل شىء الا حوافرها ؟ ولم ماتت من ضربة وعاشت من ضربتين ؟ ولم صارت الارانب والكلاب والنعام مراكب للغيلان ؟ «وهذه الاسئلة التى يسوقها الجاحظ انما تحوى بعض الرموز الوافدة أو المتخلفة من المعتقدات الاسطورية القديمة . ويذهب الجاحظ الى أنها أنثى الجن فيقول (والسعلاة اسم الواحدة من نساء الجن اذا لم تتغول لتفتن السفارة» والمعنى المقصود بالتغول هنا التحول .

ويستأنف حديثه عن هذه الظاهرة ، وهى لاشك تفسر لنا حكايات النساء اللاتى يلبسن الريش ويطرن الى بلادهن التى لا احد فيها سوى النساء ، وهى موجودة فى سيرة سيف بن ذى يزن : «فمن هذا النتاج المشترك ، وهذا الخلق المركب عندهم : بنو السعلاة من عمر بنى يربوع ، وبلقيس ملكة سبأ» وهذه الفقرة تؤيد ما ذهبنا اليه فى مقارنة حكاية بلقيس بهذا الرمز الواضح فى ساقى العنزة عندها وعند الغول . واذا كان يمكن لنا ان نحيل بعض ما جاء فى هذه الحكايات عن الغول الى موتيفات شعبية أو اسطورية قديمة فان هناك رمزا يحيرنا لاتأويل له إلا التأويل الادبى ، وذلك هو ظهور الغول كنصف انسان أو كشق ..

وقد رأينا هذه الصورة فى الحكاية التى ذكرناها عن رحلة الملك جانشاه فى الف ليلة ، ونحن نجد هذه الظاهرة عند الجاحظ الذى ينسب هذا الشق لا الى الغيلان وانما الى الجان فيقول : «ويقولون : ومن الجن جنس ، صورة الواحد منهم على نصف صورة الانسان ، واسمة (الشق) ، وانه كثيراً ما يعرض للرجل المسافر اذا كان وحده ، فربما اهلكه فزعاً ، وربما اهلكه ضرباً وقتلا» ويحكى فى ذلك حديث علقمة بن صفوان ابن امية جد مروان بن الحكم .. ويذكر هذا (الشق) القزوينى فى (عجائب المخلوقات) كما يذكره الدميرى فى (حياة الحيوان) .. الا اننا نراه فى حكايات الف ليلة غولا يأكل الناس . ويحاربه القرود ، ويعيش فى شبه تجمع كبير ..

حكايات الرحالة القدماء

ووجود المجتمعات التى تأكل لحوم البشر شىء عرفه الجغرافيون القدماء ونقلا عن الرحالة الذين سجلوا ملاحظاتهم عن غرائب الأشياء التى صادفتهم فى رحلاتهم . وفى أرخبيل جزر الهند الشرقية جزيرة اسمها (بالوس) كان فيها حتى القرن التاسع عشر قبائل (البانك) وهى قبائل من السود طوال القامة اكلى لحوم البشر ، ويحكى هيرودس المؤرخ الاغريقى القديم عن قبائل (الساجباتى) انها كانت تأكل اكبر شيوخ القبيلة سنا ، وهى تأكله حتى تحتفظ بحكمته وتجربته ، فقد كانوا يذهبون الى أن خبرة الانسان تكمن فى جسمه ،ويقول ايضاً أن قبائل (البلديان) فى اقصى شرق الهند كانت تأكل من يمرض من رجالها ..

ويقول المؤرخ الرومانى (سترابون) انه شاهد الايرلنديين يأكلون اباءهم حين يمرضون او تدركهم الشيخوخة ، وإن هذا الطقس تقوم به كل اسرة على حدة .. وقضية قتل زعيم القبيلة أو الملك قضية قديمة . وقد أورد (فريزر) فى (الغصن الذهبى) نماذج كثيرة على استمرار عادة قتل الشيوخ اصحاب الحكمة والقوة ، والملوك فى حالة الشيخوخة عند قبائل (الشلوك) فى جنوب السودان وقبائل (اليوكو) فى حوض نهر (النيجر) وفى انجولا عند جنوب مضيق نهر الكونغو ..

* * *

وسواء كان الغول جناً ، أو وحشاً مسه الجن ، او انساناً تجاوز حدود طبيعته البشرية الى طبيعة الوحش الفتاك ، وسواء ايضاً كان الغول ذكراً أم أنثى أم شقا ، فقد لعب الغول دوره الهام بل والرئيسى فى ضمير الفنان الشعبى منذ المرحلة البدائية الاولى لوجوده فوق الأرض ، وحتى ضمير الحكاية الشعبية المعاصرة المتداولة بين ابناء الشعب الذين ورثوا حكاياته مع ما ورثوا من حكايات شعبية اخرى .. وتبقى حقيقة وجود فكرة الغول ، صاحب الشكل الانسانى الذى يأكل البشر ، أو يقتلهم سخرة ، فكأنه يأكل وجودهم الانسانى نفسه ، أو يركبهم بالعبث ، فيعتدى عليهم أو يضلهم عن طريقهم ، كفكرة ثابتة مليئة بالتراكمات عبر العصور ومنذ اقدمها واكثرها بعداً فى الزمن كتجسيد للخوف الانسانى الكامن فى اعماق الانسان من اخيه الانسان ، الذى يتحول من عطاء الاذى والشر ، ومن العمل من اجل بناء الحياة الى العمل من اجل الاستئثار بها وابتلاعها لنفسه وحده مهما احدث من شرور واضرار ...

«فاروق خورشيد»

من عيون الحكمة

التوبة

تب قبل موتك بيوم واحد ، ولما كنت لا تعرف متى تموت ، فكن تائباً على الدوام.
«مثل يابانى»

القوة الحقيقية

لقد أدركت أن القوة الحقيقية هنا : عند الفقراء ، فى جامعة الألم ، فى رابطة المحبة ، فى نعمة الرحمة ، فى عظمة التضحية .
«الفنان اليونانى براكستيلس»

قلب المرأة

قلب المرأة أعظم مصدر للحنان والعطف إذا أحبت الرجل ، وأعظم مكان للضغينة إذا كرهته .
«لوثر»



الزواج مستحيل !

سأل خليل مطران الشاعر الساخر إمام العبد : لم لم تتزوج ؟ .. وكان إمام العبد أسود اللون فأجاب :

يا خليلـــى وأنت خير خليـــل
لا تلم راهبـــاً بغيـــر دليـــل
أنا ليـــل ، وكـل حســناء شـمس
واجتماعـــى بهـا مـن المستحيل

النور

أريد نوراً .. كثيراً من النور .
«جوته»
على فراش الموت

النظريات والقيم

على أساس النظريات يمكن أن تؤسس مدرسة ، أما على أساس القيم فيمكن أن تؤسس ثقافة أو مدنية ، وأن توجد طريقة جديدة لمعيشة الناس مع بعضهم البعض .



دخان

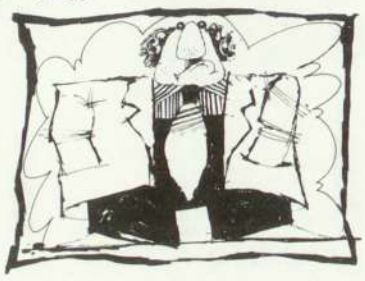
دخان يتبدد فى ألهواء : حبك من لا يحبك !
«جان سارمان»

أكثر الشرور

قال الكسندر دوماس مرة لأحد أصدقائه :
أخطر الشرور التى تصيب الانسان شيئان : المرض .. و .. فقاطعه محدثه قائلا : والموت ! قال دوماس : لا .. الموت ليس مصيبة المصيبة الثانية هى .. الحاجة !

هموم

كلما امتلك الانسان أكثر مما يستعمل زادت همومه .
«برناردشو»



الصديق

.. إنه الشخص الذى له نفس أعدائك
«مارسيل مبينوا»

لغز

لقد ظل شعور الناس بالفخر حين يستذلون إخوانهم فى الانسانية لغزاً مغلقاً لا أجد له حلا .
«غاندى»



حرية ..

حر .. كالعرب .
«أمرسون»
«كاتب أمريكى كبير»

شعارات

شعار العمل فى الحرب : التصميم ، فى الهزيمة : التحدى ، فى النصر : الشهامة ، وفى السلام : النية الحسنة
«تشرشل»

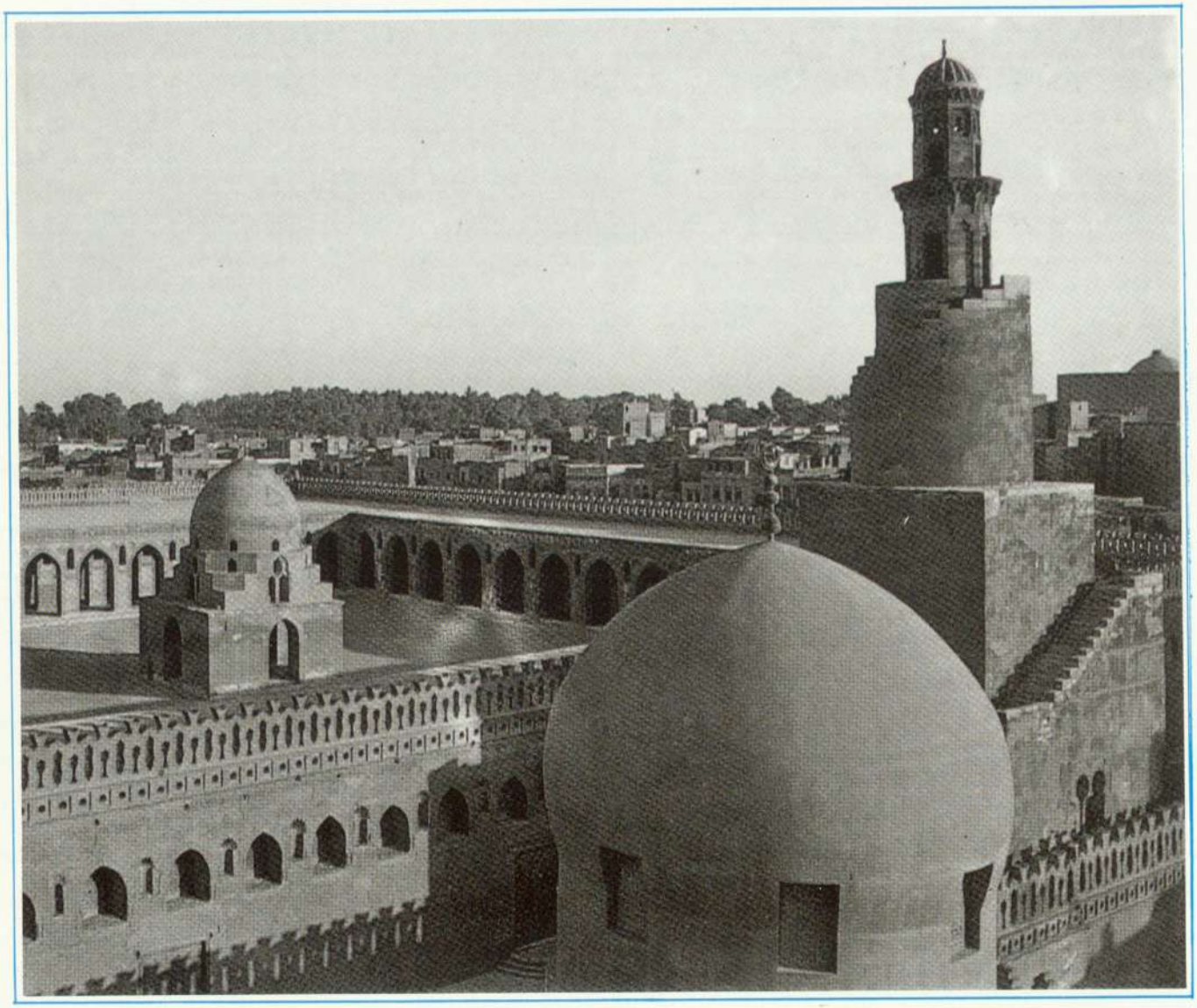
الجهل

الجهل شرط لازم للحياة ذاتها ، ولا أقول السعادة فقط ، ولو كنا نعرف كل شىء ، لم نقدر على احتمال الحياة ساعة واحدة ، والمشاعر التى تجعل الحياة حلوة أو محتملة على الأقل ، تنشأ من أكذوبة وتتغذى بالأوهام .
«أناتول فرانس»

أنور الجندي

التحدّيات في وجه الفكر الإسلامي

لاريب أن الفكر الاسلامى نشأ فى حضانة الدعوة الاسلامية وله جذوره العريقة وأصوله المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة واللغة العربية وسيرة الرسول وتاريخ الاسلام والأدب العربى وقد اكتمل مفهوم الاسلام فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم (اليوم اكملت لكم دينكم) وكانت قواعد الفكر الاسلامى الأساسية قد بدأت ونمت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مستمدة من القرآن وان هذه القواعد لم تتغير من بعد ولم تجر اضافة أى شىء اليها فظلت قيمها الأساسية كما جاء بها وحى السماء (القرآن) وسنن النبى فى تفسيرها وتطبيقها وانما جرت حركة العمل من داخل الاطار الذى رسمه القرآن ولقد كان اتصال المسلمين بالفلسفات اليونانية والفارسية والهندية تجربة قاسية انتهت بانتصار الاسلام بمفهوم (السنة الجامعة) وهزمت جميع محاولات السيطرة والاحتواء والغزو



● ما زالت مناهج المعرفة لا تستجيب لفطرة الإنسان وأشواقه الروحية

الفكرى كما نسميه بلغة العصر وبقيت الحقائق الأساسية قائمة .

أولا : الاسلام دين مميز

إن الاسلام ليس ديناً كسائر الأديان ولكنه حركة اجتماعية واسعة تشمل الاعتقاد والمجتمع والدولة ومختلف نظم الاقتصاد والسياسة والأخلاق وان ميزة الاسلام أنه نظريه كلية شاملة وانه لم يجزىء الحياة بل نظر اليها نظرة كلية كما نظر إلى الانسان كوحدة نفسية وجسمية لا تنفصل .

ثانياً : وحدة الفكر الاسلامى وتكامله

وفى الفكر الاسلامى المستمد من الاسلام يقوم منهج تكامل القطاعات والعناصر فى نسق واحد . فالاجتماع والسياسة والأدب والتربية والاقتصاد هى اجزاء وعناصر من شىء واحد هو الاسلام واذا كان الفكر الغربى يجرى على الفصل بين العناصر والوحدات والأجزاء فان الفكر الاسلامى لايقر هذا الفصل ويرى فيه تدميراً للشخصية الانسانية وللمجتمع نفسه ويرى منه قصوراً فى النظرة باعلاء عنصر على عنصر . فالاسلام لا يرى ما يراه الفكر الغربى من استعلاء عناصر المادة والعلم والعقل والمحسوس على العناصر الأخرى ، ويرى أن الروح والمادة يتكاملان والقلب والعقل هما بمثابة عينين فى وجه واحد ، والدنيا والآخرة متصلان صلة جذرية فالحياة كلها تدور حول رسالة وتتصل بانسان له مسئوليته الفردية إزاء عمله وجزائه على هذا العمل . وانسان متصل بمجتمع متفاعل معه ، وانسان له قلب وعقل وروح وجسد لا انفصال بينهما .

ومن هذه الوحدة القائمة بين العناصر فى الفكر والحياة والالتقاء بين الأجزاء فى الفكر الاسلامى لا نجد قضية للخلاف بين العلم والدين ولا بين الدين والأخلاق ولا بين الدين والدولة .



لويس التاسع الذى قاد الحملة الصليبية .

وفى ضوء هذا كله فانه ليس هناك فكر دينى أو لغة دينية على النحو الذى يفهمه الغربى الذى يفصل بين المفاهيم وكذلك تختلف نظرة الفكر الاسلامى عن نظرة الفكر الغربى فى أمور كثيرة :

فى الثوابت والمتغيرات ومفهوم التطور والنسبية .

وفى مفهوم البطولة .

ومن هنا فقد أقام الفكر الاسلامى منهجاً للمعرفة خاصاً به يختلف عن منهج المعرفة الغربى ، وهو غير المنهج العلمى التجريبى الخاص بالعلوم .

ثالثاً : منهج المعرفة الاسلامى

أقام الاسلام منهج المعرفة المتكامل ذا الجناحين المستمد أصلا من المصادر الأولية الأساسية : الفطرة والعقل والقلب والوحى . هذا المنهج القائم على المادة والروح والعقل والقلب مخالفاً بذلك الفكر البشرى الانشطارى : القائم فى أحد قطبيه على الروح وحدها أو المادة وحدها أو العقل وحده أو المحسوس وحده أو الذوق أو البصيرة أو الحدس . وكل من هذه المناهج مستقل باسلوبه وطريقته لا يعترف بالآخر ولا يرى أنه وسيلة صالحة للمعرفة . وفى الصورة المعاصرة الآن : المنهج المادى فى عالم الغرب والمنهج الروحى فى الشرق الأقصى معتمداً على البوذية ومفاهيم الاديان الهندية وكذلك كان الأمر قبل ظهور الاسلام : كان هناك الفكر الهلينى اليونانى القائم على التأمل والمنطق المحسوس والفكر القائم على الحدس والاحساس الباطنى . فى وسط هذه التيارات والفلسفات من الفكر البشرى المنحرف ناحية الوثنية أو المادية أو الاباحية قدم الاسلام منهجه الجامع فى المعرفة واقامه على أساس التوحيد

وماتزال مناهج المعرفة تصطرع وتتضارب ولا تستجيب لفطرة الانسان ولا لأشواقه الروحية ، ويبقى منهج المعرفة الاسلامى الجامع وحده على مفهوم التكامل الذى يربط بين قوى الحواس والعقل والوجدان والروح وبين السمع والبصر والبصيرة والعقل قائماً أشبه بالمنار السامق الذى يهدى الانسان ويهدى الفكر الانسانى وينقذها من لجج الشك والالحاد والوثنية والمادية جميعاً .

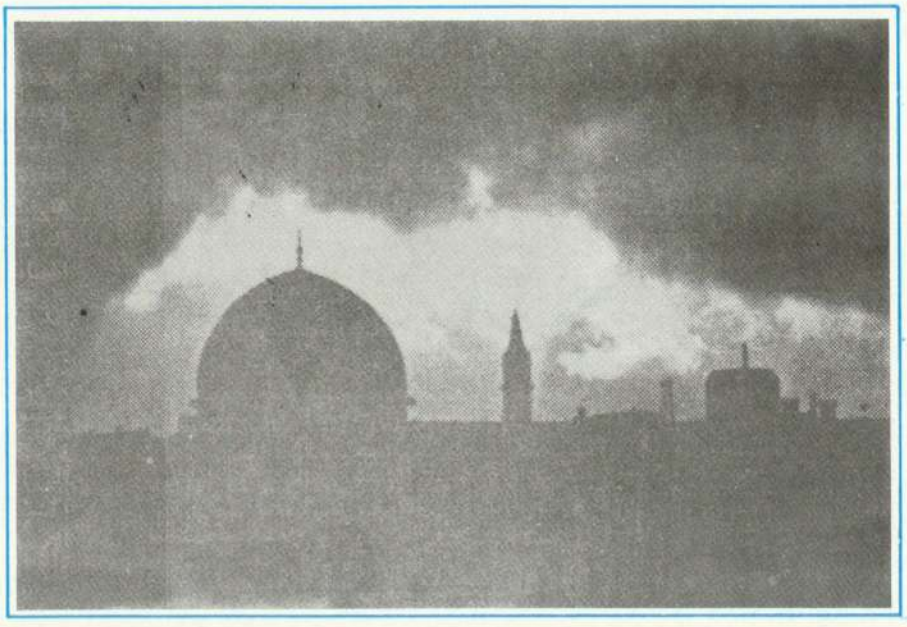
والقرآن الكريم على التحقيق هو الذى رسم منهج المعرفة الاسلامى الجامع كما كان منطلق المنهج التجريبى .

وتتمثل أبرز معالم منهج المعرفة الاسلامى فى الأصول الآتية :

أولا : التفرقة الواضحة بين مقاييس العلوم ومقاييس الانسانيات فمقاييس العلوم مقاييس مادية مستمدة من التجربة والاختبار الدائم المتماثل الذى لا يتغير . وهذه المقاييس تعجز عن أن تخضع الانسان والمجتمعات والنفوس والأخلاق الى نتائجها ، فاذا حاولنا تطبيق مقاييس العلوم فى مجال النفوس أخطأت وفسدت .

ثانياً : الجمع بين إطار الثوابت الأساسى وحركة المتغيرات . وقد وضع الاسلام قاعدة الكليات ذات الاطار الواسع والافق الرحب ، وهى الثوابت التى تقوم عليها دعائمه ، هذه الدعائم التى تمثل الاطار المرن والذى تجرى من داخله حركة التغيير والاجتهاد فى الفروع المتجددة والمسائل المتغيرة بتغير الزمان والمكان .

ثالثاً : تكامل العناصر وتلاقيها وتأثر بعضها ببعض فالنظرة الاسلامية متكاملة لا تتجزأ ولا تأخذ بفرع دون



الآخر فكل فرع منها مؤثر فى الفرع الآخر متاثر به .

رابعاً : لكل قيمة وجهان : مادى ومعنوى ، لا انفصال بينهما بل تكامل .

خامساً : لكل نظرة دعامتان : الوحى والعقل .

سادساً : رفض أسلوب التقليد الموروث ، والتبعية وقيام النظرة على أساس الفحص والايمان المتجدد .

سابعاً : إن معرفة الانسان لقوانين الطبيعة لا تغنى عن الايمان بصانع الطبيعة ، بل من الحق ان تهدى اليه وتدل على عظمته .

فى مواجهة التحديات

واجه الفكر الاسلامى التحديات منذ اتصل بالفكر البشرى الذى كان يتمثل فى ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية الى اللغة العربية بما حملت من مفاهيم الوثنية والالحاد والاباحة والمادية وتعدد الالهة فدخل معها فى معركة ضخمة استمرت قروناً ثلاثة حتى استطاع أن يتحرر منها باقامة مفهوم أهل السنة الجامع . وقد امتدت هذه الفلسفات الى مجال العقائد والتفسير والفقه والتصوف وأدخلت عليها كثيراً من الشبهات أو ما أطلق عليه الاسرائيليات .

وقد جددت حركة التغريب والغزو العثمانى هذه الشبهات وأعادوا طرحها فى افق الفكر الاسلامى مرة أخرى فى العصر الحديث وفى ظروف تختلف عن ظروف القرن الثالث الهجرى وهى ظروف التحدى التى فرضها النفوذ الأجنبى وقد أطلق على هذه الحركة زعماؤها وعلى رأسهم هاملتون جب : حركة التغريب : أى صبغ العالم الاسلامى بصبغة الغرب وإخراجه من طابعه الاسلامى المميز وصهره فى بوتقة الأممية وقد عمل الاستشراق على إثارة السموم فى مختلف المجالات وحملت رياح التبشر الغربى ذلك كله الى المدرسة والجامعة والصحيفة وبعد أن كان دوره مقصوراً على دور التعليم ظاهراً فقد تخفى وتدسس الى جميع فروع الثقافة تحت اسم نظريات جديدة وشاركت قوى التغريب فى مجال الاستشراق فتجمعت على طرح شبهات بعضها لخدمة الاستعمار والنفوذ الأجنبى وبعضها لخدمة الصهيونية وبعضها لخدمة الشيوعية فكان على حركة اليقظة الاسلامية مواجهة هذه التحديات التى تحاول أن تخرج الفكر الاسلامى من ذاتيته الخاصة وطابعه القرآنى .

لقد قامت هذه المحاولة منذ وقت بعيد وكان أول من تحدث عنها لويس التاسع وذلك حينما قاد الحملة الصليبية السابعة الى مصر وهزمت هزيمة نكراء فى المنصورة . هناك فى ابان اعتقاله فكر ودبر وتامل ، وكتب فى مذكراته هذه الأطروحة الخطيرة قال : إن نتائج الحروب الصليبية بعد أكثر من قرن ونصف قرن تؤكد أن المسلمين لايمكن هزيمتهم عن طريق الحرب والقتال . فان دينهم قدم لهم منهجاً خطيراً فى هذا الشان هو الجهاد فى سبيل الله والموت فى سبيل حماية الدين . ولذلك فاعتقد أن الاسلوب الصحيح للغرب للسيطرة على المسلمين هو السيطرة على فكرهم وتحويله عن أصوله الحقيقية . إن أوربا اذا ارادت مقاومة الاسلام والقضاء عليه فانما يكون ذلك عن طريق الكلمة ، وعن طريق تحريف هذه المفاهيم وتفريغ الاسلام من تلك المقومات التى تعطيه القوة والصمود . ولذلك فاعتقد انه لو قامت مؤسسة مسيحية أوربية بهذا العمل فان ذلك من شانه أن يصير الاسلام دين عبادة وبذلك يمكن تفريغه من قوته الذاتية الخطيرة التى مكنته خلال القرون من الصمود فى وجه القوات الغازية . ومن هنا نشات تلك المحاولة الخطيرة التى اسموها التغريب واطلقت عليها الغزو الثقافي والتى قامت عليها مؤسستا التبشير والاستشراق واستهدفت تغيير «أصالة الاسلام» ومقوماته الأساسية واثارة الشبهات حول تاريخه ولغته وعقيدته ورسوله بهدف «توهين» هذا الدين فى نظر أهله واعلاء شأن مناهجهم وأيدلوجياتهم وإخراج المسلمين من الاسلام .

وقد جرت تلك المحاولة فى عدة طرق :

أولا : إثارة الشبهات حول حقائق الاسلام وخاصة مفهومه الأساسى من حيث أنه منهج حياة ونظام مجتمع وإثارة الشبهة بالقول بأنه دين عبادى وتاويل مفهوم الجهاد فى الاسلام الذى هو كبرى فرائضه .

ثانياً : ضرب الاسلام من الداخل عن طريق قوى تحاول أن تحتضن ظاهرياً مفاهيم الاسلام ثم تعمل على إثارة الشكوك والشبهات حول حقيقة تطبيق

● الأخطار التي اعترضت طريق المسلمين عندما اتجهوا لمناهج الغرب

الشريعة الاسلامية أو مناهج التربية الاسلامية أو حول الحدود القواطع فى الاسلام كالحدود والربا ومحاولة التشكيك فيها .

ثالثاً : تبنى دعوات ضالة كالقاديانية والبهائية واعتبارها من حركات التجديد الاسلامى ، وفتح الطرق أمامها فى المجتمعات الاسلامية .

رابعاً : محاولة تفسير القضايا الكبرى تفسيراً خاطئاً ، على نحو ما يقول به البعض عن الحوار المسيحى ، وغيرها من القضايا بما يخالف الحقيقة التى تتمثل فى ذاتية الاسلام التى تختلف عن تفسيرات الأديان .

خامساً : إحياء الفكر الباطنى والاباحى والمادى سواء فى الفلسفات اليونانية أو الفكر الفنوصي الشرقى ..

ولقد عرف المسلمون مدى الاخطار التى واجهتهم عندما تركوا منهجهم الربانى والمصدر الانسانى الطابع والتمسوا مناهج الغرب سواء منها ما يتصل بالسياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد . وقد جاء هذا نتيجة اضطراب أساليب التربية والتعليم التى وجهت الرواد الى الانبهار والاكبار لفكر الغرب فى نفس الوقت الذى جهلوا فيه أبسط القيم الاسلامية ، كذلك فان القيم الخلقية الغربية التى نواجهها اليوم إنما ازدهرت فى جو الانحلال الذاتى فى بيئة غلبت عليها طوابع المنفعة والأنانية والفردية بينما يقدم الاسلام للبشرية طوابع الرحمة والغيرية والبذل والفداء .

كذلك فان الفكر الاسلامى يؤمن بأن القديم ليس فاسداً كله أو مضطرباً . ذلك لأن قديمنا نحن المسلمين خاصة إنما هو ثمرة أصول ربانية جاءت بوحى السماء ، ثم كان هذا التراث تفسيراً لها وتعميقاً وفهماً . فهذه الصيحة المسمومة التى تقول بانتقاص القديم جملة إنما تحاول أن تنال من هذا الميراث العظيم الذى جاءت به النبوة للبشر من رب العالمين هدى وضياء . ولذلك فان معارضة القديم على إطلاقه هى من دعوات التغريب وما أظن أن أمة ما حتى هذه الأمم التى تدعونا الى ترك القديم ، سواء أكانت أمم الغرب أم الصهيونية ، قد تركت قديمها وتخلت عنه ، والحضارة الغربية عندما تجددت فى القرن الرابع عشر الميلادى بعد سقوط روما فى القرن الرابع وبعد انقطاع دام ألف عام عادت تربط نفسها بالخط الهلينى فى القانون الرومانى والاجتماع والأدب . فكيف يترك المسلمون ميراثهم الممتد خلال أربعة عشر قرناً خوفاً من أن يتهموا بأنهم يحبون القديم .

فالمحافظة قانون طبيعى ومن سنن الكون التى لا تتخلف والمحافظة ـ لا الرجعية ـ هى التى تعصم المسيرة من الانحراف وتجعلنا فى إبان الأزمات والاحداث نتلفت لنرى هل نحن حقاً نلتمس من منابعنا الأصيلة أم انحرفنا عنها .

ثانياً : التبعية : ذلك هو الخطر الثانى الذى يواجه الفكر الاسلامى ويجىء هذا نتيجة التصور بأن فكر الأمم الأخرى التى لها قدر من القوة والسيطرة فى العصر الحاضر هو الأصلح وانه مادامت هذه الأمم قد نجحت بهذا المنهج فان علينا أن نقلده ونتبعه حتى نصل إلى ما وصلو اليه من تقدم وظاهر المعادلة يبدو صحيحاً ولكنه فى واقع الأمر وفى النظرة الأعمق لا يؤدى إلا إلى إذابة الشخصية وتحللها حتى تصبح صورة مهلهلة مضطربة لذلك الأصل الذى تحاول الاقتداء به .

إن أخطر ركائز الفكر الاسلامى هو الأصالة والتميز واستحالة الاندماج والذوبان أو الاحتواء فى دائرة الفكر الأممى ، ذلك لأن الاسلام منهج متكامل بينما تتسم مناهج الفكر الأخرى بالتجزئة والانشطار وهو الذى يمثل قمة الدين والفكر فى وحدة لا تنفصل وهو الذى يعتمد على الوحى والنبوة ورسالة السماء أساساً له ، ثم يكون العقل وسيلة من وسائله والعلم منهجاً يجرى فى مجراه .

إن أخطر ما حذرنا منه ديننا هو متابعة الناس بغير برهان والخروج من ذاتيتنا ومقوماتنا تحت سيطرة الأهواء والبريق ، ولقد كانت أمتنا قادرة فى أشد أوقات المحن على أن تحفظ كنزها فى أحضانها فلا تفرط فيه حتى تزول أزمة الاستلاب من حولها . ذلك أن الأمم التى استهانت بقيمها ومركبات شخصيتها من لغة وعقيدة وتراث وتاريخ ، هذه الأمم ضاعت أدراج الرياح ووضعت فى توابيت المتاحف . ان محاولة مضللة تحاول أن تقول بوحدة المعرفة أو وحدة الفكر وهى دعوى تنبعث من المسيطرين بالنفوذ ، وأدوات الغزو ، تريد أن تحتوى فكر الأمة الاسلامية التى تمر الآن بمرحلة اليقظة والتى لم تمتلك إرادتها بعد كاملة . ومن هنا فان علينا أن نواجه هذه الدعوات إلى التبعية المقنعة بحذر شديد وان نعترف بأنها إنما تريد أن تبتلعنا فى أتونها الضخم .

نحن نؤمن بوحدة الجنس البشرى فى مصادره ووحدة الفكر فى أولياته ، ولكن المحاولات البشرية التى عملت منذ وقت بعيد على تشكيل مناهج لها تختلف عن الفكر الربانى وتغاير قيمه التى جاء بها الوحى عن طريق رسالات السماء ، هذه تحول دون تقبل دعوتها الى وحدة الفكر ، ذلك لأنها ترمى إلى اخراج البشرية من إطار التوحيد والايمان والمسئولية الفردية والأخلاقية والبعث والجزاء وقد نجحت هذه المحاولة فى بعض أطراف الأرض ، وهى التى تمتحننا نحن المسلمين أخطر امتحان ومحنة لتحطيم هذه القوة القائمة بالحق فى وجه الوثنية والمادية والالحاد والاباحية .

فضلا عن أن منهج أية أمة لايصلح لأية أمة أخرى .

والواضح أن هناك محاولات لصهر الفكر الاسلامى فى مفاهيم المسيحية والوثنية والاغريقية والمجوسية والفلسفات عن طريق إحياء مفاهيم الاعتزال والفلسفة وفلسفة التصوف والتأثير على تكامل العقيدة والشريعة والأخلاق عن طريق مفاهيم مدرسة العلوم الاجتماعية والفرويدية والوجودية فعلينا أن نحافظ على أصالة الفكر الاسلامى وذاتيته الخاصة .

أنور الجندى

تنسيق انتاج السلاح في الوطن العربي

محمود شيت خطاب

لا تخلو المؤتمرات العربية من فوائد ، لعل من أهمها تعارف المشاركين فيها ، واطلاعهم على أرجاء الوطن العربى ، وتعرفهم على معالم كل الأقطار العربية ، ومعايشتهم معالم تطورها الحضارى ، وتفقد آلامها وآمالها عن كثب .

ولكن هذه المؤتمرات ازدادت عدداً وقلت مددا ، لأن أكثرها مكررة ليس فى الأقطار العربية حسب ، بل فى القطر العربى الواحد ، والمدينة الواحدة من القطر العربى الواحد ، بل الجامعة الواحدة في المدينة الواحدة من القطر العربى الواحد .

وقد شهدت بعض هذه المؤتمرات وتخلفت عن أكثرها معتذراً ، فلمست سمتين بارزتين فيها : الأولى الأسراف فى النفقات والولائم إلى حد البذخ ، والثانية أنها اكتفت بالمقر رات المكتوبة ذات الطموح الرفيع ، ولكن تلك المقررات بقيت حبراً على ورق دون تنفيذ .

ولا قيمة لأى مؤتمر لا تنفذ مقرراته ، لأن العمل هو المفيد ، أما الكلام فلا فائدة فيه .

ولكثرة المؤتمرات ، التى أصبحت لا وزن لها ولا طعم ولا رائحة ، ولتشابه أهدافها وتكرر مواضيعها ولبقاء مقرراتها مجمدة ، وللأسراف المبالغ فيه فى نفقاتها فان المخلصين للعرب يتمنون أن تخصص نفقات المؤتمرات لانتاج السلاح العربى ، وهى مبالغ ضخمة جداً ، وأن يقتصر عقد المؤتمرات على ما يفيد العرب فى حاضرهم ومستقبلهم كمؤتمر تنسيق إنتاج السلاح ، حتى يستغنى العرب نهائياً عن استيراد السلاح الأجنبى ، لأعداد العرب لحرب قادمة لاشك فيها ضد العدو الصهيونى ، لأن اللغةالوحيدة التى يفهمها هذا العدو ويحترمها فى الوقت نفسه هى لغة القوة أما السلام فلا يؤمن به العدو الصهيونى إلا لتحقيق أهداف مرحلية ، وقد وصف بن غوريون بأنه : «إذا أراد الحرب ، تظاهر بالسلام» ، وهو وصف يصدق على زعماء الصهاينة بدون استثناء !

لقد فرضت الحرب على العرب فرضاً وهم يتحملون أعباءها دفاعاً عن أنفسهم من التوسع الصهيونى العنصرى الاستيطانى ، واستعادة لحقوقهم المشروعة المغتصبة ، فما كان للعرب أهداف عدوانية فى يوم من الأيام إنما أهدافهم الدفاع عن النفس والمطالبة بحقوقهم ، وما ضاع حق وراءه مطالب .

والاعداد للحرب من أول شروط إحراز النصر فيها ، ولا إعداد مضمون النجاح بدون تخطيط دقيق ، والوسيلة الأولى لهذا التخطيط هى : عقد مؤتمر عربى لتنسيق إنتاج السلاح العربى .



اللقاءات العربية مطالبة بتنسيق انتاج السلاح .

أهداف التنسيق

يهدف التنسيق إلى عدم إقامة معامل متشابهة تنتج سلاحاً أو ذخيرة متشابهة دون حاجة إلى إنتاجها .

فاذا كان هناك مصنع ينتج سلاحاً خفيفا كالبندقية مثلا ، وكان ضمن طاقة هذا المصنع تسليح الجيوش العربية كافة بهذا السلاح ، فليس من الاقتصاد فى الانتاج أن يتكرر مثل هذا المصنع فى بلد عربى آخر دون مسوغ ، بل يمكن إنشاء مصنع آخر فى ذلك البلد العربى أو فى بلد عربى آخر ، ينتج سلاحاً غير البندقية كالمسدس مثلا ، وبهذا يتم للعرب إنتاج سلاحين مختلفين بدلا عن سلاح واحد .

● مطلوب عقد مؤتمر عربي عاجل لدراسة وتنسيق إنتاج السلاح في الوطن العربي

● احصائيات دقيقة عن حاجة الجيوش العربية الى السلاح .. كمية ونوعية .. من أجل اتخاذ قرارات سليمة

● من أهداف التنسيق عدم إقامة معامل متشابهة في بلد عربي واحد، واختيار الأماكن العربية المناسبة

● تنسيق الإنتاج الحربي يعتمد على ثلاث دعائم: خبراء عسكريون، علماء اقتصاديون، وخبراء إنتاج السلاح



الاعداد للقوة العربية من أول شروط النصر

كما أن نفقات توسيع مصنع ما، هى أقل بكثير من نفقات إنشاء معمل جديد .

فاذا كان مصنع من المصانع الحربية عاجزاً عن تغطية احتياجات الدول العربية كافة من سلاح ما، فبالامكان توسيعه لرفع طاقته الأنتاجية بدلا من إنشاء مصنع جديد .

هذا التنسيق يهدف أيضاً، إلى زيادة التعاون الوثيق بين الدول العربية من ناحية التسليح، فتعرف كل دولة عربية تفاصيل حاجتها إلى السلاح والبلد العربى الذى تستورد منه سلاحاً .

وفى الوقت الحاضر، تنتج بعض الدول العربية بعض الأسلحة الخفيفة التى تفيض عن حاجة جيشها، ونوعية إنتاجها لا يقل عن نوعية إنتاج أمثالها فى الدول الأجنبية، فليس من المعقول أن تستورد دولة من الدول العربية الأخرى ما تحتاج إليه من أسلحة خفيفة أجنبية ولا تستورد ما تنتجه الدول العربية !

إن التعاون العربى فى هذا المجال، يؤثر أطيب الأثر فى العلاقات بين الدول العربية الشقيقية، وقد كان لاستيراد العراق من مصر كميات من الأسلحة الخفيفة سنة ١٩٦٣ أحسن الأثر فى العلاقات الأخوية بين الدولتين العربيتين الشقيقتين فى حينه .

ويهدف هذا التنسيق أيضاً إلى عمل مخطط عربى موحد، لأنشاء المصانع الحربية تمويلا ونوعاً، بحيث تؤمن تلك المصانع على المدى القريب أو البعيد وبمراحل موقوتة كل حاجات العرب إلى السلاح والذخيرة .

ويهدف هذا التنسيق أيضاً إلى الأفادة من المعامل غير الحربية التى يمكن أن تنتج للأغراض الحربية .

مثلا، المصانع التى تنتج أجهزة الأذاعة المختلفة، يمكن أن تنتج الأجهزة اللاسلكية والسلكية كالمرسلات والاخذات لسلاح الأشارة التى تعمل بالكهرباء وبالنضائد (البطاريات) .

ومثل هذا المصنع يغطى حاجات الجيش اللاسلكية المختلفة فى أيام الحرب، كما يسد حاجات أبناء الشعب إلى أجهزة الأذاعة المسموعة والمرئية المختلفة وإلى النضائد ونحوها فى أيام السلام .

ومصانع السيارات يمكن تحويرها لتنتج المدرعات والناقلات والدبابات المسرّفه ونصف المسرّفه (المجنزرة ونصف المجنزرة) وسيارات النقل العسكرى ...

وكل ذلك يحتاج إلى تخطيط وتنسيق للمدى القريب والبعيد .

ويهدف التنسيق إلى توزيع المصانع الحربية على البلاد العربية، واختيار الأماكن المناسبة لها فى الأقطار العربية .

إن المصانع المدنية يسيطر عليها العامل الاقتصادى الذى يفضل أن يكون المصنع قريباً من الموارد الخام، قريباً من وسائط النقل المختلفة، قريباً من الأسواق المستهلكة، قريباً من الأيدى العاملة الرخيصة، فى منطقة مأهولة بالسكان تساعد على بيع الانتاج وتصريفه .. الخ ..

العامل الاقتصادى أولا بالنسبة للمصانع المدنية، وعامل الأمن أولا بالنسبة للمصانع الحربية .

فالمصنع الحربى، يقتضى أن يكون فى موضع أمين، بعيد عن متناول العدو بعيد عن تأثير نيرانه الأرضية والجوية والبحرية .

بل ينبغى أن يدخل فى الحساب

تنسيق انتاج السلاح في الوطن العربي

● ثمن المسدس العادي المستورد يبلغ خمسة وعشرين دينـــارا ، بينما يتكلف إنتاجه نصف دينار فقط !

بالنسبة لانشاء المصانع الحربية المهمة كمصانع الطائرات مثلا ، خطر القصف بالقنابل النووية والهيدروجينية أو الصواريخ ذات المديات البعيدة .

ومن الطبيعى أن المصنع الحربى الذى تنفق عليه الملايين ، يجب الا يكون تحت رحمة نيران العدو .

وما يقال عن المصانع الحربية ، يقال عن المستودعات الحربية أيضاً ، إذ يجب ألا تكون فى أماكن غير أمينة وألا تكون عرضة لنيران العدو .

ذلك هو موجز أهداف التنسيق لمصانع التسليح العربى من الناحية العسكرية ، التى تنقذ العرب من محاذير استيراد السلاح والعتاد من الدول الأجنبية .

وهى أهداف حيوية بالنسبة للمجهود الحربى العربى .



الانتاج المحلى للسلاح هو ضمان التفوق على العدو



تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية

خبراء التنســـيق

يعمل خبراء التنسيق باشراف جامعة الدول العربية ، لكى لا تتخلف أية دولة عربية عن حضور مؤتمر التنسيق ، إذ لا مسوغ لاقتصار الانتاج الحربى العربى على قسم من الدول العربية دون غيرها ، حتى لا يكون هذا الانتاج الحيوى خاضعاً لنوع من التكتلات العربية ، وليكون الانتاج لجميع الجيوش العربية لا لقسم منها ، لأن المطلوب هو حشد الطاقات المادية والمعنوية العربية كافة للحرب ، لا حشد جزء من تلك الطاقات .

وتنسيق الانتاج الحربى للسلاح والعتاد ، يعتمد على ثلاثة أصناف من الخبراء بصورة رئيسة :

الصنف الأول ، هم الخبراء العسكريون ، ويكون واجبهم القرار على أسبقية إنشاء المصانع الحربية ، واختيار مواقع إنشائها ، وتقرير طاقاتها الانتاجية بالنسبة لحاجة الجيوش العربية ، ووضع خطة لحمايتها وأمنها وسرية إنتاجها .

والبلاد العربية واسعة جداً ، فيها الجبال الشاهقة ، والأرض المتموجة ، والسهول الفسيحة ، والصحارى الجرداء ، وهى صالحة إلى أبعد الحدود لانتشار المصانع وحمايتها وإخفائها ، لكى تنتج بكل طاقاتها دون إزعاج العدو فى أيام الحرب بخاصة .

وصحاريها المترامية الأطراف ، تيسر المناطق المناسبة لتجارب الأسلحة التقليدية والمتطورة ، ومن المعلوم أن فرنسا أجرت تجاربها النووية فى صحراء الجزائر قبل استقلالها .

وقد يكون من الصعب إخفاء عدد المصانع الحربية ونوعية إنتاجها ، نظراً لتطور أجهزة الاستمكان ، ولكن من السهل حمايتها فى وضعها بأماكن نائية بعيدة عن مناطق القتال المحتملة ، أو بالاستفادة من طبيعة الأرض ، أو بالمدفعية ضد الجو .

كما يمكن إبقاء مقدار إنتاجها وتوقيته وتوزيعه على الجيوش العربية سراً من الأسرار .

ولابد أن يكون لدى هؤلاء الخبراء العسكريين إحصائيات دقيقة عن حاجة جيوشهم إلى السلاح كمية ونوعية لتعينهم على إعطاء القرارات السليمة عن حاجتهم فى الحاضر وتطوير المصانع لسد احتياجات الجيوش العربية فى المستقبل .

والصنف الثانى هم العلماء الاقتصاديون : واجبهم إعطاء القرار عن أقوم طريقة اقتصادية للانتاج ، لكى تسد حاجات الجيوش العربية إلى السلاح فى الحاضر والمستقبل .

وواجبهم أيضاً ، المساهمة المالية لمبايعة المصانع ونقلها إلى مواضع إنتاجها ونفقات الانتاج .

ومهما قيل فى ضخامة نفقات إنتاج السلاح والعتاد عربياً ، فانه يعتبر اقتصادياً بالنسبة لاستيراده من الخارج

وحسبى أن أذكر ، أن ثمن المسدس العادى المستورد يبلغ خمسة وعشرين ديناراً عراقياً كمعدل ، بينما يكلف إنتاجه نصف دينار فقط !!

كما أن إعداد أسباب النصر ، وضمان التفوق على العدو فى ميزان التسليح الذى لن يتم إلا بالانتاج المحلى دون الاستيراد من الخارج ، هو أثمن من النفقات مهما بلغت ، فاذا ثلم شرف الأمة فلا قيمة لثرائها .

والصنف الثالث هم خبراء إنتاج

● مؤتمر إنتاج السلاح عربيًا من المؤتمرات المصيرية ، وينبغي أن يكون مضمون النجاح

السلاح والعتاد ، واجبهم تصميم إنتاج أنواع السلاح والعتاد ، وتنفيذ تلك التصاميم ، وعرض ما يمكن إنتاجه عربياً وما لا يمكن إنتاجه .

دروس وعبر

إن مؤتمر إنتاج السلاح عربياً من المؤتمرات المصيرية ، وينبغى أن يكون مضمون النجاح .

ولكى نضمن نجاحه ، لابد من إجراء خبراء التنسيق بأصنافهم الثلاثة وخبراء جامعة الدول العربية استحضارات تشمل دراسات متخصصة باللغة الدقة والاتقان ، قبل عقد المؤتمر المرتقب .

أما أن تدعو الجامعة العربية إلى عقد المؤتمر دون إجراء تلك الدراسات ،، فيجتمع خبراء الدول العربية وأيديهم خالية من الدراسات أيضاً ، أو يحضر قسم من خبراء الدول العربية باعتبارهم خبراء وهم ليسوا بخبراء من قريب أو بعيد بل هم موظفون اعتياديون ، فان المؤتمر سيخفق حتماً ، لا لأن هناك صعوبات لا يمكن التغلب عليها فى طريق التسليح العربى ، بل لأن مسئولى جامعة الدول العربية لم يقوموا بواجباتهم فى إعداد الدراسات المطلوبة ، ولأن خبراء الدول العربية لم يقوموا بواجباتهم فى إعداد الدراسات أيضاً ، أو كانوا موظفين لا خبراء ، واعتمد مسئولو الجامعة على خبراء الدول العربية ، واعتمد خبراء الدول العربية على مسئولى الجامعة ، فضاعت المسئولية بين الطرفين المتواكلين ، وحلت المصيبة على رأس العرب من جراء هذا التواكل ، ومن المؤسف حقاً أن هذا هو ما يجرى بالفعل فى مؤتمرات جامعة الدول العربية ومؤتمرات الدول العربية الأخرى على النطاقين القُطرى والعربى ، وما هكذا يا سعد تورد الابل كما يقول المثل العربى القديم .

إن إعداد الدراسات المفصلة قبل المؤتمر هو الذى يؤدى إلى نجاحه ، فينبغى إعداد الدراسات الشاملة حول إنتاج السلاح العربى من مسئولى جامعة الدول العربية ومن خبراء الدول العربية ، والاطلاع على تلك الدراسات وتمحيصها من ممثلى جامعة الدول العربية وممثلى الدول العربية ، فاذا كانت على المستوى المطلوب عين موعد لعقد مؤتمر التنسيق ، وإلا فينبغى استكمال الدراسات حتى يمكن أن يسير المؤتمر فى النور لا فى الظلام .

ومن المهم الحرص على اختيار الخبراء ، فلهم دور بارز على إنجاح المؤتمر وعلى الانتاج .

وأكثر أهمية هو اختيار المسئول الأول عن الانتاج العربى للسلاح : عسكرياً من ذوى الرتب العالية ، معروفاً بنزاهته المطلقة وكفاياته العالية ، وحرصه الشديد .

أما أن نختار المسئول الأول ممن لا صلة له بانتاج السلاح ، فخطأ فاحش أدى بالتجربة التى تولاها إلى الاخفاق الكامل .

وقد حدثنى أحد إخوانى الضباط عن تلك التجربة فى أول أمرها ، فقلت له : ستخفق التجربة حتماً .

وقدم الضابط بغداد بعد ثمانى سنوات من لقائى به ، بعد أن أخفقت التجربة وصفت أعمالها ، فقال : كيف علمت أنها ستخفق !

وسكت ، فما كانت بى حاجة أن أتحدث فى البديهات !

إن العرب فى كل مكان يقولون : عقد الصهاينة سنة ١٨٩٧ مؤتمرهم الصهيونى الأول ، فقال هيرتزل بعد انقضائه : «لو لخصت أعمال المؤتمر فى كلمة واحدة – وهذا مالن أقدم على الجهر به – لقلت : أوجدت الدولة اليهودية : فى غضون خمس سنوات ! ربما ! وفى غضون خمسين سنة ! بالتأكيد» .

والعرب فى كل يوم لهم مؤتمرات لا مؤتمر واحد ، فما لمسنا فيها فائدة للعرب جميعاً ، وقد نلمس فيها فائدة للفرد المشارك فى المؤتمر ... والفرد لا قيمة له بالنسبة لأمته .

ألا يستطيع العرب أن يعقدوا مؤتمراً ناجحاً يكون له ما بعده !

وأجيب بلا تردد : نعم يستطيعون ، إذا وسد الأمر لأهله ، حتى لا تقوم الساعة !

وصدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام : «إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة» .

محمود شيت خطاب

وأعدّوا لهم ...

إن كتب التاريخ المتداولة تكتفى بالاشارة الى مجد العرب وانتصاراتهم عندما كان التاريخ لا يسجل لهم إلا الانتصارات ولكنها لا تذكر الثمن الذى كان يدفعه المنتصرون ، وبعض علماء المسلمين يعددون الفتوحات ويشيرون بكل بساطة الى أن سبب النصر هو الاسلام ، ويهملون الرابطة بين النصر والاستعداد التام الذى ربط الاسلام بينه وبين النصر فاتى أمر الله صريحاً بقوله : «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ، وذلك ما فهمه المسلمون الأولون وغفل عنه فيما بعد كثير من الحفدة .

في ذكرى مرور عشر سنوات على وفاة "برتراند رسل"

الفيلسوف البريطاني يقول :

القضية الفلسطينية
قضية شعب له حق الحياة في وطنه

عصام شريح

في الثاني من شباط (فبراير) ١٩٧٠ ـ اى قبل عشر سنوات ـ توفى الفيلسوف البريطانى بيرتراند رسل ، عن سبعة وتسعين عاما ، فغاب بوفاته عن قمم الفلسفة المعاصرة ، وعن حلبات النضال السياسى والاجتماعى ، وجه من ابرز وجوه القرن العشرين ، وعقل من اكثر العقول انفتاحا وتعمقا واضاءة وتحررا .

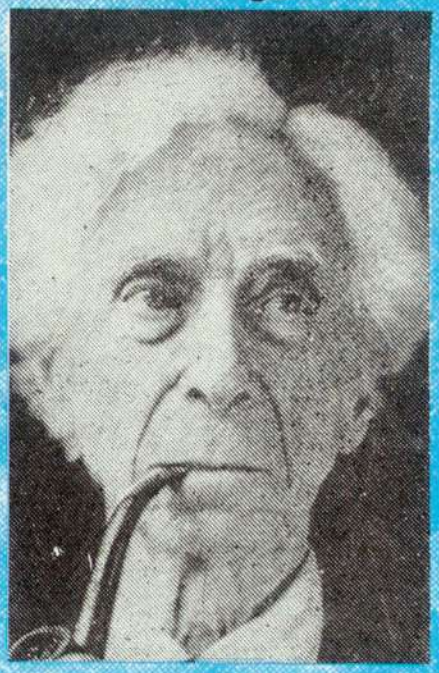
تذكروا إنسانيتكم

ولد بيرتراند رسل فى ١٨ ايار (مايو) من عام ١٨٧٢ ، من ابوين ارستقراطيين ، فابوه الفايكونت امبرلى ، وجده اللورد جورج رسل احد ابرز رؤساء الوزارات فى ذلك الوقت ، وجده لأمه هو اللورد ستانلى امبرلى . وقد نشا بيرتراند يتيما فقد مات ابوه وهو فى عامه الثالث ، بينما ماتت والدته وهو فى عامه الثانى وبموت ابيه انتقل الى جدته لأبيه الليدى رسل لينشأ فى كنفها وبرعايتها . ولقد كان للبيئة التى نشا فيها رسل أثر كبير على مجرى حياته ايجابيا وسلبيا ، ذلك أن لنشاته البيئية أثرا كبيرا فى اتجاهه الليبرالى دون ريب ، رغم أن اتجاهه الفلسفى اتسم برفضه للخلفية التى ورثها عن عائلته العريقة فى السياسة .

منح رسل جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٥٠ ، واصبح رئيس حملة نزع السلاح النووى فى عام ١٩٥٨ ، واسس «لجنة المائة للعصيان المدنى ضد الحرب النووية» ، ولم يخش دخول السجن فى عام ١٩٦١ وهو فى الثامنة والثمانين بسبب تحريضه الجمهور على التظاهر والاعتصام . وقد اسس «مؤسسة بيرتراند رسل للسلام» و «مؤسسة السلام الأطلسى» ، كما عمل من اجل قضية السلام فى الشرق الاوسط . ولم ينس قط الجانب الانسانى فى حياته ، فاذاع فى عام ١٩٥٤ ، بعد تفجير القنبلة الهيدروجينية الاولى ، رسالة قال فيها : «تذكروا انسانيتكم وانسوا الباقى ، فاذا فعلتم ذلك فالطريق مفتوحة امامكم حتما نحو الفردوس ، واذا لم تفعلوا ذلك ، فلا شىء امامكم سوى الموت الجماعى» .

فكره السياسى والاجتماعى

كان راسل يقيس العقائد والافكار بمقدار ما تقدم للانسان من سعادة ، ومن ضمن ماخذه على ماركس اعتقاده بأن «ثمة قدرة كونية تدعى المادية الجدلية تتحكم بالتاريخ الانسانى بمعزل عن



ارادة الانسان» فقد رفض رسل الشيوعية لانها لا تقدم له هذه السعادة بل هى تزيد فى البؤس الانسانى ، وهو ياخذ على الماركسيين غلوهم فى تقدير العامل المادى الطبقى الاقتصادى ، بحيث تجاوزوا وجود عوامل اخرى فى الاجتماع البشرى لها شانها الاساسى فى تقرير المصائر ، وفى طليعتها العامل القومى .

إلا أن هذا الليبرالى الرافض للشيوعية كمذهب سياسى واجتماعى ، كان هو نفسه أعدى اعداء الاستعمار الغربى فى الوقت عينه ، وقد تمثل موقفه اولا فى عناده فى رفض الحروب التى تثيرها الدول الرأسمالية الغربية ، وبدعوته إلى السلم والتى لم تعرف هوادة ، وكان ان ايقظته الحرب العالمية الأولى على تلك المجزرة البشرية التى ارتكبتها الدول المتطاحنة والمتنافسة لتحقيق مطامعها ، فوقف رسل فى وجهها وبدأ تحريضه من اجل السلم ، والب قسما غير يسير من الارستقراطية البريطانية ضد الحروب ، وكانت اهمية مواقف رسل السياسية تكمن فى انه قرن الفكر بالممارسة ، ودافع عن معتقده بنضال لم يعرف اية هوادة ، وارتضى الاضطهاد ودخول السجن من اجل افكاره .

ولم يكن نضاله يقتصر على صعيد دون اخر ، فكما ناضل فى الميدان السياسى من اجل السلام وحقوق الشعوب ، ناضل كذلك فى الميدان الاجتماعى ، ضد كل سياسة تربوية تقليدية او نظرة سلفية ، ودعا إلى بناء انسان غير معقد بالتقاليد والافكار



المؤتمر البرلمانى الدولى الذى عقد فى القاهرة وتوجه اليه الفيلسوف رسل برسالته الأخيرة .

السلفية ، حر فى موقفه من نفسه والعالم سلاحه ومشعله المعرفة العلمية التى كان رسل يتخذها درعه الايمانى الوحيد .

ويرى «إريك فرومن بأن طاقة رسل على التمرد لم تكن تجد جذورها فى أى موقف مجرد ، بل فى حبه الفائق للحياة . وهذا الحب للحياة الذى فاق كل حد هو الدافع الأقوى لموقفه الرافض للحروب ، ولقد كان رسل فى حبه للحياة شاملا كل الجماعات والأقوام والأمم ، فرفض نظرة الاستعمار التى توقف السعادة والحياة على مجموعة من الامم المستنسرة والمستأثرة ، بينما هى تنزع هذا الحق عن أمم أخرى ، ومن أجل هذا الشمول فى حب الحياة غير المميز بين أمم سيدة وأمم مستعبدة ، وبين أمم غنية الموارد ، وأمم فقيرة ، كان موقفه من حرب فيتنام ، حيث اعتبر الرئيس الامريكى الأسبق ليندون جونسون مجرم حرب بسبب موقفه المغذى لأوار تلك الحرب القذرة ، وقد أصدر عليه «حكمه المعنوى» بالاعدام بعد أن شكل محكمته الشهيرة من عدد من أدباء ومفكرى الغرب .

ومن المفارقات الكبرى فى حياة الفيلسوف بيرتراند رسل الذى كان ينادى بالأممية ، وقوفه إلى جانب الثورات القومية فى فلسطين وفيتنام ، فأكد بذلك أن الأممية الحقة والانسانية السليمة هى تلك التى تجسدها ظاهرة الثورة القومية المعاصرة ضد الاستعمار وجميع أشكال الهيمنة الامبريالية .

رسل والصراع العربى ـ الصهيونى

كان رسل يرى القضية الفلسطينية على حقيقتها : قضية شعب له الحق فى الحياة فى وطنه ، وهو يقول : «إن مأساة شعب فلسطين تتمثل فى اغتصاب وطن ، واعطائه لشعب آخر ، من خلق دولة اجنبية جديدة .. فالى متى سيظل العالم مستعداً لتحمل هذا المشهد الوحشى ؟!» .

وفى تقرير خطير رفعه إلى منظمة الأمم المتحدة وجمعية الصليب الأحمر الدولى فى ١٢ حزيران (يونيو) من عام ١٩٦٧ ، قال الفيلسوف البريطانى اللورد راسل : «إن أولئك الذين يعطفون بحق على اليهود من ضحايا العدوان الهتلرى فى أوروبا ، يجب ألا يساووا بين حق اسرائيل فى البقاء وسياستها فى التوسع الاقليمى . ان العدوان لا مبرر له قط ، وخاصة عندما يقترفه أولئك الذين يعرفون معانيه الكاملة تماماً» .

وكان اللورد رسل قد أوفد بعثة من محكمته الشهيرة لاستقصاء الحقائق عن الجرائم التى ارتكبتها إسرائيل ضد العرب فى حرب الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وقد اعلن «كريستوفر فارلى» ـ رئيس بعثة رسل للسلام ـ عند وصوله إلى القاهرة فى ٩ـ٩ـ١٩٦٧ «انه تأكد لدى البعثة بما لا يقبل أدنى شك ، أن اسرائيل استخدمت قنابل النابالم فى عدوانها على الدول العربية ، رغم أن استخدام هذا النوع من القنابل محرم دولياً . وقال فارلى : ان البعثة توصلت إلى أدلة ثابتة ، تبرهن على ذلك إذ أنها تضم اثنين من الأعضاء ممن لهم خبرة ودراية فى التعرف على آثار قنابل النابالم ، كما كان برفقة البعثة طبيب محاضر من جامعة روما ، قام بنفسه بفحص الضحايا العرب المصابين بحروق ، وإن أعضاء البعثة شاهدوا بأم أعينهم العديد من الضحايا فى المستشفيات وجميعهم مصابون بحروق من الدرجتين الثانية والثالثة ، وهى حروق لا تنتج إلا عن قنابل النابالم .

وأردف فارلى قائلا : ان الفظائع التى ارتكبتها اسرائيل ، لم تقتصر على استخدام قنابل النابالم ، بل تعدتها إلى الأساليب النازية الوحشية فى معاملة الضحايا وأسرى الحرب العرب ، ولم تراع الحقوق الانسانية . وأننا حصلنا أيضاً على تسجيلات صوتية للضحايا ، سواء من المصابين أو من أسرى الحرب ، والذين اخترناهم بأنفسنا دون أى تدخل من السلطات فى كل من الأردن وسوريا ، حسب شروطنا المسبقة ، ولقد استجابت لجميع شروطنا هذه ، كل من الأردن وسوريا والجمهورية العربية المتحدة (مصر) ، لكن السلطات الاسرائيلية لم تعط جواباً قاطعاً يضمن لنا تحقيق ما طلبناه من التسهيلات ، وقد كنا تقدمنا بطلبنا إلى السلطات الاسرائيلية عن طريق السفارة الاسرائيلية فى لندن منذ أسبوعين ، وطلبنا السماح لنا بدخول المناطق التى تحتلها اسرائيل ، والتحدث إلى بعض القادة العرب ، الذين مازالوا محتجزين هنالك ، ولكن الملحق الصحفى الاسرائيلى فى السفارة بلندن ، اتصل بى هاتفياً ، وأعطى رداً غير محدد ولا يفيد بشىء . وقد قام الفيلسوف رسل بنفسه ، بكتابة خطاب مطول إلى السفير الاسرائيلى ، ويتضمن نفس الشروط التى طلبناها من الدول العربية ، والتى

● قال إن الاستشهاد بعذاب الماضي لتبرير عذاب الحاضر هو رياء مفضوح

تسمح للبعثة بحرية العمل ضمن مهمتها ودون ضغط من السلطات الاسرائيلية أو العربية أو تدخل منها ، ولكن دون جدوى ، وختم فارلى تصريحه قائلا : ان العدوان الاسرائيلى كان واضحاً» .

وفى ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، أصدر اللورد رسل بياناً آخر قال فيه :

«هناك الآن أدلة واسعة على ان اسرائيل استخدمت أعداداً كبيرة من قنابل النابالم فى هجومها الصاعق «الأخير» على جيرانها العرب .. وانه لمن الواضح تماماً ، ان النابالم ، ليس سلاحاً يستخدم ضد الأشخاص ، وانه لا مكان له فى مجتمع متحضر» .

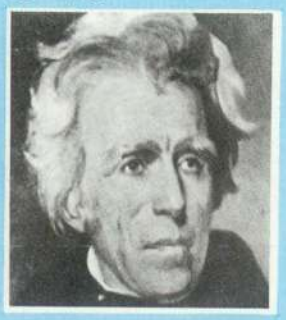
الرسالة الأخيرة

آخر رسالة توجه بها بيرتراند رسل الى العالم ، كانت موجهة إلى المؤتمر البرلمانى الدولى الذى عقد فى القاهرة فى الأول من شباط (فبراير) ١٩٧٠ ، وقد دعا رسل فيها إلى اعطاء الشعب الفلسطينى جميع حقوقه ، كما ندد فيها بالاحتلال الاسرائيلى ، وفيما يلى النص الحرفى لتلك الرسالة :

«ترتكز المرحلة الأخيرة من الحرب غير المعلنة فى الشرق الأوسط على خطأ حسابى عميق الجذور ، فالغارات فى عمق الأراضى المصرية لن تقنع السكان المدنيين بالاستسلام ، بل ستعزز تصميمهم على المقاومة . وقد كان هذا الدرس المستقى من جميع عمليات القصف الجوى كافيا ، فقد رد الفيتناميون الذين تحملوا طوال سنوات القصف الأميركى العنيف ، لا بالاستسلام ، بل باسقاط المزيد من طائرات العدو . وفى عام ١٩٤٠ ، قاوم ابناء وطنى غارات هتلر باتحاد وعزيمة لم يسبق لهما مثيل . ولهذا يمكن القول إن الغارات الاسرائيلية الحالية ستفشل فى تحقيق غرضها الاساسى .

وخلال ذلك ينبغى التنديد بها بشدة فى جميع أنحاء العالم .. ان تطور أزمة الشرق الأوسط خطر ومليء بالعبر ، فلقد توسعت إسرائيل طوال عشرين عاماً بقوة السلاح ، وتوجهت بعد كل مرحلة من توسعها إلى «الارادات الحسنة» ، ودعت الى «المفاوضات» . وهذا هو الدور التقليدى للدولة الاستعمارية التى تريد أن تثبت باهون السبل ما حققته بالعنف ، فكل غزو جديد يصبح الأساس الجديد للتفاوض من موقع قوة يتجاهل ظلم العدوان السابق . ان العدوان الذى ارتكبته اسرائيل يجب أن يشجب لا لأنه لا يحق لاية دولة ضم اراض أجنبية إليها بالقوة فحسب بل لأن كل عدوان هو تجربة لاكتشاف مدى ما سيتحمل العالم من عدوان .


ليندون جونسون


اندرو جاكسون


أدولف هتلر

لقد وصف الصحفى الأميركى إ.ف. ستون اللاجئين الذين يحيطون بفلسطين بمئات الألوف ، بأنهم «حجر الرحى الأدبى فى عنق يهود العالم» ان كثيرين من هؤلاء اللاجئين دخلوا الآن العقد الثالث من عيشهم المزعزع فى «مستوطنات» مؤقته .

إن مأساة شعب فلسطين هى ان دولة اجنبية «أعطت» بلده لشعب آخر بغية خلق دولة جديدة . وكانت النتيجة أن مئات الألوف من الناس الأبرياء شردوا من منازلهم بشكل دائم ، ومع كل نزاع جديد ازداد عددهم .

فحتام سيظل العالم يحتمل هذه الوحشية ؟

من الواضح جداً أن للاجئين كل حق فى العودة إلى الوطن الذى طردوا منه ، وأن حرمانهم من هذا الحق هو سبب استمرار النزاع ، إذ لا يوجد شعب فى العالم يقبل الطرد بشكل جماعى من بلده ، فكيف يطلب من شعب فلسطين تحمل مالا يقبل به شعب آخر ؟

إن تسوية عادلة ودائمة «للاجئين» فى وطنهم هى عنصر أساسى فى اية تسوية حقيقية فى الشرق الأوسط .

غالباً ما يقال ، إن علينا أن نتعاطف مع اسرائيل بسبب العذاب الذى لقيه اليهود فى أوروبا على ايدى النازيين ، اننى لا أرى فى هذا سبباً لاستمرار عذاب آخرين ، وان ما تفعله اسرائيل لا يمكن الصفح عنه .

أما الاستشهاد بعذاب الماضى لتبرير عذاب الحاضر ، فهو رياء مفضوح . إن إسرائيل لا تحكم على عدد كبير من «اللاجئين» بالبؤس ، ولا هى تخضع كثيرين من العرب فى الأراضى المحتلة لحكم عسكرى فحسب ، بل إنها تحكم على الدول العربية التى تخلصت أخيراً من الاستعمار بالفقر المستمر نتيجة إعطائها المتطلبات العسكرية ، الأولوية على التنمية الوطنية .

كل الذين يريدون ان يروا نهاية لاهراق الدماء فى الشرق الأوسط يجب أن يتاكدوا أن التسوية التى يتبنونها لا تحمل فى طياتها بذور نزاع قادم ، ان العدالة تتطلب ان تكون أول خطوة للتسوية انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية التى احتلتها فى حزيران من عام ١٩٦٧ ، وان ثمة حاجة إلى حملة عالمية جديدة لتحقيق العدالة لشعب الشرق الأوسط الذى حرم منها منذ زمن طويل» .

«برتراند رسل : ٣١-١-١٩٧٠»

● طالب بقيام حكومة عالمية لفض الخلافات بالطرق السلمية

رسل والديمقراطية الاميركية

يقول رسل «إن النظرية الديمقراطية بمفهومها الحديث ، لم يبتدعها «جان روسو» (الفرنسى) ، بل العنصر التقدمى فى جيش «كروميل» فهؤلاء الرجال فشلوا فى بلدهم (بريطانيا) ، الا انهم نقلوا مبادئهم عبر المحيط الأطلسى ، حيث ولدت الديمقراطية الاميركية بعد فترة حضانة .

ويقول : «إن الديمقراطية الاميركية تعرضت إلى تحول كبير عندما أصبح «أندرو جاكسون» رئيساً للجمهورية ، فقد كان الرؤساء السابقون سادة مهذبين معروفين غالباً كملاكين ، وقد مثل أندرو جاكسون ثورة الرواد والمهاجرين على هؤلاء الرجال ، وكان جاكسون يكره الثقافة والمثقفين ، كما كان يشك فى الرجال المتعلمين لأنهم يفهمون أشياء تثير حيرته .

جسر الخلاص :

يرى رسل ان العالم منقسم إلى عدة مناطق ، وفى كل منطقة يتعلم الجيل الطالع أن أبناء بلاده فاضلون بشكل استثنائى ، أما سكان المناطق الأخرى فمنحطون وأشرار ، وهذا فى رأى رسل لا يخدم السلام فى العالم ، ويقول إن «الحروب فى القرن الثامن عشر كانت عملا مريحاً ، فباستثناء حرب الاستقلال الأميركية ، خرجت انكلترا من حروب ذلك القرن رابحة من وجهة نظر مالية ، أما الان فالأمور مختلفة ، وقد وصلت إلى حافة الدمار عن طريق نصرين كاملين ومطلقين فى حربين عالميتين متواليتين ، ولم يعد بالامكان اقناع الشعب الانكليزى بأن الحرب عمل مريح ، على الرغم من أنه ما يزال على الولايات المتحدة الأميركية أن تتعلم هذا الدرس»

لكن ما هى الطريق نحو السلام العالمى ، وقيام عالم لا تسوده الحروب والصراعات ؟

يقول رسل : «إن جعل الأنظمة الديمقراطية ميالة إلى السلام بدلا من الحرب ، هو مهمة المدارس ، اذ يتوجب تعليم التاريخ على انه تاريخ نشوء المدنية والحضارة ، لا تاريخ هذه الأمة أو تلك ، كما يجب تعليمه من وجهة نظر البشرية ككل ، لا بالتشديد غير المناسب على بلد كل فرد .

الحكومة العالمية

ويرى رسل أن الضمان الاقوى لتثبيت اسس السلام فى العالم ، ومنع نشوب الحروب وانتشارها ، والقضاء على المنازعات وفض الخلافات بالطرق السلمية ، انما يكمن فى قيام حكومة عالمية ، فيقول : «ان مسألة اللامركزية حيوية فى دراسة مشكلة الحكومة العالمية ، فمن الواضح انه لو كانت هناك حكومة عالمية ، فانه سيكون لديها مهمات محددة ومعينة ، وان معظم الاعمال التى تقوم بها الحكومات الوطنية حالياً ، ستبقى فى ايدى هذه الحكومات .

وقد يعتقد البعض أن موضوع الحكومة العالمية سيظل مثلا أعلى لا يمكن تحقيقه ، طالما استمر التوتر بين الشرق والغرب ، ولكن التوتر مشكلة ملحة ، لأنه إذا لم يحل خلال الجيل القادم ، فسيصبح بقاء البشرية أمراً مشكوكاً فيه . ويعتبر هذا القول مزعجاً لأن الناس لا يحبون تغيير عاداتهم العقلية التى تعتبر كراهية دولة أجنبية معينة من اكثرها تأصلا ، وهم يكرهون التسليم بأن العادات القديمة لا تتفق مع البقاء ، وثمة قلة قليلة من الناس تتوق إلى البقاء اكثر من توقها إلى عدم التفكير

وهذا الموضوع بالطبع ، لا ينظر إليه هذه النظرة فى عقول الناس ، فما يحدث لديهم هو اعتقاد سريع بأن كل فكر غير عادى هو فكر سخيف ، وهذا الاعتقاد شائع ووطيد الى درجة ان الناس لا يكلفون أنفسهم عناء رؤية ما إذا كان له أساس منطقى ، واننى اعتقد ان كل انسان قادر على مقاومة هذا الاندفاع يجب أن يدرك أن بقاء الجنس البشرى يعتمد على إلغاء الحرب ، وأن الحرب لا يمكن أن تلغى إلا بقيام حكومة عالمية» .

ويتساءل رسل عن السلطات التى تحتاج إليها الحكومة العالمية المقترحة ، ثم يجيب : «إنها بشكل أولى تتعلق بالحرب والسلام ، والحكومة العالمية بحاجة إلى احتكار جميع اسلحة الحرب المهمة ، والى سلطة إعادة النظر فى المعاهدات بين الدول ، ورفض الاعتراف بأية معاهدة لا توافق عليها هذه الحكومة ، كما انها بحاجة الى تصميم حازم لشن حرب على أية دولة تثور على سلطتها أو ترتكب عدواناً على دولة أخرى ، لكنها لن تكون بحاجة إلى السيطرة على الدول فيما يتعلق بتطورها الاقتصادى الداخلى ، وشؤون التعليم ، ومؤسساتها الدينية ، وأية مسألة أخرى يمكن ان تعتبر فعلا مسألة داخلية .

وفى الواقع فان ما يتوجب على الحكومة العالمية ان تأخذه من الدول هو ما أخذ من الفرد منذ زمن بعيد ، ألا وهو حق القتل ، ويتوجب على الدول جميعها أن تدرك أن تحديداً مماثلا لحريتها ليس موضوع اعتراض ، كما يجب عليها ان ترضى بحرية إدارة شؤونها الخاصة ، وعدم المطالبة بأن يتاح لها قتل الغرباء حسب مزاجها» .

رسل .. منطقياً وحالماً

إن رسل المنطقى والواقعى والذى قاوم العدوان والمعتدين ، وحاكم رئيس الولايات المتحدة فى محكمته الشهيرة ، وجرمه بالمسؤولية عن المذابح الجماعية التى ارتكبها الجيش الاميركي ، واعمال الابادة ضد الشعب الفيتنامى ، كما حاكم الصهاينة ـ النازيين الجدد ـ وادرك الى حد كبير الظلم التاريخى الذى لحق بالشعب العربى الفلسطينى . كان يحلم بعالم جديد تنتفى منه الحروب وأعمال القتل والسلوك البربرى ، ولهذا كان صارماً فى آرائه وأحكامه كحد السيف ، فلم يجامل أحداً ولم يتزلف لأحد إلا أنه ـ كما يبدو ـ كان مفرطاً فى التفاؤل ، فالعالم مايزال على حاله بعد رحيله بعقد كامل ، وربما سيبقى يتخبط فى عدوانيته المجنونة ، وجنوحه اليائس نحو الحروب كوسيلة لتسوية النزاعات وفرض الارادة والهيمنة ، الى عقود وأجيال أخرى ، وربما الى قرون مديدة !

عصام شريح

لولوة المسند

السياسة التعليمية

هل ترفع الكفاءة الاقتصادية للمرأة القطرية؟

- مطلوب مؤسسات تعمل على تدريب الفتاة في المجال المهني
- مشاركة المرأة في التنمية تعطي نظرة أرفع لقيمة عملها في المجتمع

تسعى الدول جاهدة فى هذا العصر الذى يتميز بشراسة التنافس الصناعى، إلى تنويع مصادر دخلها فى سبيل زيادة ثروتها والحفاظ على استمرارية وجودها واكثر ما ينطبق هذا القول على تلك الدول التى كان نصيبها من الثروة الطبيعية فى الحياة ضئيلا .

ودولة قطر التى تعتمد بصورة رئيسية على النفط ، وهو كما نعلم من مصادر الدخل غير الثابتة إلى الأبد ، أحوج ما تكون إلى الاعتماد مستقبلا على موارد أخرى . وأهم هذه الموارد هو العامل البشرى الذى تعتبر تنميته ضرورة اقتصادية ملحة لابد ان تضعها الخطط التنموية لهذا البلد فى المقدمة .

ولا شك أن استثمار العنصر البشرى ذو مردود مربح وخير حيث أنه الدعامة الاقتصادية لدول تغلب على أراضيها الصحراء . إلا انه قد تبرز عوائق كثيرة تعمل على إبطاء نجاح هذا الاستثمار . ومن هذه العوائق انخفاض الفعالية الاقتصادية للمرأة الخليجية وهذا القول ينسحب أيضاً على المرأة القطرية التى هى جزء من المجتمع الخليجى ـ الأمر الذى يستوجب وضع سياسات تعليمية وتدريبية تسهم فى رفع هذه الفعالية .

المرأة ما قبل النفط أنشط اقتصادياً

إن التعليل الذى يطرح لانخفاض هذه الفعالية هو وجود ضغوط اجتماعية . وقد يكون فى هذا التعليل شيء من الواقع ، إلا أنه غير مقبول فى كثير من الأحيان . فمثل هذه الضغوط كانت فى مجتمع ما قبل النفط غير أننا كنا نرى المرأة أكثر فاعلية فى سد الكثير من احتياجاتها المعيشية . فهى فى المجتمعات الحضرية على الشواطىء كانت تقوم بصيد السمك وبناء بيوت الطين وغيرها . وفى المجتمعات البدوية فى الصحراء كانت تعمل فى الرعى والانتاج الحيوانى كاللبن والزبدة ، وتخيط الملابس والخيام وأربطة الماشية

فراغ المرأة ظاهرة مرضية فى المجتمع

رب قائل إن قيوداً اجتماعية معينة قد حدت من نشاط المرأة الاقتصادى فى المجتمع النفطى ، وان ارتفاع مستويات المعيشة قد ساهم فى النظر الى عمل المرأة على انه نوع من الترف ووسيلة لشغل الفراغ ، مما ساعد على جلب عمالة خارجية ـ حتى فى بعض الأنشطة التقليدية للمرأة كالعمل المنزلى .. ولهذا تأثير سلبي اجتماعياً بالطبع على المدى البعيد .

ولابد من القول بصفة عامة إن الأعراف والتقاليد الاجتماعية لا تحول دون وجود سياسات تعليمية وتدريبية وإعلامية تسهم جميعاً فى جعل عمل المرأة أمراً مقبولا ، أو أنها تفسح المجال لقبوله فى المستقبل بصورة تدريجية واذا تم توفير كافة التخصصات العلمية بالنسبة للدراسات الجامعية وكذلك توفير الدراسات العليا فى الداخل ، فعندها تكون الخطط التعليمية قد حققت أغراضها على أكمل وجه ، واستطاعت أن تلبى المتطلبات الاقتصادية فى البلاد خاصة وأن نسبة الاناث إلى العدد الكلى للسكان تكاد تمثل النصف . وليس هناك بالطبع من يريد الجمود للنشاط الاقتصادى للمرأة ، أو صبه فى قطاع واحد وحيد . إن الاعتماد على كلية التربية فى تخريج قوة عاملة نسائية يبدو حكيماً من حيث انه يحقق الهدف الأول للسياسة التعليمية وهو الاكتفاء الذاتى من المدرسات المحليات لكن إذا اقترن تدعيم هذا الهدف وتعزيزه بخطة اقتصادية متكاملة تتحقق بموجبها التنمية فى جميع القطاعات الاقتصادية لأصبح تحقيق التوازن فى توزيع القوى العاملة على هذه القطاعات أمراً مكفولا ، خاصة وأن النفط ليس أبدياً . وكلما كان توسيع القاعدة الانتاجية فى فترة أقصر كلما كان ذلك أفضل وأجدى نفعاً لمستقبل بلادنا ، واضعين نصب أعيننا بالطبع نزوح العمالة الوافدة عن البلاد فى يوم من الأيام ، قرب هذا اليوم أم بعد .

ومن ناحية أخرى فان نسبة مساهمة المدرسات المحليات فى المدارس الابتدائية مثلا قد زادت من ١٥٪ عام ٧٠ ـ ٧١م الى ٣٦ر١٪ فى عام ٧٣ ـ ٧٤م . وهى نسبة تزيد على الضعف . وهذا يبشر بأن هدف الاكتفاء الذاتى من

المدرسات يمكن تحقيقه . وان كان الاعتماد على العمالة الوافدة يعنى صب المزيد من العمالة المحلية فى قطاع الخدمات كالتدريس مثلا ، فيفترض ان تكون الخطط التعليمية اكثر شمولا بحيث تحقق الاكتفاء الذاتى من المدرسات وفى نفس الوقت تلبى حاجات القطاعات الاقتصادية الأخرى .

كيف تكون المرأة النشطة اقتصادياً ؟

إن تلبية حاجة القطاعات الاقتصادية الأخرى تكون بتوفير الفرص الممكنة لدخول العمالة النسائية لهذه القطاعات وهذا يتطلب وجود مؤسسات تعمل على تدريب الفتاة فى المجال المهنى ، وأن يتعدى تدريبها فى إدارة التدريب والتأهيل الاجتماعى الخياطة والتطريز إلى الطباعة والاختزال والتصوير الفوتوغرافى ، واستعمال الكومبيوتر ، والأجهزة المتطورة . وأن تتاح لها الفرصة لخوض العديد من المجالات العلمية المختلفة . كما لابد من زيادة تشجيع المشاركة الاقتصادية للمرأة كافتتاح رياض للأطفال ، وبث توعية إعلامية مكثفة حول أهمية مشاركة المرأة فى تنمية المجتمع مما سيسهم فى إعطاء نظرة أرفع قيمة لعمل المرأة .

وانطلاقاً من هذا الهدف ، كان لنا اللقاء التالى مع عدد من المعيدات القطريات فى جامعة قطر . وجدير بالذكر ان عدد المعيدات فى كلية التربية يزيد على ثلاث وستين معيدة اختيرت ست منهن لاكمال دراساتهن العليا فى الخارج والمعيدات اللواتى التقينا بهن ، هن :

ظبية السليطى : «لغة عربية» .
أمينة كاظم : «علم اجتماع» .
هيا الدرهم : «لغة عربية» .
منى عبيدان : «لغة عربية» .
أمينة الجابر : «شريعة» .

تسهيل البعثات

● ما هى الفرص التى تتوفر للمعيد الشاب وتتمنين الحصول عليها ؟

ظبية السليطى : فرصة التعليم العالى .. لقد حاولت أن اسافر لكن ظروفى لم تسمح . وحبذا لو يفتح مركز للدراسات العليا هنا . فبذلك ستتاح فرصة عظيمة لخريجات الدفعات الأولى اللواتى شهد الجميع بكفاءتهن لمواصلة دراستهن .

منى عبيدان: أرى ضرورة زيادة تسهيل البعثات ، وخاصة عندما يتوفر المحرم .

أمينة كاظم : إذا كانت هناك ضغوط أسرية أو عائلية قد وقفت حائلا دون ابتعاث الفتاة إلى الخارج للدراسة ، فهناك أيضاً نسبة لا بأس بها من الفتيات ليس لدى ذويهن مانع من سفرهن للخارج

ظبية السليطى: الحد من البعثات بالنسبة للدراسات الجامعية أمر يمكن تقبله نظراً لتوفر الدراسة الجامعية فى بلادنا . وما يقال عن الضغط الاجتماعى وتأثيره على الفتاة نفسياً ، وخصوصاً عندما تواجه مجتمعات أخرى ، قد يصدق الى حد ما على صغيرات السن ولكن هناك بالمقابل حالات كثيرة ، خاصة الدراسات العليا ، كانت فيها فتياتنا مثالا يحتذى – يساعدهن فى ذلك مستواهن الثقافى والسنى .

الحاجة إلى مخطط واضح

● يقال ان أقصى ما تقوم به المعيدة القطرية هو شرب الشاى والقهوة . ما تعليقك ؟!

منى عبيدان : تستطيعين أن تسألى الطالبات عن ذلك ربما كان هذا قبل ان يصدر قرار يلزم المعيدة بالتدريس هذا العام .

ظبية السليطى : أنا أعمل معيدة منذ أربع سنوات . لكن هذه هى السنة الاولى التى أتحرك فيها . لم يكن لنا عمل يذكر . والآن بعد أن عمم التدريس كبديل وهو بديل مؤقت وليس كافياً اذا لم تقم دراسات عليا . وبالرغم مما يقال عن انه ستقام دراسات تمهيدية كنواة للدراسات العليا إلا أن هذا سيأخذ زمناً حتى يتم تنفيذه .

أمينة كاظم : ان إعطاء محاضرة أو محاضرتين فى الأسبوع لا يعتبر كافياً لقد قضت زميلاتى أربع سنوات وهأنذا قد قضيت سنتين ولكنى غير راضية عن وضعى وتدعو الحاجة الى مخطط واضح تسير عليه .. لأن من شأن الطريقة الحالية ان تبعد المعيدات وتجعلهن يلجأن الى عمل آخر .

ظبية السليطي : ان مدرسة ابتدائى اكثر انتاجاً واكثر فاعلية منى ، حيث تعطى هى إحدى وعشرين حصة أسبوعياً فى حين أعطى أنا ثلاث محاضرات دون ان تكون هناك صورة واضحة لما سأقوم به بعد ذلك .

تصور آخر

لقد طرحت الأخت ظبية تصوراً لمعالجة الوضع بفتح دراسات تمهيدية . هل لديكن أى تصور آخر؟

أمينة كاظم : نتمنى ان تفتح الدراسات العليا قريباً . وقد فكرت بعض المعيدات بالدراسة على حسابهن الخاص . ولكن لماذا والدولة توفر ذلك للجميع . على الأقل يفتح المجال لاقامة دراسات بالانتساب .

المعيدة س : لكن هناك دراسات لا تتناسب والانتساب كدراسة اللغة الانجليزية ودراسات العلوم التطبيقية .

خطط عمليـــة

● هل لديكن أى خطط عملية لمواجهة المشكلة ؟

منى عبيدان : ان تذهب المعيدة للتدريس فى المدارس على ان يكون لها الحق فى العودة كمعيدة عندما يتم افتتاح الدراسات العليا .

ظبية السليطى : إن لجوء المعيدة لوزارة التربية يعنى وجود مشكلة عجزت الجامعة عن حلها . وهذا مالا تقبله الجامعة . واتوقع أن يرفض مثل هذا الطلب .

امينة كاظم : لقد تقدم بعض الأساتذة بطرح بعض المواد الدراسية للمعيدات والتى يمكن أن تحسب لهن فى جامعات أخرى كجزء من الدراسات العليا . والغريب أن تتراجع تلك الجامعات عن ذلك . لذا يجب أن يكون هناك اتفاق بين جامعة قطر والجامعات الأخرى على احتساب هذه المواد .

منى عبيدان : بالرغم من وجود اتفاق سابق بين جامعة قطر وجامعة القاهرة

لم تحسب لنا مواد كثيرة كمادة اللغة الفارسية عندما ذهبنا للقاهرة . هناك وسيلة أخرى يمكن ان تقوم بها كل معيدة وأعنى الاجتهاد الشخصى ، وهو أن تقوم المعيدة بعمل أبحاث خاصة ثم تنشرها .

هيا الدرهم : اقترح رفع مذكرة لمجلس الجامعة وللمسؤولين توضح الصورة .

مريم الدرويش «سكرتيرة» : اعتقد ان المقابلة الشخصية أفضل كثيراً لأنها تعطى فرصة للمناقشة .

أمينة الجابر : لقد عرض موضوع إقامة دراسات عليا فى كلية الشريعة على سمو ولى العهد ، وقد أبدى موافقته فكل الشروط متوفرة فى هذه الكلية لاقامة الدراسات : الطالبات : والهيئة التدريسية والكتب ، إلا ان إدارة الجامعة لم تقدم بعد على تنفيذ المشروع بحجة بدء الدراسة فى كلية دون أخرى ، وإن كلية الشريعة ممثلة بصوت واحد فى مجلس إدارة الجامعة .

المرأة .. والفراغ

● هناك موضوع الفراغ الذى تشكو منه المرأة فى مجتمعنا ، فكيف يمكن معالجته ؟

أمينة كاظم : هذا واقع فعلا . لقد جذبت حركة محو الأمية عدداً كبيراً من النساء وساهمت فى شغل الفراغ عند المرأة . الا ان المرأة المتعلمة تعانى أيضاً من فراغ . أعتقد لو أمكن ايجاد جمعيات نسائية .

أمينة الجابر : أعتقد أن الجمعيات هى وسيلة لاضاعة الوقت .

ظبية السليطى : هى ليست كذلك إن أحسن استغلالها . فهى قد تسهم فى علاج مشاكل المرأة أولا ، ومشاكل المجتمع ثانياً .

أمينة كاظم : العنصر القطرى موجود . المشكلة هى مسألة التنظيم وكيفية طرح برامج لتوعية المرأة القطرية وقد يكون مفيداً فى هذا الخصوص الاتصال بالاعلام .

سليم سعيد

رَدّ على "لولوة المسند"

هذا هو موقف جامعة قطر

● الجامعة تحرص على توفير العناصر المبشرة بمستقبل علمي .. وتهيئة المعيدات لمستقبل واعد

كان انشاء جامعة قطر سنة ١٩٧٣ م ممثلة فى نواتها كليتى التربية للمعلمين والمعلمات ، استجابة لمتطلبات تلك المرحلة الحضارية التى وصلت اليها قطر ثم نمت الجامعة وتشعبت وعظمت مسئولياتها ، فأصبحت تضم خمس كليات بمختلف فروعها هى :

التربية ، والانسانيات والعلوم الاجتماعية ، والشريعة والدراسات الاسلامية والعلوم ، والهندسة .

وتجرى الدراسات الواعية والمتانية لانشاء كليات تناسب احتياجات المجتمع الذى من أجله كان إنشاء الجامعة ، اضافة الى مراكز للبحوث فى مختلف ضروب المعرفة والتطبيق .

ولقد حرصت جامعة قطر منذ البداية على وضع تخطيط ثابت ومدروس بعناية فائقة لاعداد الهيئة التدريسية القطرية من الجنسين ، تتولى زمام المسئولية فى المستقبل القريب . فعين فيها الكثير من المعيدين والمعيدات وتم ابتعاث بعضهم الى الخارج للحصول على درجات الماجستير والدكتوراه والانضمام الى أعضاء الهيئة التدريسية .

ونظرة سريعة على احصائيات الجامعة فيما يتعلق بالدراسات العليا للقطريين ، ترينا انجازاً نقول بكل تواضع انه انجاز مميز اذا ما قسناه بعمر الجامعة الذى لم يتجاوز سبع سنين ، انجاز فاق عمرها ، وفاق حدودها فجعلها تتفاعل مع المجتمع القطرى الذى نمت فى وسطه تؤثر فيه وتتأثر به تأثيراً وتأثراً ايجابيين ومثمرين .

يبلغ اجمالى عدد المعيدين والمعيدات مائة وثمانية وعشرين : ثلاث وثمانون معيدة ، منهن عشرون فى بعثات دراسية فى الخارج . وخمسة وأربعون معيداً منهم ستة وثلاثون فى بعثات دراسية .

ويبلغ عدد الحاصلين والحاصلات على الدبلوم الخاص فى التربية خمسة وثلاثين : اثنتان وعشرون طالبة ، وثلاثة عشر طالباً .

ويبلغ عدد الطالبات (المعيدات) اللواتى يدرسن دراسات تمهيدية للدراسات العليا احدى عشرة طالبة .

وبمزيد من الاعتزاز تفخر جامعة قطر بانضمام خمسة من القطريين والقطريات الحاصلين والحاصلات على درجة الدكتوراه الى أعضاء الهيئة التدريسية.

وبانضمام عشرة من المعيدين والمعيدات الحاصلين والحاصلات على درجة الماجستير ، وما هى إلا بضع سنوات حتى تكتمل الهيئة التدريسية القطرية .

لعل هذه العجالة تقودنا الى موضوع المعيدات على وجه التحديد فهن موضوع المقال أو كما يقال «بيت القصيد» حينما تعلن الجامعة عن حاجتها

لمعيدات تشترط مستويات محددة وتقديرات معينة لشغل هذه الوظائف توخياً لتوفير العناصر المبشرة بمستقبل علمى عظيم لكى تكون الهيئة التدريسية القطرية المامول اكتمالها مبنية على أثبت الأسس ، وأكثر العناصر اشعاعاً للعلم والتعلم .

فالمعيدة بادىء ذى بدء يفترض فيها أن تهيأ للمستقبل الواعد ، والجامعة تتخذ فى سبيل ذلك عدة وسائل :

● بعض المعيدات يحملن بكالوريوس التربية ، وقد يقتضى ذلك من بعض المعيدات القيام بدراسات تكميلية تستغرق فصلين أو أكثر لكى تحصل على البكالوريوس من كلية أخرى فى المادة التى تريد التخصص بها فى الدراسات العليا إضافة الى ما تحمله "بكالوريوس" فتطرح الجامعة المقررات التكميلية المطلوبة .

● هناك مقررات تمهيدية للدراسات العليا ستطرحها بعض الأقسام فى الفصل الدراسى القادم ، ويمكن حذف هذه المقررات من مقررات الدراسات العليا بالجامعة متى ابتدأت باذن الله .

● يستعان بالمعيدات فى التدريس فى أجزاء من المقررات باشراف الاستاذ ولا ينظر فى هذا المجال الى عدد الدروس التى تعطى ، بل الى نوعية الدرس ومستوى الطالبات المتلقيات ، والتدريس هنا يراد به توجيه المعيدة ، كيف تستخرج موضوع محاضرتها من أمهات الكتب وكيف تتمكن من توصيل المعلومة الى المتلقيات باسلوب مقنع ، وكيف تنمى ثقتها بنفسها كى تكسب ثقة الطالبات بها .

ويستعان بهن كذلك فى تحمل المسئوليات الأكاديمية والادارية الملقاة على عاتق المسئولين بالأقسام ، والمراقبات ، ومراجعة بحوث الطالبات والقيام بدراسات وتدريبات ميدانية تقوم بها الجامعة لجمع البيانات والاستفتاءات .

● بالنسبة لمعيدات كلية التربية فالطريق أمامهن واضح ويمكنهن الحصول على الدبلوم العام والدبلوم الخاص الذى يؤهلهن للتسجيل لدرجة الماجستير ، وقد حصل بعضهن على تلك الدرجة وبامتياز .

● يقوم الأساتذة المشرفون بتوجيه المعيدات الى قراءات تخصصية تحت اشرافهم المراد منها صقل المعيدة ، والأخذ بيدها لدراسة بعض المراجع العربية والأجنبية ، ومن ثم مناقشتها وتحليلها ، وصولا الى تصور معين أو توجيه معين يمكن المعيدة من اختيار الموضوع الذى ستجعل منه مجالا لدراستها العليا .

وحرصاً من الجامعة على توثيق الصلة بينها وبين خريجيها وخريجاتها ، وملء الفراغ الذى قد ينجم عن استرخاء الطالب أو الطالبة بعد التخرج ، وارتكانهما الى الوظيفة والقراءات العامة . لذلك كله افتتحت الجامعة مكتباً للخريجين وأخر للخريجات ، ومن أولى واجبات العاملين بهما الاتصال المتواصل بالخريجين والخريجات وعقد لقاءات وندوات وتلقى مقترحات تساعد على بلورة أفكار محددة تنهض بالمجتمع الذى هم دعامته . ومن عجب أن الكفاءات التي تقوم على مكتب الخريجات تشتكى من عدم استجابة الخريجات والمثقفات القطريات بالمستوى المطلوب للدعوات التى يبعثها المكتب لاحياء الندوات والأمسيات الشعرية والمحاضرات العامة .

ثمة نقطة جديرة بالدراسة والتحليل ، وهى قضية البعثات الدراسية فى الخارج للمعيدات .

نحمد الله سبحانه الذى قيض لهذا البلد من الرجالات الواعية القادرة على التعامل مع العصر باسلوب يجمع بين الحداثة والمحافظة على العقيدة والتقاليد ومثل هذه الرجالات متوافر فى القيادة ، ومتوافر فى الآباء الذين لا يخضعون الحكم الشرعى للأمزجة فحين يرفضون ابتعاث بناتهم للدراسات خارج البلاد فهم يعملون بما تمليه عليهم العقيدة السمحة ، وما لم يتوفر المحرم الذى يتحمل عن الطالبة أعباء الذهاب والاياب والابتياع والتصديقات والمشاغل التى يصعب عليها اجتيازها بمفردها ، بدون ذلك المحرم أو من يؤمن لها ذلك ، فمن الصعب اخضاع مثل هذا المفهوم الواعى لرغبة واحد أو اثنين من الآباء لا يرون حرجاً من ابتعاث بناتهم .

ولتطويع هذا المفهوم المحافظ ليتماشى مع الغاية السامية فى التوجه للدراسات العليا ، فان الجامعة لا تبخل على المعيدات اللواتى يرغبن مرافقة أخوتهن أو أزواجهن المبتعثين فى دراسات عليا فى الخارج ، ومن بين المعيدات من فعلت هذا ورافقت محرمها للدراسات العليا فى الولايات المتحدة الامريكية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فقد شكلت الجامعة لجنة على مستوى عال تبحث موضوع انشاء دراسات عليا فى كليتى الشريعة والدراسات الاسلامية وكلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، وكلية التربية وكلية العلوم ولا يخفى على ذى بصيرة أن الدراسات العليا فى أية جامعة تحتاج الى دراسة واعية ومتانية وليس بالأمر السهل أن تطرح مقررات للدراسات العليا دونما اعداد ودونما دراسة لاحتياجات الدولة والمجتمع من مثل هذه الدراسات ، ودائما يكون التخطيط الشامل والمتطلع للمستقبل المشرق أبعد من طموحات فرد ، وأعمق من رغبة جامعة فى البدء بتلك الدراسات تبديها معيدة محقة أو حتى معيدات . وفى نفس الوقت فان مجالس الجامعة تبحث أطر التعاون بين جامعة قطر والجامعات الأخرى فيما يتصل بالدراسات العليا ، بحيث يمكن اعتماد الساعات المكتسبة المتقدمة التى تطرحها جامعة قطر بما يعادل السنة التمهيدية للماجستير .

وبناء على ذلك يمكن التسجيل فى تلك الجامعة للماجستير باشراف مزدوج أى باشراف استاذين أحدهما من جامعة قطر ، فاذا تمت الخطوة التى تدرسها الجامعة فان جانباً من الموقف يكون قد ذلل .

على أن الجامعة ترحب بآراء الجميع وتسعد إذ تسمع أصوات المعيدين والمعيدات تعبر عن الرغبات الصادقة والطموح الصادق ، ولكنها فى الوقت نفسه حريصة على ألا تخطو الخطوة إلا بعد الدراسة المتأنية إيماناً منها بأن التطور لا يعنى القفز وإنما السير بثبات نحو الأفضل ، وايماناً بأن العمل الجيد هو العمل الذى يولد جيداً ، حتى لا يصاب بنكسة ولا يعوقه عائق ، فتدرس ظروفه ، لتسايره جودته ويحقق غايته .

سليم سعيد
رئيس قسم العلاقات العامة بالجامعة

نهر الليطاني

لماذا يداعب مخططات إسرائيل؟

منذ دخول القوات السورية الي لبنان فى النصف الأول من عام ١٩٧٦ ، وبعد انتشار هذه القوات فيما بعد ضمن نطاق «قوات الردع العربية» فى معظم أنحاء لبنان ، حذرت «اسرائيل» من انها تعتبر مجرى نهر الليطانى والمناطق الواقعة الى الشمال منه ، «خطاً أحمر» ، لن تسمح للقوات السورية بتجاوزه نحو الجنوب .

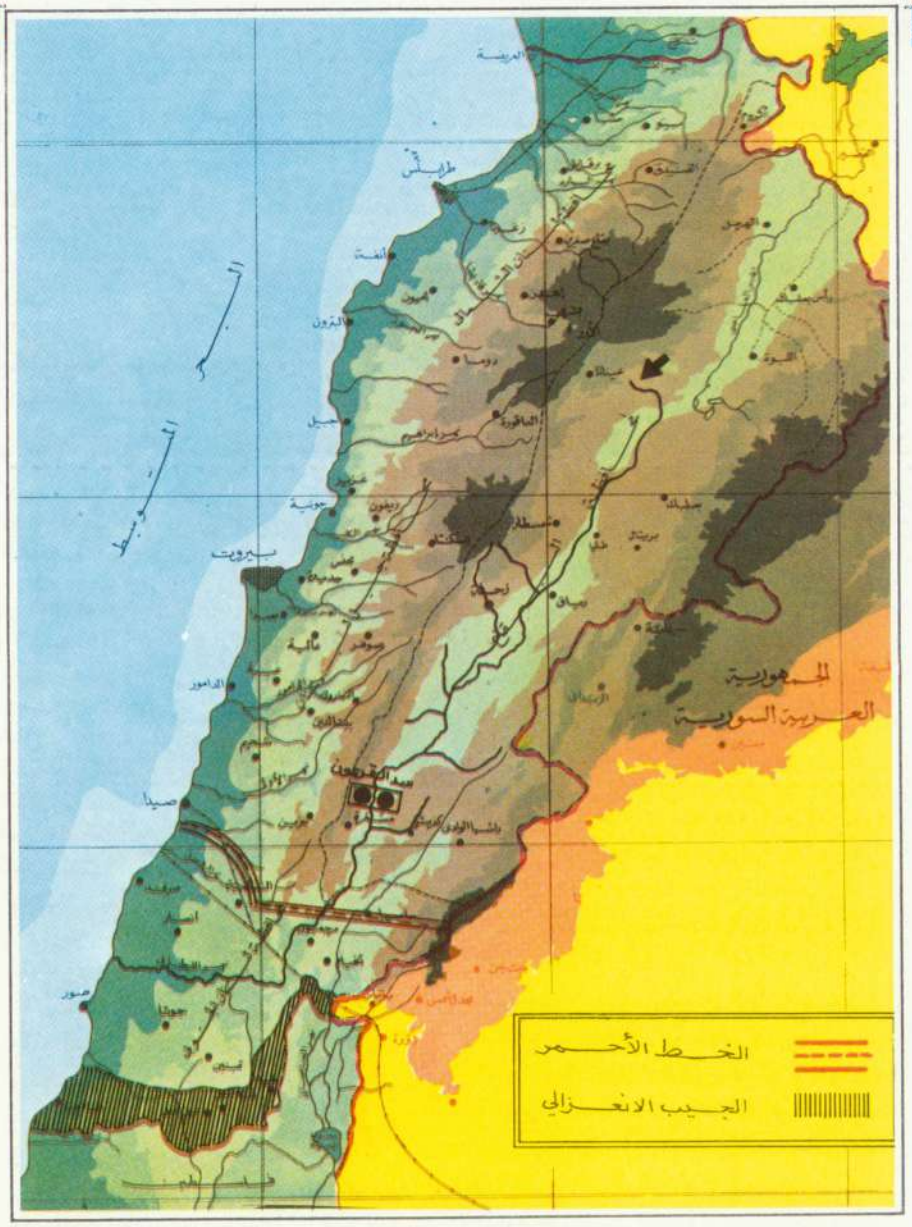
وخلال غزوها لجنوب لبنان فى آذار (مارس) ١٩٧٨ ، وصلت قوات العدو الصهيونى الى بعض قطاعات مجرى نهر الليطانى ، وفى غضون ذلك كانت أجهزة الاعلام الصهيونية والأبواق الاسرائيلية تردد دائماً ، بأن «خط الليطانى» هو «الخط الأحمر» بالنسبة لانتشار القوات السورية فى لبنان .

مطامع قديمة

وفى الواقع ، فان نهر الليطانى بالذات كان محط أنظار قادة الصهيونية الأوائل قبيل إنشاء الكيان الصهيونى فى عام ١٩٤٨ على أرض فلسطين المغتصبة ، اضافة الى نهر الاردن وروافده فى لبنان .

وفى الواقع فان العدوان الاسرائيلى المستمر على جنوب لبنان منذ حوالى عقد من الزمن ، كان – ومايزال – يرمي الى تحقيق ثلاثة أهداف هى :

- احتلال منطقة الجنوب اللبنانى ابتداء من جنوب مدينة صيدا الساحلية الى جبل الشيخ فى الداخل .
- تصفية قوات الثورة الفلسطينية فى المنطقة وحليفتها قوات الحركة الوطنية اللبنانية .
- إقامة دويلة طائفية «مارونية» ، «دويلة سعد حداد» لفترة مرحلية تخدم الأهداف الصهيونية الاستراتيجية بعيدة المدى .



خريطة مفصلة توضح نهر الليطانى

إن الحديث عن العدوان الصهيونى على جنوب لبنان ، ينبع فى الواقع من المطامع الصهيونية فى هذه المنطقة ، وهو فى أى حال ليس نتيجة مباشرة للتواجد الفلسطينى والوطنى اللبنانى المسلح هناك ، وأى حديث خارج اطار هذه المطامع ، لا يتماشى والحقائق التاريخية المسلم بها .. والوثائق على أية حال هى خير دليل وأفصح ناطق .

- بعد حصول قادة الصهيونية على «وعد بلفور» فى ٢ تشرين الثانى «نوفمبر» من عام ١٩١٧ ، تقدمت لجنة تضم شخصيات صهيونية بريطانية ، بمذكرة الى الحكومة البريطانية ، أصرت فيها على ضرورة اشتمال الحدود الشمالية لفلسطين على المناطق

● كان النهر محط أنظار قادة إسرائيل الأوائل قبل إنشاء الكيان الصهيوني

● الأهداف الثلاثة الكامنة وراء العدوان المستمر على جنوب لبنان

● عندما حدد "وايزمان" أهمية مياه نهر الليطاني للاقتصاد الإسرائيلي



إحدى قرى جنوب لبنان الواقعة على النهر .

اللبنانية الواقعة جنوب نهر الليطانى وسفوح جبل الشيخ الغربية .

● وفى المذكرة الرسمية التى قدمتها الحركة الصهيونية الى مؤتمر السلام الذى عقده زعماء الحلفاء فى الفترة الواقعة ما بين ١٩١٦ ـ ١٩١٧ ، أصرت الحركة الصهيونية على اشتمال الحدود الشمالية لفلسطين على منطقة جنوب لبنان ، وجبل الشيخ ، وتقول المذكرة بالنص : «إن حدود فلسطين سوف تتبع الخطوط العامة الموضوعة كما يلى :

تبدأ من الشمال عند نقطة على البحر الأبيض المتوسط بالقرب من مدينة صيدا وتتبع منابع المياه التى تتدفق من سفوح جبال لبنان ، حتى جسر القرعون ووادى «التيم» ، ثم باتجاه جنوبى يتبع الخط الفاصل بين المنحدرات الغربية والشرقية لجبل الشيخ ....»

● وفى ٦ كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩١٩ ، حددت الحركة الصهيونية رغبتها فى الاستيلاء على جنوب لبنان وجبل الشيخ بقولها :

«إن الحقيقة الأساسية فيما يتعلق بحدود فلسطين ، هى أنه لابد من إدخال المياه الضرورية للرى والقوى الكهربائية ضمن هذه الحدود ، وذلك يشمل مجرى نهر الليطانى ومنابع مياه نهر الأردن وثلوج جبل الشيخ .

● وفى ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٩ ، كتب «حاييم وايزمن» ـ أول رئيس للكيان الصهيونى ـ الى «ديفيد لويد جورج » ـ رئيس الحكومة البريطانية ، محدداً آراءه فى الحدود الشمالية «لفلسطين يهودية» ، قال فيها «بالنص» : «وضعت المنظمة الصهيونية منذ البدء ، الحد الأدنى من المطالب الأساسية لتحقيق «الوطن القومى اليهودى» ، ولا داعى الى القول ، إن الصهيونيين لن يقبلوا ، تحت أية ظروف «خط سايكس ـ بيكو» ، حتى كأساس للتفاوض ، فانه لا يقسم فلسطين «التاريخية» ، ويقطع منبع المياه الذى يزود نهرى الليطانى والأردن فحسب ، بل يفعل أيضاً أكثر من ذلك كثيراً ، فيحرم «الوطن القومى اليهودى» ، من بعض أجود حقول الاستيطان فى الجولان وفى حوران التى يعتمد عليها الى حد بعيد ، نجاح المشروع بأسره .» ويمضى «وايزمان» قائلاً فى تلك الرسالة : «إن مقتضيات الحياة الاقتصادية العصرية ، تتطلب بالحاح ما ندعيه من حقوق فى الشمال . إن مستقبل فلسطين الاقتصادى كله ، يعتمد على موارد مياهها للرى والقوة الكهربائية ، وإن موارد المياه تأتى بصورة رئيسية من منحدرات جبل حرمون ، ومن منابع نهرى الأردن والليطانى» .

وفى فقرة أخرى من تلك الرسالة قال وايزمان : «... لهذه الأسباب .. نرى من الضرورى أن يضم حد فلسطين الشمالى وادى نهر الليطانى الى مسافة ٢٥ ميلا فوق المنحنى ، ومنحدرات جبل حرمون الجنوبية ، لضمان السيطرة على منابع الأردن ، وإتاحة المجال أمام إعادة تحريج هذه المنطقة» .

نهر الليطاني
لماذا يداعب مخططات إسرائيل؟

● وقد أرسل أحد قادة الصهيونية فى بريطانيا ـ وهو السير هربرت صموئيل الذى عين فى عام ١٩١٨ أول مندوب سام على فلسطين بعد اعلان الانتداب البريطانى عليها ـ أرسل مذكرة الى أحد أعضاء الوفد البريطانى فى مؤتمر السلام بباريس ، شرح فيها الأهمية المستقبلية لفلسطين كوطن قومى لليهود وحدد عوامل نجاح هذا المستقبل بقوله : «إن نجاح مخطط مستقبل فلسطين بأسره ، يعتمد على مدى قدرة البلاد على استيعاب المهاجرين اليهود ، وهذا بدوره يعتمد على تطوير الصناعة والزراعة ، كما يعتمد ذلك على مدى توفر المياه والقوى المائية ، ومن هنا كانت الحدود الشمالية المقترحة ، كما وردت فى مذكرة الحركة الصهيونية حيوية للغاية » .

● فى وثيقة سرية أعدها دافيد بن غوريون فى عام ١٩٤١ بعنوان «خطوط هيكلية للسياسة الصهيونية» ، يقول بن غوريون : إن حدود «الدولة اليهودية» المزمع انشاؤها ، تشمل شرق الأردن ، لكنه نصح بعدم الاعلان عن ذلك لأغراض تكتيكية فى ذلك الوقت ، كما ذكر أن «أراضى النقب القاحلة ، وكذلك مياه نهرى الأردن والليطانى يجب أن تكون مشمولة داخل حدودنا» . وقد سرقت «الاستخبارات البريطانية ـ انتلجنس سرفيس» هذه الوثيقة من حقيبة بن غوريون إبان وجوده فى لندن آنذاك ، لكن السفارة البريطانية فى تل أبيب أعادت الوثيقة الى وزارة الخارجية الاسرائيلية بعد مرور ثلاثين عاماً على إخفائها .

● وفى خريف عام ١٩٤١ كشف رئيس الحكومة البريطانية آنذاك «ونستون تشرشل» أمام مجلس العموم عن «أن اليهود طالبوا الحكومة البريطانية رسمياً بأن تطلق أيديهم فى فلسطين كلها ، وأن يضم اليها جنوب لبنان الذى يجرى فيه نهر الليطانى ...» .

● وفى عام ١٩٥١ ، كشف أبا إيبان ـ وزير خارجية العدو الأسبق ـ فى معرض نفيه وجود نوايا توسعية اسرائيلية على حساب البلدان العربية المجاورة ، كشف عن المخططات والنوايا الاسرائيلية بقوله : «لسنا من المهتمين بالنيل والفرات ، ولكننا نولى نهر الأردن ومنابعه كل اهتمام» ... وهذا الكلام الواضح جداً يعنى بصريح العبارة ، أن اسرائيل تسعى الى الاستيلاء على أقضية حاصبيا وراشيا ومرجعيون وجزء من سهل البقاع الغربى فى لبنان .

مشروع جونستون

وفى الخمسينات (١٩٥٣ ـ ١٩٥٥) اشتدت المطامع الصهيونية فى المياه اللبنانية بصورة خاصة والعربية بصورة عامة ، وجاء الدعم الاميركى لكى يبرر هذه المطامع ويسبغ عليها صفة شرعية ما ، فطلعت الولايات المتحدة على العرب بمشروع يرمى الى اقتسام مياه نهر الليطانى وروافده بين اسرائيل ولبنان وسوريا والأردن ، وقد أطلق على ذلك المشروع اسم «مشروع جونستون» ، نسبة الى المهندس الأميركى جونستون . وكان المشروع يرمى فى الواقع الى ايجاد قاعدة اقتصادية ـ زراعية لاسرائيل عن طريق رى صحراء النقب بجنوب فلسطين المحتلة من أجل تحويلها الى منطقة زراعية قادرة على استيعاب خمسة ملايين يهودى ـ كما كان يحلم بذلك بن غوريون والذى كان يردد أن تنفيذ هذا المشروع سوف يرفع عدد «سكان اسرائيل» الى ثمانية ملايين يهودى على أقل تقدير ، وعندها سيستحيل على العرب تدمير اسرائيل .

لقد بدأ «إريك جونستون» ـ مبعوث الرئيس دوايت ايزنهاور ـ زياراته للمنطقة فى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٣ وعاد اليها ثلاث مرات بعد ذلك كان آخرها فى خريف عام ١٩٥٥ .

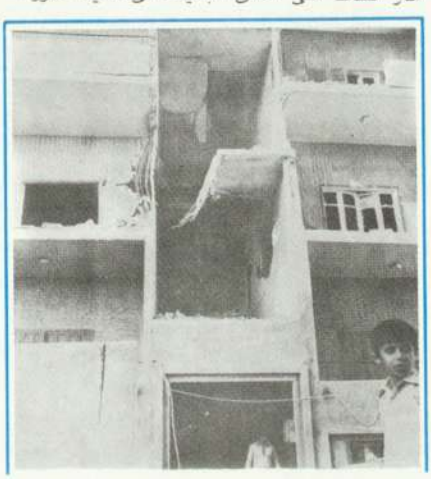
وقد نص المشروع «بايجاز» على التنفيذ ضمن خمسة مراحل تستغرق كل واحدة منها سنتين أو ثلاثاً ، وقدرت تكاليف المشروع آنذاك بنحو مائة وثلاثين مليون دولار ، ينفق منها نحو ثلاثين فى المائة على توليد الطاقة الكهربية وبناء محطاتها ، كما يقضى المشروع ببناء خزان على بعد نحو ١٣٠ كيلو متراً من قرية «إبل السقى» اللبنانية على أن توزع مياه الخزان ١٣٠ مليون متر مكعب فى العام ، خلال الشهور التى تمس الحاجة فيها الى المياه من أجل الرى ، وعلى أن تشق قناة تتفرع عن هذا الخزان الى منطقة تقع بالقرب من مستعمرة «تل حي» الصهيونية ، تنشأ عليها محطة لتوليد القوة الكهربية ، ثم تجرى المياه الى القناة الأساسية التى ستزود منطقة جبال الجليل بشمال فلسطين بالمياه اللازمة .

وقد نص المشروع كذلك على انشاء سدين . أحدهما على ملتقى نهر «دان» بالقناة الأساسية فى منطقة الجليل بشمال فلسطين المحتلة ، لتحويل مياه نهر «دان» و «تل القاضى» الى تلك القناة ، والثانى بالقرب من قرية «عين الحمراء» (بفلسطين المحتلة) ، لتحويل مياه نهر بانياس الى القناة الأساسية لرى منطقة جبال الجليل ، إضافة الى انشاء قناة أساسية بطول ١٢٠ كيلو متراً ، تحول اليها مياه نهرى بانياس ودان ومنابع تل القاضى ، وتسير المياه فى هذه القناة جنوباً حتى تصل الى غرب مدينة طبريا ثم تتفرع عن هذه القناة الأساسية أقنية فرعية يبلغ طولها ١١٠ كيلو مترات ، لرى منطقة الجليل ومرج ابن عامر (بفلسطين المحتلة) .

وقد تضمن «مشروع جونستون» كذلك انشاء قناتين من سد بحيرة طبريا ، الأولى لرى أراضى الغور الغربى من بحيرة طبريا حتى البحر الميت ، ويبلغ طول القناة نحو مائة كيلو متر (عدا عن الأقنية التى ستتفرع عنها) ، أما القناة الأخرى ، فالغرض منها هو نقل المياه من بحيرة طبريا الى الغور الشرقى فى أوقات الجفاف .

وقرب قرية العدسية (فى الأردن) تنشأ قناة تبدأ من سد نهر اليرموك ، وتستخدم فى توليد الكهرباء بواسطة محطة تقام قرب القرية المذكورة ، وتحول منها مياه النهر الى بحيرة طبريا ، كما يبنى سد ومحطة كهربية على مجرى نهر اليرموك قرب محطة «المقارن» فى الأردن

أثار القذف على احدى البنايات فى مدينة صور





الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على جنوب لبنان

● المطامع الإسرائيلية المعلنة بالنسبة لمياه نهر الليطاني

بغرض تنمية المياه فى خزان بحيرة طبريا .

وفى النهاية فشل المشروع ، لأن الحكومات العربية (السورية واللبنانية والأردنية والمصرية) شكلت لجنة فنية من الخبراء العرب لدراسة مشروع جونستون وإبداء رأيها فيه ، وبنتيجة الدراسة وضعت اللجنة تقريراً ضافياً عن المشروع بينت فيه اعتراضاتها عليه، وخلصت الى القول إن المشروع يخدم «اسرائيل» أكثر بكثير مما يخدم الدول العربية ، وإزاء انفضاح الأهداف الخبيثة وراء مشروع جونستون ، الذى ظهر واضحاً انه يستهدف سرقة مياه نهر الليطانى وروافده اضافة الى نهر اليرموك ـ أحد روافد نهر الأردن ـ فقد ارتفعت أصوات الاحتجاج العربية الشعبية والرسمية تندد بالمشروع وتطالب برفضة جملة وتفصيلا ، وكان الفلسطينيون فى طليعة المنددين والرافضين .

مطامع لا تتوقف

بعد فشل مشروع جونستون لسرقة مياه نهر الليطانى ، لم تتوقف المطامع الاسرائيلية المعلنة بالنسبة لهذا النهر ، ففى عام ١٩٥٤ ، نشرت حكومة العدو «مشروع قطن» ، ضمن مشاريعها المائية الرسمية ، وقد تضمن المشروع جر مياه نهر الليطانى ، الذى ينبع ويجرى ويصب فى الأراضى اللبنانية ، الى فلسطين المحتلة عبر قناة حفرت لهذا الغرض ، وهى تمتد من شمال فلسطين الى جنوبها فى صحراء النقب ، والغرض واضح هنا وهو ارواء النقب لتحويله الى أرض زراعية قادرة على استيعاب مزيد من المهاجرين اليهود .

● وفى مطلع عام ١٩٥٥ ، نشرت مجلة «ميدل إيسترن أفيرز» الأميركية الصهيونية ، مقالا جاء فيه : «وكان من الواضح للاسرائيليين أن أحلام تطوير صحراء النقب فى الجنوب لا يمكن أن تتحقق بدون مياه نهر الليطانى فى لبنان» .

● وفى ٧ تموز (يوليو) ١٩٦٧ ، أى فى أعقاب الحرب الثالثة ، صرح رئيس حكومة العدو آنذاك «ليفى أشكول» بما يلى : «لا يمكننا ونحن بأمس الحاجة الى المياه ، أن نرى مياه نهر الليطانى تذهب هدراً الى البحر ، وقد أصبحت القنوات جاهزة فى اسرائيل لاستقبال هذه المياه واستخدامها» .

أهم أنهار لبنان

لكن ما هو نهر الليطانى هذا الذى يحظى باهتمام «اسرائيل» البالغ ، ويسيل لعابها بهذا الشكل ؟

إن نهر الليطانى هو أهم أنهار لبنان فى الواقع ، ويبلغ طوله ١٧٠ كيلو متراً ، وهو يجرى بطيئاً فى أعلاه فيتراوح بين ٨٥٠ ـ ١٠٠٠ متر بين منبعه (نبع العليق) الى الشمال من مدينة بعلبك ، وبلدة «القرعون» حيث توجد بحيرة القرعون ، وهو يجرى بشكل متعرج فى سهل البقاع ، أما بين بلدة القرعون وبلدة مرجعيون ، فيسير فى خانق ضيق نعترضه الجنادل ، ثم يشق طريقه فى جبل عامل متجهاً نحو الغرب ، ليصب فى البحر الأبيض المتوسط الى الشمال من مدينة صور الساحلية ، ويطلق عليه هنا اسم نهر القاسمية . أما تصريفه للمياه فيتراوح ما بين ٦٣ و ٣٩ متراً مكعباً فى متوسط التصريف فى الثانية ، كما يقذف بنحو ٧٠٠ مليون متر مكعب فى البحر دون فائدة .

وفى عام ١٩٥٤ حزمت الحكومة اللبنانية أمرها ، بعدما تبين لها مدى المطامع الصهيونية فى مياه الليطانى ، وقررت استغلال مياه النهر لرى الأراضى اللبنانية واقامة مصانع ومعامل أجدها لتوليد الطاقة الكهربية . وقد شكلت على هذا الأساس «مصلحة الليطانى» التى استندت الى دراسة أجرتها بعثة أميركية ، ووجدت أن معدل تصريف النهر يقارب ٣٥٠ مليون متر مكعب ، فغيرت تصميم سد القرعون بحيث يستوعب ٢٢٠ مليون متر مكعب بدل ٦٠ مليوناً ، لكن خوفاً من تفجر السد بسبب تفجر الرمال والمياه المضغوطة فى «نفق مركبه ـ الأولي» ، أعيد تصميم السد على طريقة جديدة وانتهى العمل فيه فى عام ١٩٦٨ حيث أقيم على السد معمل كهرباء ومعمل جوت ، أما الرى ومشاريعه فقد تأخرت كثيراً عن هذا التاريخ ، وحتى الآن مايزال الجدل قائماً حول منسوب المياه المخصصة لرى منطقة الجنوب بين ٦٠٠ و ٨٠٠ متر مكعب من الماء . وكان مفترضاً أن يتم رى مساحة من الأرض تبلغ ٣٢ ألفاً و٧٧٠ هكتاراً ، كما أن مشروع استغلال مياه الليطانى يرمى الى تخزين ٢٢٠ مليون متر مكعب امام سد القرعون لصلابة صخور المجرى الغرانيتية ، كما أن المياه المقرر خزنها أمام «سد الخردلى» تقدر بـ ٧٠٠ مليون متر مكعب تستخدم لرى منطقة النبطية السفلى ، كما تستخدم فى توليد الكهرباء وبوشر كذلك فى مشروع لتجميع مياه عيون «عنجر» وتوزيعها ضمن قناة خاصة على أراضى منطقة البقاع الجنوبى تمتد من بلدة القرعون شمالا حتى بلدة «جب جنين» جنوباً ، أما الطاقة الكهربية المقدر توليدها من مشروعات الليطانى فتقدر بـ ٧٢٠,٧٠٠ مليون كيلو واط ساعة على مدار السنة .

نوايا واضحة

إن أهم سمات الحركة الصهيونية فعلا هو الوضوح . وأطماعها ونواياها المبيتة بالنسبة لنهر الليطانى أو غيره من الأنهار العربية واضحة وضوح الشمس ، والمسئولون الصهاينة لا يخفونها كما رأينا وكما سنرى فى كل يوم آت .

وإذا أضفنا الى حاجة «اسرائيل» للمياه من أجل تحقيق سياسة الاستيطان فى صحراء النقب ومنطقتى الجليل وغور الأردن ، اذا أضفنا الى ذلك كله تفاقم أزمة المياه فى الكيان الصهيونى خلال العقد الحالى ، لأدركنا أن العدو يتحين الظرف والمناسبة على الصعيدين العربى والدولى لتحقيق حلمه القديم فى السطو على المياه العربية ، ونهر الليطانى فى مقدمتها .

فهل نتنبه .. ونفعل ـ ونحن أحوج ما نكون الى مياهنا ـ قبل فوات الأوان ؟!

ع . ش



مرض الواحد في المائة

د. عبد المنعم عاشور

«الشيزوفرينيا» حالة من حالات اختلال السلوك الانسانى ، تصيب واحداً فى المائة من أفراد أى مجتمع بشرى ، وهى مرض عالمى يصيب الانسان بصرف النظر عن مستوى نموه الاقتصادى ، وعلى اختلاف عقائده الاجتماعية والسياسية ..

وكثيراً ما أطلقوا عليه عبارة «ضياع العقل المبكر الدائم» لأنه غالباً ما يبدأ فى سن الشباب ، وتطول ملازمته لصاحبه حتى تصبح واحدة من صفاته !

والشيزوفرينيا هى السبب فى وجود المؤسسة الرهيبة «مستشفى الأمراض العقلية» التى صممت فى الأصل كملجأ دائم ، ومازالت بؤرة الاهتمام الرئيسية فى مشروعات الصحة النفسية فى العالم كله .

والملاحظ أن هذا المرض الغريب يحول حياة واحد فى المائة من سكان العالم الى تراجيديا هائلة ، عناصرها الألم النفسى ، والضياع الفكرى ، والدمار الاقتصادى !

وترتفع هذه النسبة الى ثلاثة فى المائة من مجموع الشباب فى العالم ، مما يكسب المأساة بعداً خطيراً ..

وقد حفل الأدب العالمى بنماذج لأناس أصيبوا باختلال فى السلوك ، لعل أبرزهم «أوفيليا هاملت» ، فهى نموذج للشيزوفرينيا كما صورها شكسبير ، حيث كانت تعانى مرض الانفصام ، فتبدو هادئة وعاقلة وطبيعية أحياناً ، ثم تبدو مضطربة الأعصاب الى حد الجنون وإنكار الواقع والحياة فى إطار الخيال الكامل !

معاناة المرضى

والمعروف أن هذا المرض يمثل تحدياً خطيراً للطب النفسى ، حيث يقابل الأطباء فى كل يوم «أوفيليا جديدة» تعانى من ذلك الاضطراب الذى يسيطر على السلوك الانسانى ويحيل الحياة الى جحيم لا يطاق !

وعلى الرغم من تحسن أوضاع

المرضى بالشيزوفرينيا فى القرنين الأخيرين بشكل ملحوظ ، إلا أن هذا المرض يحتاج لما هو أكثر وأفضل ، خاصة بعد انتقال المرض من القيود الحديدية الى القيود الكيميائية ، فى الوقت الذى نطمح فيه الى تحريرهم من أى قيد يعوق ممارستهم للحيـــاة بصورة طبيعية ..

وعموماً فقد انتقلت اتجاهات الطب بكل ما يملك من امكانيات ، الى توجيه هؤلاء المرضى والأخذ بيدهم من مرحلة التشاؤم الشديد الى التفاؤل الحذر .. ومازلنا نطمح فى أمل حقيقى يعيد للمريض شخصيته السوية البعيدة عن المحاذير !

فالواقع أن نظرة المجتمع الى المصابين بالشيزوفرينيا تمثل وصمة لا تغتفر ، وما أحوجنا الى تلك النظرة العطوفة الحانية التى تساعد هؤلاء المرضى وتنتشلهم من قسوة الاحساس بالألم والضياع وفقدان الشخصية !

من هو المصاب ؟

واذا نظرنا الى العالم من حولنا ، لوجدنا أن الدول المتقدمة تجند نصف أسرة المستشفيات النفسية للمصابين بمرض الشيزوفرينيا أو «الفصاميون» ، وهذا العدد من الأسرة يمثل ربع كافة أسرة المستشفيات بشكل عام .. وهذا فى نفس الوقت الذى لا توجد فيه أسرة كافية فى البلاد النامية للفصاميين ..

● الاضطراب الذي يسيطر على السلوك الإنساني ويحيل الحياة إلى جحيم لايطاق !

نيفين وامز .. آخر ممثلة قامت بدور أوفيليا فى مسرحية هاملت



ـ مثل غيرهم من المرضى ـ فهم يأتون فى نهاية القائمة عند وضع الأولويات !

ولا تستكثر الدول المتقدمة نفقات البرامج الخاصة برعاية الفصاميين المتعددة والمتنوعة ، بينما تتجاهل الدول النامية الانفاق فى مجال الصحة النفسية لصالح التنمية فى هذا المجال وفى مجالات أخرى متعددة !

ونحن لا نسمى مريض الشيزوفرينيا بالمجنون أو المعتوه ، لأنها ألفاظ غير دقيقة ، وغير رحيمة ، بل نسميه «السيكوتيك» وهو لفظ لاتينى ، شاع استعماله فى العالم بين الأطباء ، وأيضاً بين العامة ، وأصبح يطلق على الشخص الذى خرج سلوكه بين الجماعة عن المألوف ، واعترف صراحة أو ضمناً بممارسة خبراته الحسية وغير المألوفة ، وأعلن أو أسر أفكاراً غير مألوفة ، وكشفت انفعالاته عن حالة وجدانية مطابقة لخبراته الحسية وأفكاره .

وبالطبع قد يتفق الناس على ما يعتبر غير مألوف ، كما قد يكون الخروج عن المألوف لأسباب أخرى غير المرض النفسى ، وهنا تبدو حيرة ومسئولية الطبّ النفسى ، لأنه يشارك السيكوتيك فى هذه الصفات الشعراء والدجالون على المستوى الظاهرى ! رغم أنه ليس بالشاعر ولا بالدجال ، وإنما له ذات خاصة جداً !

اختلال الادراك

يختل الادراك فى السيكوتيك الانفصامى ، ويستجيب الوجدان لهذا الاختلال الادراكى ، وينم السلوك عن ذلك الوجدان المضطرب ..

فالادراك يختل بطرق مختلفة : فمثلا قد يصل الى الشعور الاحساسى العادى مكبراً عشرات المرات ، أو مصغراً مئات المرات ، أو مشوشاً بألف طريقة ، فوزن الشعر على فروة الرأس يصبح ثقيلا رهيباً ، واحتكاك الملابس بالجلد يصير شواظ نار ، وقد يتلاشى وزن الجسم ، وقد يعانى المريض من احساسات غريبة مبتكرة ، يصعب عليه تصديقها ، وحتى وصفها للآخرين ، ويتبع اختلال الادراك اضطراب الانتباه ، وضعف التركيز أو انعدامه .

والمؤكد أن الوجدان يستجيب لهذا الادراك المختل ، استجابة تبدأ من التعجب والدهشة ، مما يجرى فى

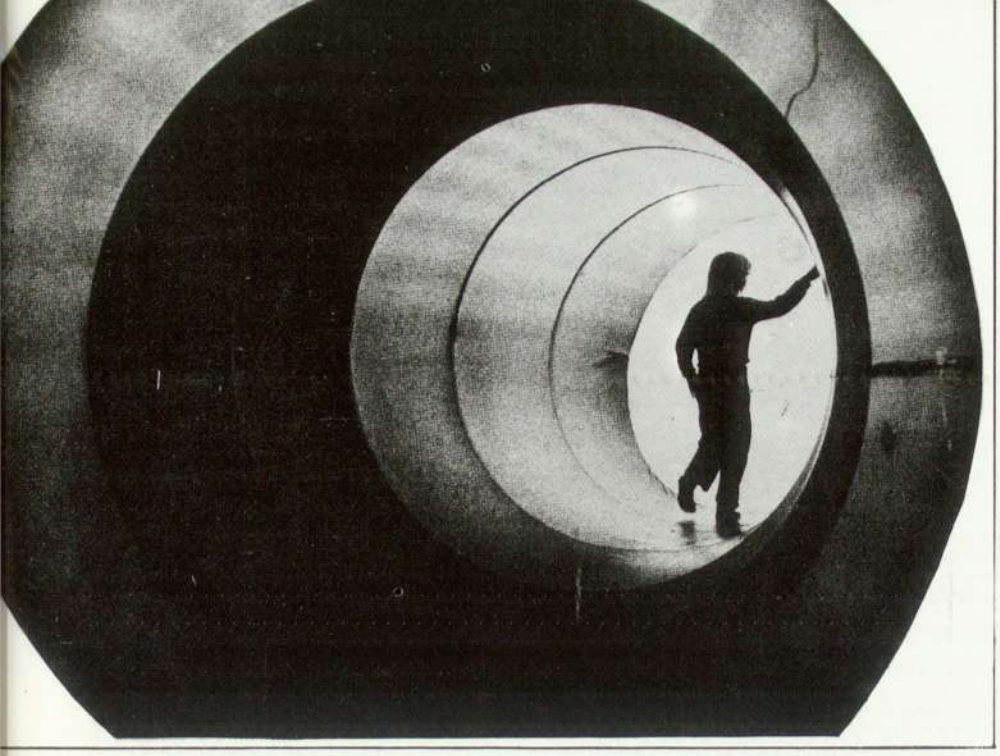


احساس المريض بذاته ، وبالعالم . ويتطور الى حالة من الذعر تحت وطأة غرابة ما يحس المريض أنه يحدث لذاته وللعالم ، وينتهى الوجدان الى التبلد بعدما يعجز عن فهم أو احتواء هذه الأحاسيس الغريبة ، والكيانات المشوهة الجديدة لذاته وللعالم .

وينم السلوك عن تلك الخبرات الحسية والادراكية والوجدانية الغريبة ولا يصعب على المشاهد الخارجى أن يستنتج أن وراء سلوك المريض الشاذ الظاهر يوجد اضطراب داخلى ، ويفصح سلوك المريض عن الوجدان الغالب فى لحظة ما ، فمثلا قد يصبح المريض مثالا صارخاً للذعر الكامل يصرخ ويهرب ويقاوم ، ولا ينام ولا يهدأ ، ويعجز عن وصف هول ما به ، وتحدث حالة الذعر والقلق الشديد هذه فى المراحل الأولى للمرض ، حيث يقاسى المريض الآلام النفسية لذاته ، التى تتمزق بين يديه وهو عاجز تماماً عن أن يفعل شيئاً !

الذهول العظيم

وقد يدخل المريض فيما يمكن تلخيصه بانه الذهول العظيم ، حيث تتخشب حركاته ، وتتجمد فرائصه ، ويبدو كمن صنع لنفسه قميصاً فولاذياً يخفي تحته ثورة نفسية .



مرض الواحد في المائة

● الطب بكل مايملك من إمكانيات .. يأخذ بيد المرضى لكي ينقلهم من مرحلة التشاؤم الشديد إلى التفاؤل الحذر

ومع تكرار نوبات المرض بما تسببه من نزيف لمقومات المريض النفسية والانسانية ، يمكن تلخيص سلوك المريض فى تعبير تقلص الوجود ، أو الوجود المحدود ، حيث لا يتبقى للمريض غير فائض قليل من الطاقة والارادة ، تكفيان بالكاد لممارسة ضروريات الوجود

وقد يصل وجود المريض فى المراحل المتقدمة الى ما نطلق عليه مجازاً بالرماد الذى هو كل ما تبقى من الوجود الانسانى بعد أن عاشت فيه نار الشيزوفرينيا .

نماذج انسانية

ومن الحالات الانسانية التى عاصرتها لضحايا هذا المرض «سعاد» التى جاءت يدفعها أبوها ، وهى تقدم خطوة وتؤخر أخرى ... زهرة فى السنة الأولى الثانوية ، خلعت ملامح الصبا المشرق ، ولبست قناعاً من الرعب ، عيون جاحظة ، وشعر أشعث ، وفاه فاغر ، وتلفت دائم حذر .. تهرب منى اذا اقتربت منها وتطلب منى أن أمنع عنها ما يصلها من روائح كريهة تصلها هى وحدها ، وأن أفسر لها مصدر الكهرباء التى تعانى من لسعاتها ، لم تعد تذهب الى المدرسة ، واحتمت بغرفتها منذ أسابيع ، ولم يفلح حنان أمها ، ولا حماية أبيها فى اعادة الطمأنينة الى قلبها ! .

هذه حالة من الشيزوفرينيا الحادة . وغيرها حالة «ابراهيم» الذى فاجأته الشيزوفرينيا أثناء خدمته العسكرية الالزامية ، وشاهدته وحيداً فى فراشه بالمستشفى ليلة أن نقلوه اليها ، لا ينبس ببنت شفة ، ولا تختلج ملامحه باية عاطفة ، جفونه مسبلة ، وجبينه يتفصد بالعرق ، قبضتاه مضمومتان على فراغ ، وقامته مشدودة على الفراش .. استجابته تتارجح بين طاعة عمياء لما يؤمر به ، وبين مقاومة حمقاء لأى محاولة تبذل للعناية به ، يلفظ الطعام من فمه اذا وضع بعد محاولات بين شفتيه ، ويستسلم تماماً ببساطة لخرطوم يدفع فى حلقه .. يفقد الحماس للحركة ساعات طويلة حتى ليقضى حاجته فى فراشه .

الاستسلام للموت

أما الاصابة بتقلص الوجود فقد رأيتها فى حالة السيدة «أم طلال» التى جاءت بها أمها بعد عدة أزمات شيزوفرينية على مدى عشر سنوات ، تقلص فيها وجود أم طلال فعجزت عن القيام بدورها كزوجة وأم ، وانسحبت من حياة زوجها وأولادها الأربعة الى حضن أمها وأبيها مرة أخرى ، فلم تعد قادرة على رعاية نفسها .. فأمها العجوز تمشطها ، وتقوم بغسل وجهها ، تنادى على أولادها ليل نهار ، ولكنها ترفض أن يوضعوا فى رعايتها ، تحكى قصة حياتها المؤلمة ، وعلى وجهها ابتسامة بلهاء ، ولا طموح لديها فى أى تغيير ، تنتظر الموت ، ولكنها لا تستعجله !

ومن أمثلة الوجود المتقلص لمرضى الشيزوفرينيا المزمنة أيضاً ، حالة اسماعيل ، ذلك الشاب الذى فقد ذاته تماماً ، وملأ فراغ ذاته الخاوية باعتقاد وهمى أنه منقذ للبشرية ، والى جوار خواء النفس تبلد وجدانه ، بحيث ذبح رفيق سكنه ، وصديق عمره ، بعد أن صلى عليه وكبر ، موقناً أنه يخلص البشرية من المسيح الدجال ، وسار والسكين يقطر دماً ، يعلن فعلته على الملأ ، وهو يغنى !

أين الرعاية العلمية ؟

قد يتولد لدى القارىء فى هذه المرحلة نوع من التساؤل عن الدور الذى يمكن أن يلعبه كمواطن إزاء تلك المأساة الانسانية .. هل يمكن أن يصاب بالشيزوفرينيا ؟ .. وكيف يعرف ذلك فى الوقت المناسب ؟ .. والى من يذهب بشكواه ؟ وكيف يكتشف مبادىء الشيزوفرينيا فيمن حوله ؟ .. وكيف يقلل من عذاب المريض ؟! ..

وفى مجتمعاتنا العربية يوجد مليون فصامى على الأقل ، منهم مائة ألف يحتاجون الى أسرة فى المستشفيات ، وتسعمائة ألف يحتاجون الى العلاج بالعيادات الخارجية والنوادى الخاصة والمؤسسات العلاجية والاجتماعية المتعددة .

ولكى نتوصل الى حصر هذا المليون ،

وتقديم المعونة الطبية اللازمة ، فاننا نحتاج الى ميزانية ضخمة ، ونحتاج الى تضافر الجهود التطوعية والحكومية المتعددة بصورة أشمل .

فلا يوجد عندنا حتى الآن اتحاد أو جمعية تقود الجهد التطوعى فى رعاية مرضى الفصام ، ولا يوجد لدينا العدد الكافى من الأطباء النفسيين وباقى المهن الأخرى التى تعمل فى هذا المجال .

ومازال معظم مرضى الفصام الحاد بلا أمل فى الرعاية العلمية العاجلة المناسبة ، ويعمل لهم بدلا منها الأحجبة ، ويطلق لهم دخان البخور ، ويعيش الدجالون على دمائهم !

مواجهة المشكلة

ومازال معظم الفصاميين المزمنين بلا هوية ، وبلا حقوق ، ويستخدمون «كمخلب للقط» فى الجرائم والانحرافات الاجتماعية ، ويعيشون كمتسولين ويطاردون كمتشردين ، تحبسهم أسرهم خشية العار !

وإننى أتصور الدور الحكومى فى مواجهة المشكلة ، مركزاً على إعطاء الأولوية المناسبة لمشاكل الصحة النفسية فى إطار الخدمات الصحية عموماً ، وما يتبع ذلك من توجيه الامكانيات المادية المعقولة من اقامة مؤسسات علاجية ووقائية وتأهيلية كافية .

وأتصور معه دوراً أهم ممثلا فى الجهد التطوعى فى مجال محاربة الشيزوفرينيا يقوم به التسعة والتسعون فى المائة من الشعب لصالح الواحد فى المائة ، فالمطلوب منا بحق :

- الاكتشاف المبكر للحالات والتوجيه السليم لها .
- الاشتراك فى تأهيل المرضى بعد شفائهم ومساعدتهم على العودة الى مجتمعاتهم .
- خلق وممارسة الاتجاه السليم نحو المشكلة وهو الاعتراف بها وتجريدها من الوصمة والامتناع ايجابياً عن التجاهل الدائم لها .

وهذا بالاضافة الى نصيحة أقدمها لكل انسان اذا ما شعر يوماً أنه يتغير من الداخل ، وأن تحولا يحدث له لا يفهم كنهه ، عندئذ يجب أن يسرع بعرض نفسه على الطبيب النفسى ، ولا يترك حالته الى أية تفسيرات ساذجة !

الدكتور عبد المنعم عاشور

رسالة غير عادية إلى عنترة العبسي

بقلم : معروف رفيق



أيها الشاعر المناضل ، العاشق الولهان ، الباحث عن الحرية تحت أسنة الحراب ، أبثك عبارات الاحترام والشكر والعرفان .. ذلك أنك بعد مرور القرون .. ظللت رمزاً للحرية ، وبيرقاً من بيارق المجد الوارف ، والتماعة فى سماوات الكرامة والعزة والانتصار .

أتذكر يوم قيل لك : يا عنترة .. كر وانت حر .. فماذا كان الجواب : ان عنترة لا يعرف الكر .. انه يحسن الحلاب والصر .. فكانت تلك العبارة الناضحة بالكبرياء .. المزوجة بالسخرية .. طريقك الى الحرية ، لأنك كررت وانتصرت .. وسجلت بانتصارك حروف الحرية فى قوم كانوا لا يعترفون إلا للقوى الشجاع ...

أهى شريعة الغاب ... يكتبها الأسد والعقاب .. ؟

هل حقاً ما قاله الشاعر المعاصر ؟

إن لم تكن ذئباً تهاب
فرتك انياب الذئاب

أكاد أسمعك تقول أجل .. وتصر أن قومك آنذاك .. هم هكذا متكرر فى كل قوم .. وفى كل آن وعهد ...

وماذا عن ابنة عمك عبلة ؟ .. لقد كان مهرها كبيراً وعظيماً .. لم نصدق أن النوق العصافير كانت طلبة عمك .. إنما كان ذلك معجزة تروى لا تقل عن اسطورة اقتطاف النجوم .. ومع ذلك .. أتت باكثر من ذلك .. أتت بالانتصارات تتوالى على أعداء قومك .. لأن دافعك الى تلك الانتصارات .. كان ضرباً من عشق الحرية .. وكان ذلك بحد ذاته ، ضرباً من عشق عبلة .. كانت هى رمز الحرية فى قلبك المشتعل بالثورة .. وعندما يبلغ الانسان الى درجة الهيام بالحرية ، يهون عنده كل شىء .. لأن حروفها تمتد فى كل طريق .. من هنا رأيت ابتسامة عبلة فى وطيس المعركة .. هى والسيف .. وكلاهما الهدف والوسيلة ، ألست أنت القائل ؟ :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

يا بن شداد .. يا فارساً جمع بين الفروسية وعفة الحب .. وبين الكبرياء وعبقرية الشعراء .. كانت الحرية حروف كلماتك ، وأبيات قصائدك ، قبل أن يتغنى بها (اليكس هيلى) ، مؤلف كتاب «الجذور» فى أمريكا .. ولقد رضعناها على مقاعد الدرس صغاراً .. وباتت فى دمائنا صبية وشباباً وشيباً ... فلتكن رسالتى اليك .. تعبيراً عما نكنه لك نحن الشباب .. من اعجاب ومحبة وتقدير .

كمال سعد

كلمات بالرسم

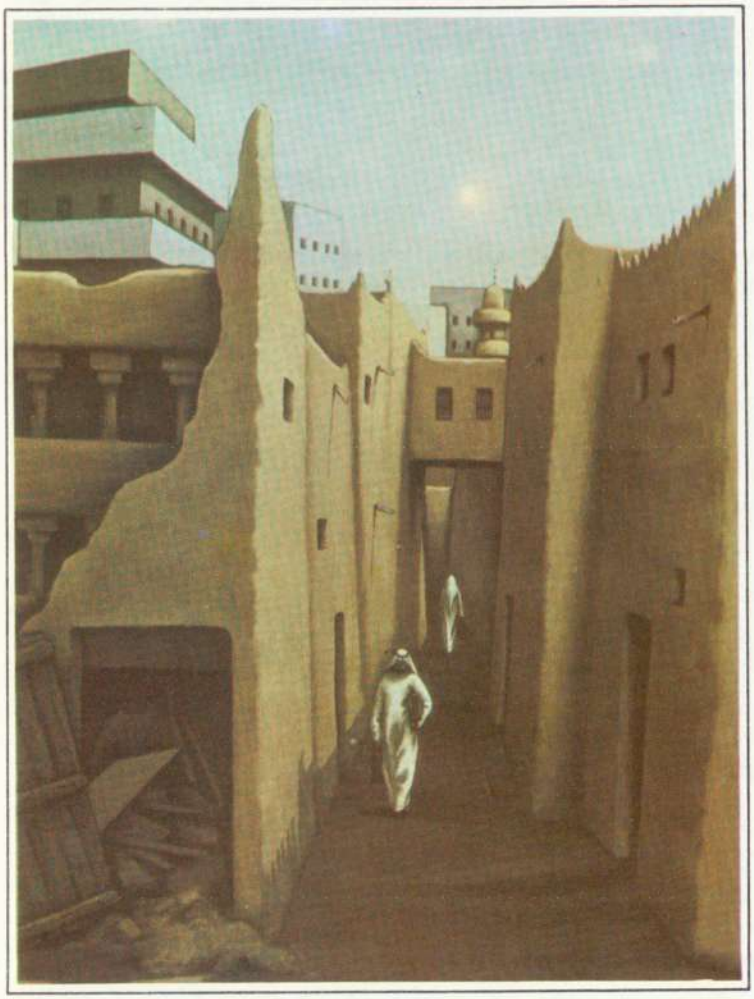
حتى لا يضيع سحر القديم وسط الحياة العصرية المتدفقة!



الفنانة السويسرية «مالين باسيل» عاشت فى مدينة الرياض وسجلت انطباعاتها عن سحر القديم .



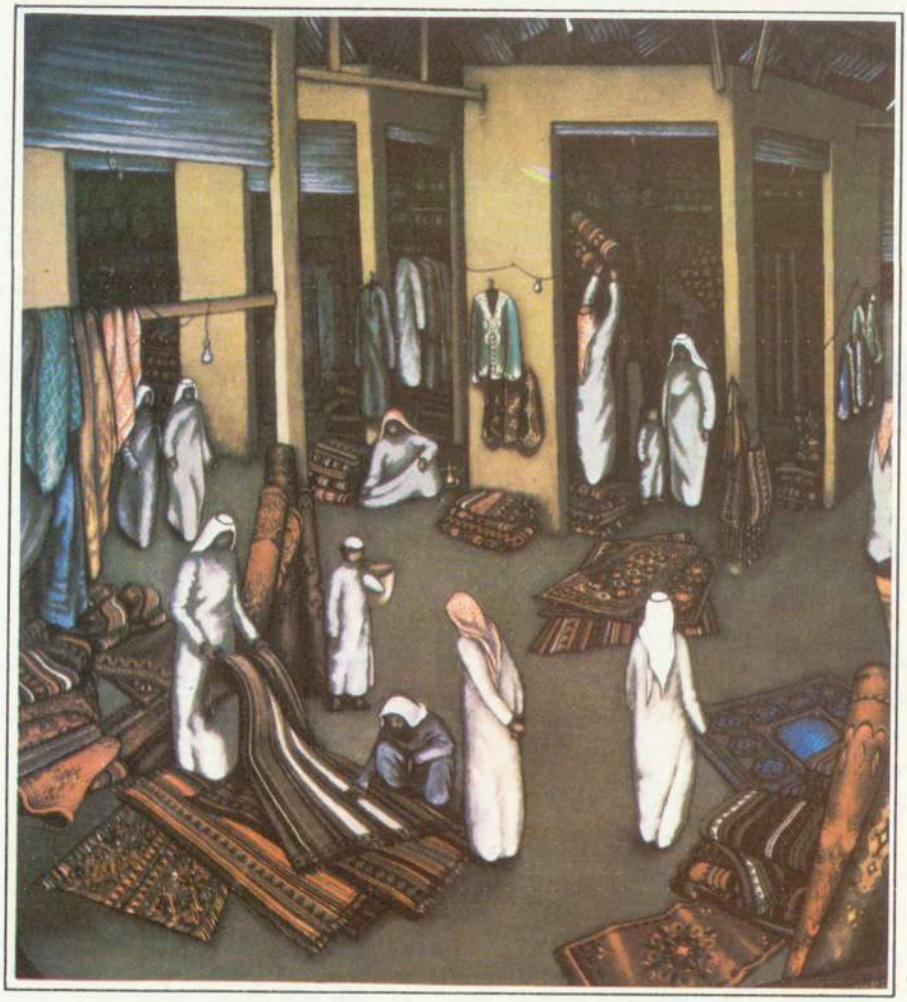
لوحة للمعروضات الرائعة التى وصلتنا عبر عصور طويلة .... هذه المعروضات كانت حلماً للكثيرين فى الماضى ومازالت .



القلب القديم يتآكل بسرعة كبيرة لتحل مكانه العمارات الشاهقة.. فلماذا لا نترك ولو مساحات بسيطة من هذا القلب لتراها الأجيال القادمة ؟



مدن الماضى ..... التى جعلت الفنانة تتمنى أن تقضى بقية حياتها فى تلك المناطق القديمة الساحرة .



السجاد النادر بألوانه الجميلة وزخارفه الرائعة .. عندما كان الصانع يشعر بمدى ارتباطه العميق بهذا الفن الجميل وكان يعطيه كل ما لديه من إحساس مرهف ومشاعر فياضة .

هى فنانة سويسرية وصلت الى المملكة العربية السعودية مع زوجها الأمريكى لتقيم أول معرض لها فى الرياض عام ١٩٧٢ ، ثم تقيم معرضها الثانى عن السعودية فى لندن عام ١٩٧٧ وأخيراً بدأت تشعر برغبة جارفة فى تسجيل التراث الذى أخذ يندثر ، منطلقة من هدف نبيل يؤكد أن التراث ملك الجميع ، وانه ثروة غالية لا نستطيع تعويضها فى أى يوم من الأيام ، فقد يستطيع الانسان أن يصنع صاروخاً أو طائرة .. أن يشترى تلفزيوناً أو آلة لغسل الأطباق .. ولكنه لن يتمكن – ولو وضع كل نقود الأرض فى طبق – أن يعيد مبنى قديماً بعد إزالته أو قلعة تاريخية بعد ضياعها !

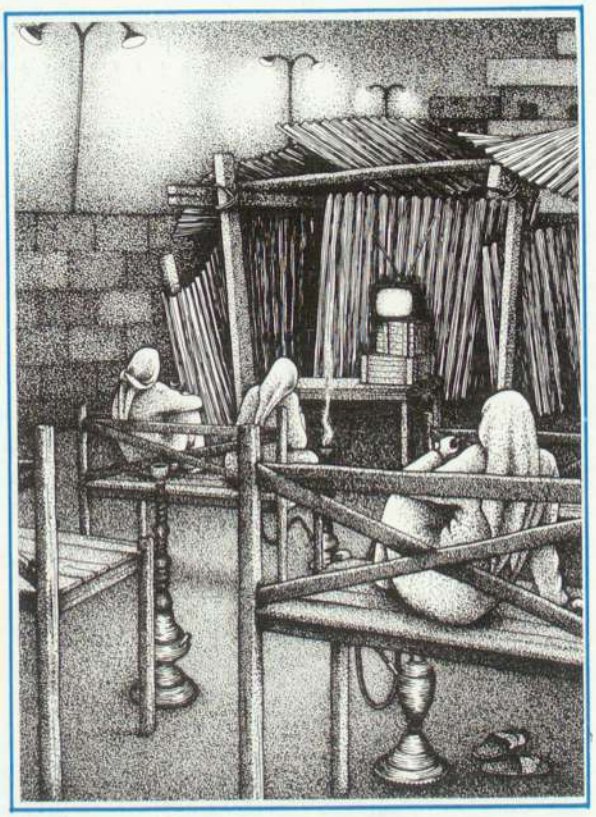
وعندما تسأل الفنانة السويسرية «هالين باسيل» عن المدرسة الفنية التى تنتمى اليها وعن طريقة معالجتها للموضوع الذى تختاره ، فانها تقول لك ان كل رسوماتها تتعامل مع الأشياء التى على وشك الاختفاء ، فهى تتمنى أن نستمع الى تحذيرها فى كل مكان فى العالم ، ذلك التحذير الذى تطالبنا فيه بأن نحافظ على القديم أثناء رحلة الانبهار بعدوى زحف المبانى الحديثة !

ولكن هل معنى ذلك أنها لا تتعامل مع الحياة الحديثة بكل ما فيها من تطورات ومبان مرتفعة ومطارات حديثة ومعامل لتكرير البترول ومدارس ومستشفيات ؟

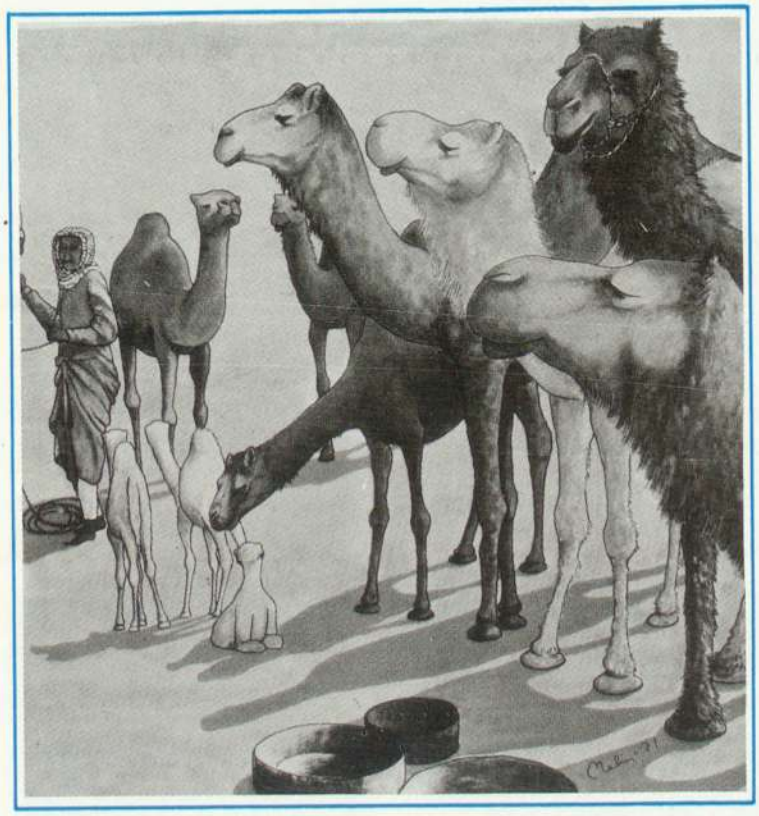
بالطبع ، سنجد أن هذا السؤال لا يثير فى ذهنها أكثر من انطباع عابر ، فقد حذفت من تفكيرها كل جديد ، بعد أن جذبها بقوة ذلك الانسان الذى مازال يسير على نفس تقاليد الأجداد ، ويستخدم نفس أساليبهم ، ويحفظ حكاياتهم الصادرة من قلب لم يعرف غير النقاء والحب والكرم والعطف وشجاعة الفرسان !

إنها تحب المدرجات الواهنة من كثرة الأقدام التى وطأتها أثناء الصعود .. وهى تذوب عشقاً فى ألوان الجدران الباهتة والمبانى الطينية التى تشرخت بمضى السنين وبلفحات الرياح وحرارة الشمس الحارقة !

كلمات بالرسم



المقهى الشعبى ، حيث المقاعد الخشبية العالية وزحف الحياة العصرية .. التليفزيون الملون والاضاءة الزاهية .



الجمال التى تتنقل لحمل المياه من الآبار البعيدة .. تعلمك الصبر وقوة التحمل .. واليوم يمكنك أن تراها داخل البيوت الحديثة ، ولكن على هيئة تماثيل خشبية !

● بعد عشرات السنوات .. هل نتذكر الأزقة العتيقة وجدران الطين ؟

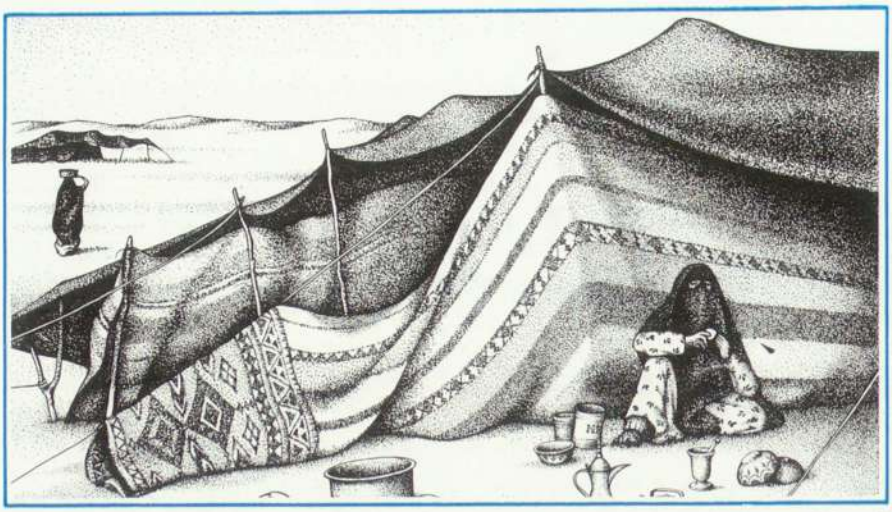
وكثيراً ما جذبها ذلك الوجه المليء بتجاعيد الزمن ، وخيام البدو ، وجمالهم، وأدواتهم .. إنها تشعر دائماً نحوهم بنفس الحنين الذى مازالت تشعر به نحو معطفها الذى صنعته لها والدتها عندما كانت فى الرابعة عشرة من عمرها .. إن هذا المعطف مازال حتى يومنا هذا ، أغلى قطعة ملابس فى حياتها ، بغض النظر عن كونه أصبح خارج كل المألوف عن الموضة وتطوراتها الحديثة !

وهى تقول أن حبها للقديم فى المملكة العربية السعودية يمثل حنيناً الى كل قديم فى وطنها .. كما أن ضميرها الاجتماعى يدفعها الى الحزن عندما تخطو خارج سور حديقتها فى مدينة الرياض وتنظر حولها ، لتجد فى كل مكان «بولدوزر» مشغولا بالعمل على اختفاء المبانى القديمة أو عمالا يقيمون عمارة حديثة شاهقة الارتفاع !

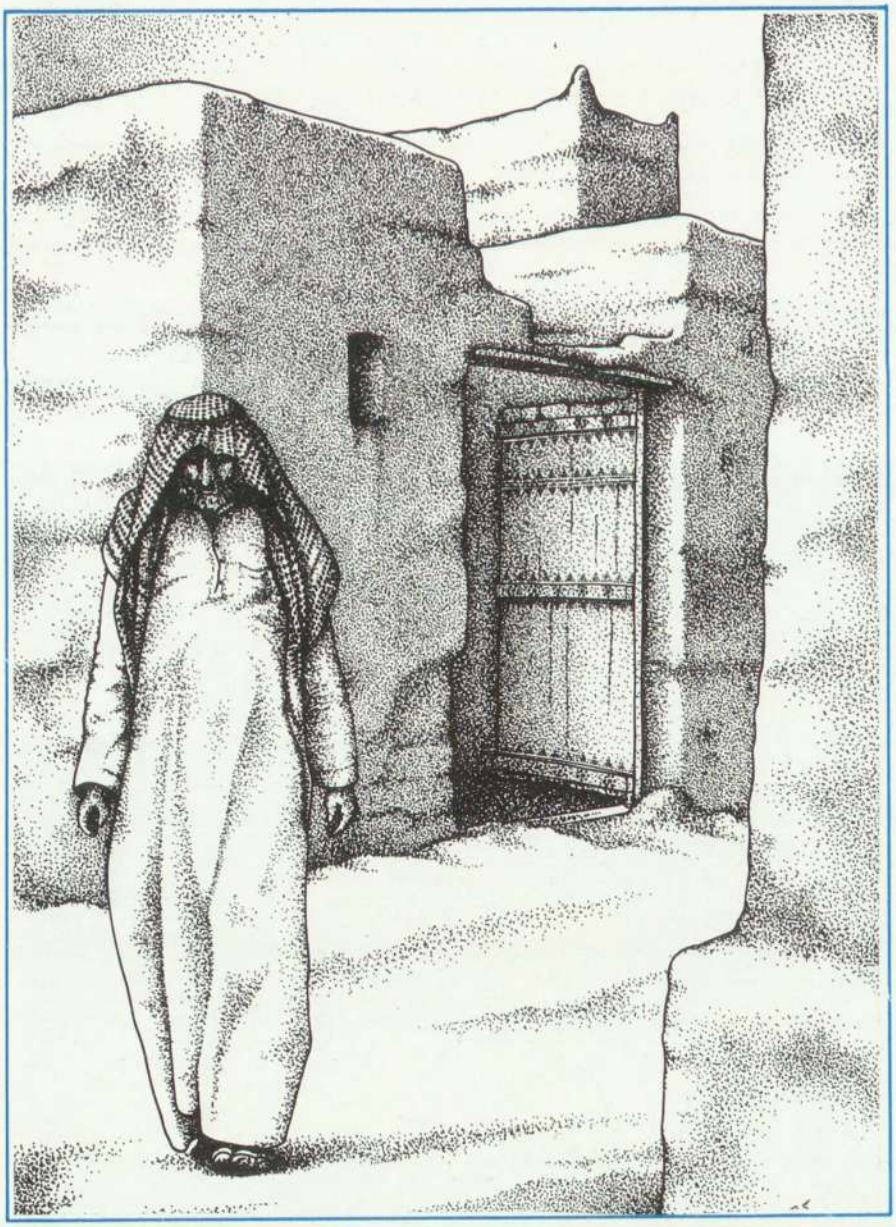
وهذا الحزن يجعلها تتساءل : لماذا نمحو دائماً تراثنا القديم ونحن نتطور ؟! .. لماذا نلقى بتقاليدنا الجميلة والممتعة من النافذة ونحن نساير حركة العصر ؟!

إنها ترى أن التغيير يتم اليوم فى مئات المساحات .. وبعد عشرات السنوات لن نتذكر شكل هذه المناطق القديمة .. لن نتذكر الأزقة الضيقة التى كانت لا تتسع إلا لدراجات الأطفال .. ولن نتذكر جدران الطين التى يميل لونها الى الاحمرار فى ضوء الشمس بعد الظهر .. ولن نرى مشهد السيدات المحجبات وهن يختفين خلف الأبواب المرسومة والمصنوعة من الخشب السميك .. وكذلك لن نرى الأسواق القديمة والخيام المصنوعه من شعر الجمال السوداء والبنية اللون ، والتى تعكس على الصحراء – فى سلام – ضوء أشعة الشمس عندما تسقط عليها أثناء انحدارها فى الأفق !

وهذه الأشياء التى ستختفى من الوجود لم نحصل فى مقابلها إلا على الاسفلت وكتل الاسمنت وفترينات المحلات المضيئة والممتلئة بأشياء نستطيع أن نعيش بدونها سعداء ، وهذا بالاضافة الى الشوارع العريضة الحديثة التى لو لعب فيها الأطفال فى حرية وبراءة لتعرضوا لحادثة نتيجة لمئات السيارات المسرعة !



الخيمة البدوية بما فيها من تراث شعبى واتقان فنى بالغ الروعة .. ولوحة أخرى لرجل عجوز فى الطريق الى رحلة وسط الحياة العصرية الحديثة .





ساقى القهوة العربية يقدمها للضيف الى أن يهز يده ، فيعرف وقتها أنه قد استكفى .

ويبدو أن الخيام البدوية والأبواب المرسومة ستكون فى المستقبل مجرد عروض فى المتاحف ، بينما الأسواق القديمة بطابعها الخاص ستصبح حدائق ، والصحراء بما فيها من نقاء وكون رحب ستزحف عليها المبانى الحديثة لتجعل منها مدناً كبيرة مثل تلك المدن الهامة التى نراها اليوم بكل ما تحمل من حياة عصرية متدفقة !

إن هذه الفنانة السويسرية ، أو الانسانة «مالين باسيل» وجدت نفسها بعد كل هذا الاحساس مندفعة الى رسم كل الأشياء القديمة التى لم تصلها يد الحداثة ، لعلها تترك شيئاً للمستقبل ، شيئاً يذكرنا بالتراث الغالى والتقاليد النافذة الى الأعماق !

كمال سعد

عالم غريب

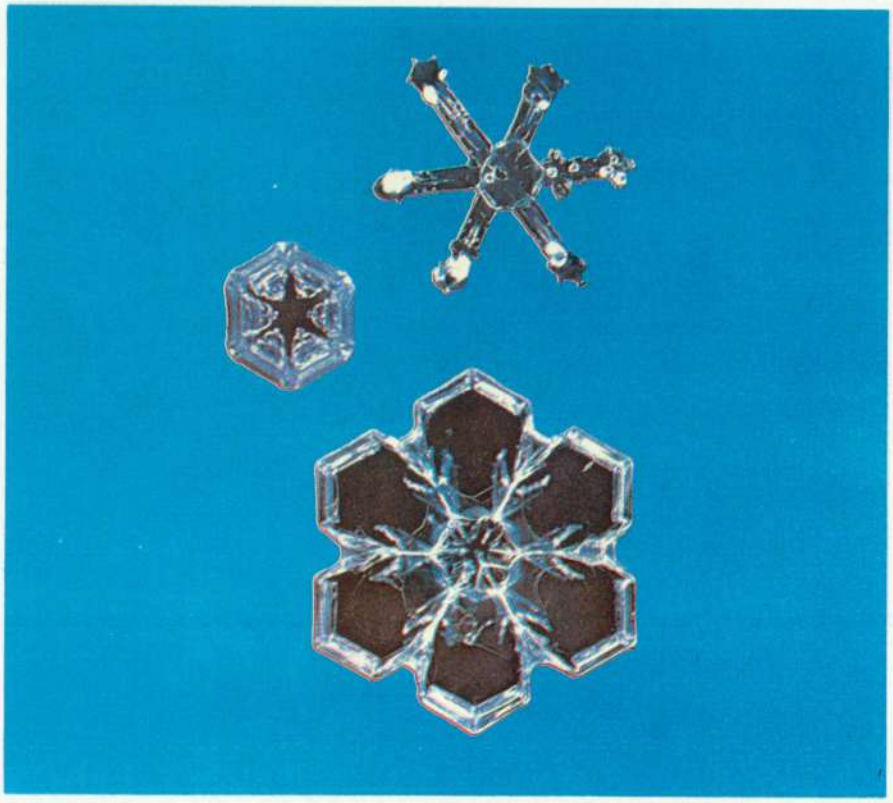
د. عبد المحسن صالح

حتى الزهرة .. تتقن الخدعة!



من أول نظرة ، قد تظنها نحلة ، حطت على زهرة ، لتتغذى على افرازاتها الحلوة .. لكنها ـ فى الحقيقة ـ خدعة قد تجوز علينا ، لكنها حتماً تجوز على النحلة .. والواقع أن ما تراه على الزهور ليس نحلا ، بل إن جزءاً من الزهرة قد تحور بدقة ، واتخذ شكل النحلة .. أو بالتحديد شكل أنثى من أنواع النحل ، وبهذه الفكرة الماكرة تجذب الزهرة اليها ذكور هذا النوع ، ولكى تصبح الفكرة أكثر فاعلية واتقاناً ، تطلق الزهرة رائحة تشبه الرائحة التى تطلقها اناث هذا النوع من النحل ، لتجذب بها ذكورها ، فتقوم بالتزاوج معها وتلقيحها ، ومن خلال هذا التقليد المتقن فى الشكل والحجم واللون والرائحة ، تنخدع الذكور ، وتنتقل من زهرة الى زهرة ، ظناً منها أنها قد عثرت على إناثها ، لكنها تكتشف الخدعة ، فتتكرر اللعبة ، لكن الفائز فيهاهو نبات «الأوركيد» الذى يضمن توزيع حبوب اللقاح من زهرة الى زهرة ، ليحدث التلقيح المختلط الذى تباركه السماء بفكرة مبتكرة .. وما أكثر الأفكار .. أفكار الحياة !

حتى الماء الزلال .. فيه تناسق وجمال!



الخطوط مستقيمة ، والزوايا متساوية والأضلاع متناسقة ، وكل شىء جاء بدقة متناهية .. ومع ذلك ظهرت هذه الأشكال الهندسية دون الاستعانة بمساطر أو براجل أو زوايا وما شابه ذلك ، لأن أحداً لم يقم برسمها ، بل هى رسمت نفسها بنفسها .. وطبيعى ألا يكون رسم بدون رسام ، لكن الرسام هنا جزيئات الماء .. إنها تستطيع أن تنظم نفسها فى آلاف الأشكال الهندسية ، وبحيث لا يتشابه شكل مع آخر ، وما تراه هنا ليس إلا نموذجاً من هذه الآلاف .. هل تستطيع بعد ذلك إن تعرف ما هى ؟

إنها بللورات من الثلج .. والثلج صورة من صور الماء ، والماء من جزيئات ، ولكل جزيء قطبان كهربيان .. سالب وموجب ، وعندئذ يتجاذب هذا مع ذاك ويرتبط به فى أشكال كلها اتقان وجمال ، وأى شذوذ هنا يرجع الى طريقة التحضير والحفظ التى تتم بوسائل كيميائية وفيزيائية خاصة ، صحيح أن البللورات تذوب وتختفى ، لكنها تترك طبعاتها المتقنة فى الوسط الذى عوملت فيه .. وهذه الصور مكبرة بالميكروسكوب .. والله جميل يحب الجمال !



كأنما ذيله .. فستان زفاف !

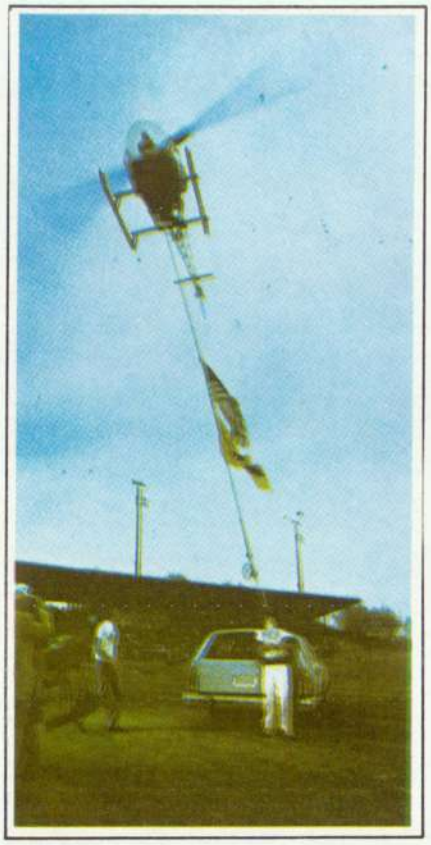
تتبارى عرائس البشر وتفتخر بطول ذيل «فستان الزفاف» ولكننا لا نعرف كيف نشأت هذه العادة ، ولا من أين جاءت .. ربما كانت الفكرة تقليداً لذيول بعض الطيور .. والصورة توضح ديكاً يابانياً رباه صاحبه ، وظل يرعاه من أجل ذيله ، وطبيعى أن ذلك يحتاج الى عناية خاصة ، كأن يربيه فى قفص ، أو يلف ذيله كلما استطال ، ثم إن ذلك يرجع أيضاً الى سلالة الديك ، ترى .. ما هو أطول ذيل لديك ؟

امسك الخشب ـ ٢٤ قدماً ـ أى حوالى سبعة أمتار وربع المتر !

إنسان يتغلب على "هيليكوبتر" بأسنانه

الصورة لا شك حقيقية ، وليس فيها خداع أو تدليس ، ففى يوم ٧ ابريل ١٩٧٩ استطاع جون ماسيس البلجيكى الأصل ـ وصاحب أقوى أسنان فى العالم ـ والذى يطلقون عليه اسم هرقل ـ استطاع أن يشد هذه الطائرة بأسنانه ويمنعها من الانطلاق . حدث ذلك فى لوس أنجلوس بأمريكا ، وتم تصويرها تليفزيونياً .. وقبل ذلك استطاع أيضاً فى عام ١٩٧٨ أن يحرك ثلاث عربات لقطار بشدها بأسنانه ، وكانت تزن ١٢٤,٧ طناً ، كما استطاع أن يرفع وزناً قدره ٢٣٣ كيلو جراماً من الأرض الى ارتفاع ١٥ سنتيمتراً !

حقاً ما أقوى بناء الانسان !



حلقات من الدخان

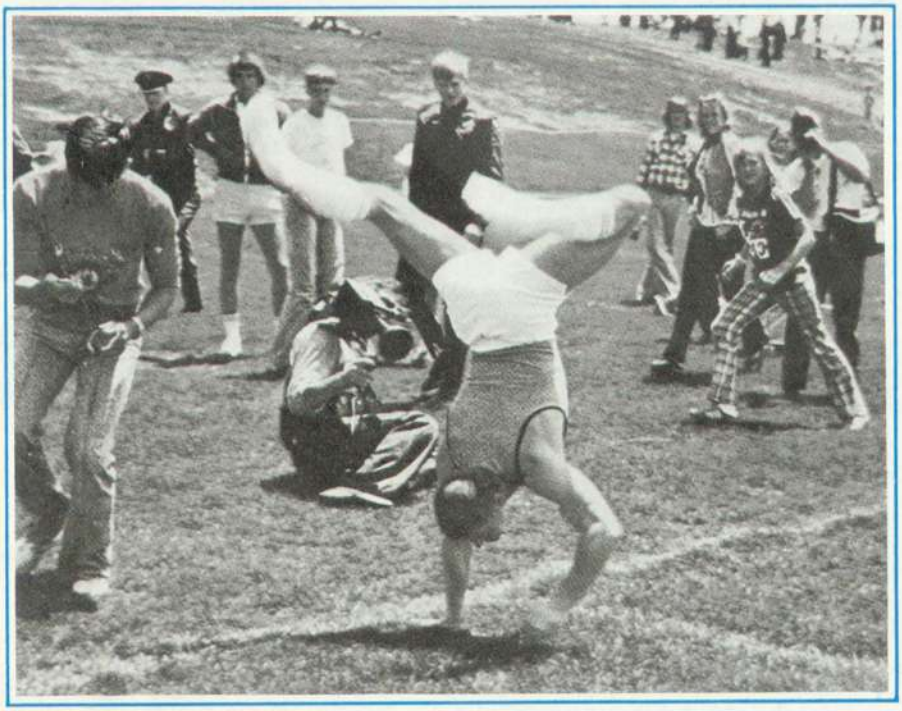


إنه عالم مجنون .. مجنون .. مجنون ! فلقد ابتكر من فنون المسابقات كل ما يطرأ وما لا يطرأ لنا على بال .. حتى ولو كان ذلك فى تحقيق رقم قياسى فى تدخين سيجارة ، أو اطلاق حلقات متتابعة من دخان .. فهذا الشاب اليابانى آتسوهيرو ناكاموزا استطاع أن يأخذ نفساً عميقاً من دخان سيجارة ، وزفره على هيئة حلقات من دخان ـ كما تراها فى الصورة ـ بلغ عددها ٤٤١ حلقة !

ترى .. هل من منافس ؟

جرب لتعرف !

جرى على الذراعين



أن يمشى الانسان مقلوباً على ذراعيه، فهذا شىء مقبول ، وطالما رأيناه فى حلقات السيرك ، أو على شاطىء البحر ، لكن هذا الشاب الأمريكى ـ توماس هنت الطالب بالكلية البحرية ـ استطاع أن ينطلق عدواً على ذراعيه ، فقطع مسافة ٤٥,٧ متراً فى ١٨,٧ ثانية ، أى بمعدل ١٤٦,٦ متراً فى الدقيقة ، أو حوالى سبعة كيلو مترات فى الساعة .. فحقق بذلك رقماً قياسياً عام ١٩٧٨ .

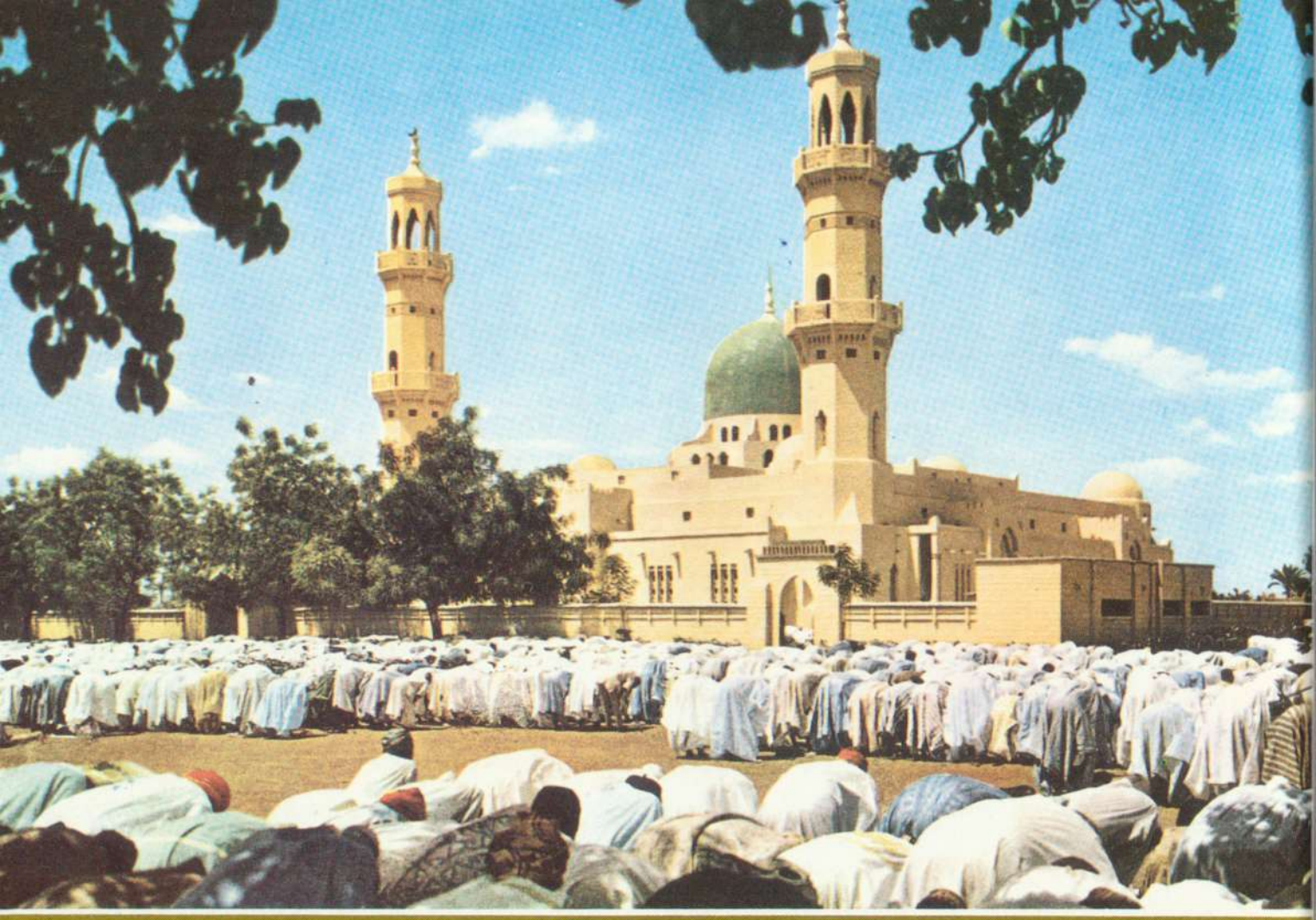
لكن المدعون جوهان هيرلنجر النمسوى استطاع أن يمشى على ذراعيه من فيينا حتى باريس ، فقطع مسافة ١٤٠٠ كيلو متر فى ٥٥ يوماً ، وبمعدل عشرة ساعات يومياً ، وكان متوسط سرعته فى الساعة ٢٥٤٠ متراً .. حدث ذلك فى عام ١٩٠٠ ، ولم تتكرر هذه المحاولة حتى الآن !

كم فى عالمنا من بدع .. خاصة عندما تتحول الفنون الى جنون !

حتى لنط الحبال مسابقات !

استطاع بريان كريستنسين من ايست ريدج بولاية تينسى الأمريكية أن ينط الحبل بمعدل ٢٩٠ مرة فى الدقيقة ـ أى حوالى خمس نطات فى الثانية ـ حدث ذلك فى ٣٠ مايو ١٩٧٨ .. لكن الغريب أيضاً أن اليابانى سوزوكى سايتاما ظل يقفز على الحبل طوال ستة ساعات و ١٢ دقيقة ، فحقق رقماً قياسياً بلغ ٥٨ ألف و ٨٦٩ نطة فى أول يناير ١٩٧٩ .





د. حسن عيسى عبد الظاهر

الفولاني

مسلمون لا نعرفهم في غرب إفريقيا!

انتصروا على التعصب وروح القبيلة وحققوا أعلى نماذج التكافل والعدالة

سوف يصادفك هذا الاسم فى الدراسات الافريقية ، وتسمعه من الناس فى مواطنهم – إن قدر لك – فى صور كثيرة مختلفة ومتقاربة حسب اللهجات واختلافها ، والكتاب وتباينهم .

أما هم فيطلقون على أنفسهم اسم : (الفلانى ، والفولانى ، وفوله ، والفوله ، وفلبى ، والفولبى) .

وأما جيرانهم – من زنوج ، وهوسا ، وبورنو ، ونيليين – فينطقون اسمهم بصور شتى تربو على المائة منها : (فلا ، وفلاتا ، والفلاته) ، وفى الكتابات الأوروبية – وبخاصة الفرنسية – ينطق ويكتب (الفولز) .

فمن هم هؤلاء ؟

إنهم شعب كبير يعيش منتشراً فى (غرب إفريقية) وله هناك دور تاريخى وحضارى وإسلامى هام قديماً وحديثاً .

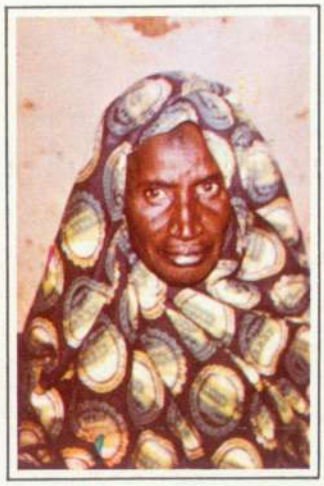
وسوف تلتقى بهم عبر أربعة عشر قرنا من شاطىء الأطلسى الشرقى – على حافة غرب إفريقية – وحتى حوض النيل عبر حوض السنغال ، وحوض النيجر ، وحوض تشاد ، وشواطىء البحر الأحمر الغربية تلقاهم على تجمعات مختلفة ما بين قبيلة متميزة ، وبطون متقاربة ، وجماعات شتى ، ودول متعددة ، وأفراد رعاة ومستقرين بدواً وحضراً ، علماء وحكاماً ، متميزين بسيماهم – شكلا ومضموناً – حتى اليوم ، سواء حلوا فى المدن ، أو انتشروا فى المراعى ، أو ترامت بهم شواطىء الصحراء الكبرى وحزام (السافانا) وحواف الغابات ، وشاطىء الأطلسى ، فهم كجماعات أكثر انتشاراً من (الهوسا) .

وتزداد أهميتهم فى إقليم (السافانا) المكشوفة حيث يمثلون ثلث السكان فى

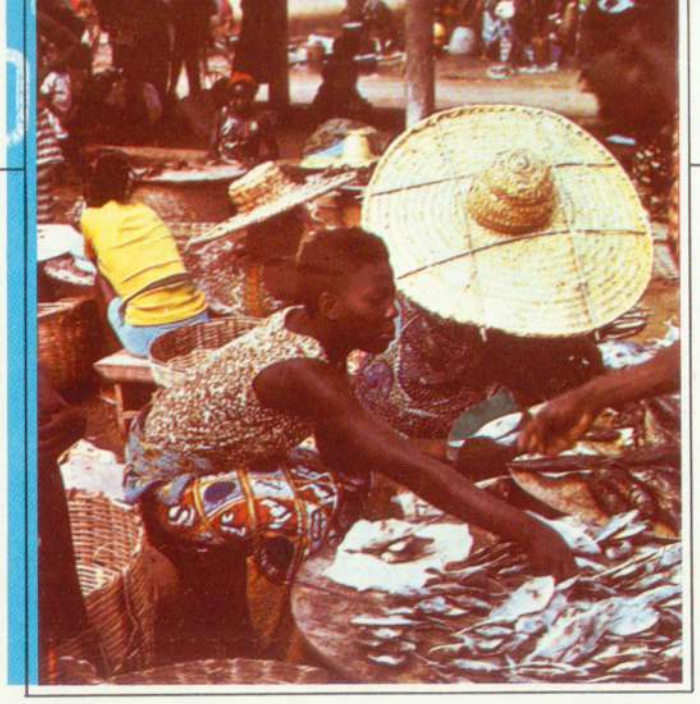
الفولاني



أزياء وطنية بألوان زاهية .



عجوز من «الفولانى» .



بائعة السمك .

هضبة (باوتشى) ، وأكثر من الخمس فى (أداماوا) و (كانو) و (زاريا) .

وقد ظلوا كذلك حتى أظلتهم راية (امبراطورية الفولانى الاسلامية) فى مطلع القرن الثانى عشر هـ ـ التاسع عشر م ، على يد أمير المؤمنين (الشيخ عثمان دان فوديو) الفولانى .

أصـــل الفولانى

وقد تعددت الآراء والنظريات فى محاولات لتحديد أصلهم ، ومعظمها حدسى أو استنتاجى ، كما تباينت المقاييس التى بنيت عليها هذه الآراء والنظريات .

فمنها ما كانت (اللغة) مرتكزاً لتحديد أصلهم .

ومنها ما استند على (اللون) أساساً لبناء نظريته .

ومنها ما اعتمد على الموطن .

وجماع هذه الآراء والنظريات ـ ما هو مكتوب منها ، وما هو متواتر وبخاصة على ألسنة الفولانى أنفسهم ـ يكاد ينحصر فى مجموعتين لكل منهما مستنده ودليله :

١ ـ فمجموعة تذهب إلى أنهم جنس مستقل له خصائصه ، لكن من هم هذا الجنس ؟ هل هم زنوج ؟ أم هم حاميون ؟

٢ ـ ومجموعة تذهب إلى أنهم شعب خليط من عدة أجناس حدث بينها امتزاج ومصاهرة أدت إلى تميزهم (الفولانى) كجنس له خصائص مجتمعه من كل عنصر داخل فى تكوينه .

ويرى (جوليان) أنهم نتاج اختلاط (الحاميين) الأثيوبيين بالعرب والسودان ، مستدلا بصفاتهم الجسمية ، وأن للرحل الرعاة منهم شكلا يبتعد كثيرا عن شكل الزنوج .

ويذهب (آلان بيرنز) إلى أنهم من أصل مصرى يشبهون صور المصريين القدماء المنقوشة على القبور من عهد الهكسوس ، وربما كانوا من الهكسوس الرعاة الذين اضطروا إلى الخروج من مصر ، وأنهم جاءوا من صعيد مصر مهاجرين غرباً عن طريق الصحراء وبلاد المغرب .

لكن ماذا عن رأيهم هم فى نسبهم وأصلهم ؟

المتتبع لهذه المسألة عندهم ـ مدونة فى كتبهم ، أو روايات متداولة على ألسنتهم ـ يلاحظ أنهم حين يتكلمون عن الهوسا أو غيرهم من سكان غرب إفريقية يعبرون عنهم بـ (السودانيين أو النوبيين) ، الأمر الذى يشير إلى أنهم ـ الفولانيين ـ ينتمون إلى مجموعة أخرى مختلفة وبخاصة من الشعوب البيضاء .

أهم المصـــادر

وكعادة الشعوب والقبائل الافريقية فى الانتساب ، فان الفولانيين ـ وهم ينتسبون ـ يحفظون فى ذلك روايات وتاريخا ـ بل وأساطير ـ حول أصولهم فى صور شتى ومتشابهة .

ولعل أهم مصدر عندهم لبيان ذلك هو ما كتبه اثنان من كبار علمائهم وأئمتهم وأمرائهم وهما : الوزير العالم الأستاذ الشيخ عبد الله بن فوزى الفولانى ، والأمير المجاهد محمد بل ـ ابن أخيه ـ وهما من أعلام القرن الثانى عشر هـ التاسع عشر م ـ فى عدة مواضع من تاليفهما مثل كتاب (تزيين الورقات) للأول ، و (إنفاق الميسور) للثانى ، وتابعهما بعد ذلك بعض علمائهم المحدثين المعاصرين مثل العالم الفا هاشم فى كتابه (تعريف العشائر والخلان) فى مخطوطته (ضبط الملتقطات

وهولاء ـ كنماذج ـ يبعدون النجعة ، ويعمقون أصول نسبهم ضاربين فى أغوار التاريخ حتى يصلوا نسبهم بأبى الأنبياء خليل الرحمن سيدنا (ابراهيم) عليه السلام عبر أحد أحفاده (الروم) الذى كان أصغر فسمى عقبه (بنو الأصفر) .

فلما جاء الفتح الاسلامى للشمال الافريقى امتد به الصحابى الجليل (عقبة بن نافع الفهرى القرشى) إلى المغرب ، ثم عطف ـ كما يقول السلاوى فى الاستقصاء ـ على ساحل المحيط الأطلسى ، وانتهى إلى بلاد (آسفى) ، وأجاز إلى بلاد (السوس) فى جنوب المغرب ، وهناك ـ كما يقول علماء الفولانى ـ التقى بجماعة منهم هم (التوردب) فأسلموا على يديه وتزوج ابنة ملكهم ، وأنجب منها أربعة أولاد إليهم ترجع كل القبائل الفولانى ، فهم إذا ـ بناء على هذا ـ عرب أباً ، وروم أماً ، وقد نظم الوزير الشيخ عبد الله بن فوزى هذا النسب فى أبيات من تزيين الورقات يقول فيها :

فتـــــوردب أخـــــوال الفولانيين
إخوة لعرب فمن روم بن عيص تفرعوا
و (عقبة) جـد للفولانيين من عرب



السوق الأفريقى .



فتيان القبيلة أمام كوخ من القش .

ومن (تور) كانت أمهم (بج مغ) ع ثم يقول : هذا ما تواتر عندنا ، وأخذناه عن الثقاة الذين يخرجون من بلاد (فوت) أعنى العلماء .

وهكذا يبدو إصرارهم على شرف انتساب (الفولانى) إلى (عقبة بن نافع) رضى الله عنه ويفخرون بأبوته لهم ، وبقدمهم فى الاسلام .

مواطن الاستقرار

تنتهى الروايات ـ غالباً ـ إلى أن أصول (الفولانى) أتوا من الشرق ، واستوطن أوائلهم جنوب المغرب فى حوض السنغال مستقرين وظاعنين فى اكثر من مكان وأن كثيراً منهم قد دخلوا الاسلام مبكرين بل وفى القرن الأول الهجرى بحكم صلتهم بالصحابى الفاتح (عقبة بن نافع) رضى الله عنه .

وكانت مناطق (فوت) وهى : (فاتور ، وفوتاجللو ، وفوتامللو) بمثابة مراكز لتجمعهم ، وعواصم لهم ، ومنها ينتشرون فيما حولهم ببطء ، وفى أعداد كثيرة مختلطين بشعوب المنطقة من (التكرار ، والولوف ، والسيرر ثم الهوسا واليوروبا) حاملين معهم دعوة الاسلام ، وناشرين لها ، ومجاهدين فى سبيلها بل ومقيمين دولا باسمها وتحت رايتها .

وفى عهد (امبراطورية مالى الاسلامية) ـ من القرن الثالث عشر م إلى القرن الخامس عشر م ـ انتشروا فى أرجائها ، وكانوا من أهم عناصر شعبها المعمر لأراضيها وبلادها .

ثم التقت بطونهم وفروعهم على أرض (الهوسا) مختلطين ومتميزين فى مطالع القرن السابع الهجرى الثالث عشر م ، ولم يزعج تسربهم هذا أحداً إذ كان هادئاً وسليماً ومجرد هجرات جماعية من تلك الهجرات التى عرفتها القارة وعهدتها .

وقد عاصروا فى بلاد الهوسا أحداث غزو (امبراطورته) ـ القرن الخامس عشر م ـ لها أيام (أسكيا الكبير) .

كما عاصروا قيام امبراطورية (كانتا) فى (كبى) ثم تدهورها .

ولم تخل ولاية هوسوية منهم ، بل وتزوج بعضهم من الهوسا ، وتكلموا لغتهم ، واشتغلوا بالتجارة ، والرعى ، والعلم ، والامارة ، وتركزوا فى مناطق معينة من أهمها (غوبر ، وكانو ، وبينوى) ، وفى الهضاب الشرقية المؤدية إلى (الكمرون) ، ينزع بعضهم إلى سكنى المدن والاختلاط ، وينزع البعض الآخر إلى عيشة البدو والرعى حتى إذا ما انتصف القرن الثامن عشر م صار لهم كيان له وزنه وأهميته وخطره هناك وإن كانوا من حيث العدد لم يجاوزوا خمس السكان بعامة .

الفولانى وخصائصهم

ينتشر الفولانى فى السودان ـ بمعناه المطلق قديما ـ غرب إفريقية كله ـ قبائل وبطوناً ، وأفخاذاً وفروعاً ، محتفظين بمكانتهم وشهرتهم أينما حلوا مشتغلين بالرعى والزراعة ، والأعمال المدنية فى المدن .

وهم بعامة نشطون فى العمل فى كل مرافق الحياة .

وعلماء الأجناس والاجتماع يصنفونهم ـ من حيث أسلوب معيشتهم فى مواطنهم ـ إلى قسمين متمايزين :

فالقسم الأول : (فولانى جيداً) ، و(جيداً) معناها البيت وهم يعنون بهذه التسمية (الحضر) وحياة الاستقرار فى المدن والقرى ، وقد يكون ذلك بين شعوب غريبة عنهم ، ولكنهم وسط هذه الشعوب يكونون متميزين بالعلم والذكاء والنشاط معتزين باسلامهم وسط مجتمعات وثنية مما أضفى عليهم ظلال السيادة فبلغوا فى مجتمعاتهم مقام السلطة والتوجيه والتعليم والقضاء والتجارة ، وبسبب هذا التفوق الحضارى كانوا أحياناً هم سادة الأرض ، بل وكونوا بعض إمارات لهم لها كيانها فى غرب إفريقية بعامة .

وباستقرارهم واختلاطهم بالقبائل الأخرى ـ وبخاصة الزنوج ـ بالزواج والتسرى فقدوا كثيراً من خصائصهم الجسمية ، وظهر أثر ذلك فى كثير منهم فى خشونة تقاطيعهم وبناء أجسامهم من فك بارز وشعر مجعد ، وغير ذلك من صفات الزنوجية حتى تميزوا بذلك عن (الفولانى) الرعاة .

وقد بلغ بهم اعتزازهم باسلامهم أن غلبوه على جانب العصبية والدم فهم لا يتزوجون من بنى جنسهم الذين بقوا على وثنيتهم ، كما تخلوا عن كثير من العادات الذائعة التى لا تزال يتبعها الرعاة فى حياتهم ، بل قد يحتفظون أحياناً باحتقارهم التقليدى الذى يكنه الحضر للبدو ، وفى أوائل القرن الثانى عشر م ازداد عدد هؤلاء الحضر (فولانى جيداً) فى ممالك الهوسا وتكلموا بلغتهم ، وقامت لهم هناك دولة إسلامية كبيرة كان لقيامها أثر كبير فى غرب إفريقية

الفولانى



حظائر تربية الأبقار .



فتاة مسلمة تقرأ القرآن باللغة العربية .



عائلة فلانية يحرص كبيرها على تعليم أولاده .



أسرة مسلمة تعرفت على أفرادها فى غرب افريقيا .

بأجمعه ، وانضوى تحت طبقتهم بعض الذين نبذوا حياة الرعى وبعض المستوطنين من الزنوج الرقيق الذين كانوا يتكلمون الفولانية بدرجة جعلتهم يعدون أنفسهم منهم .

الفولانى الرعاة

القسم الثانى : (البوروروجى) – الفولانى الرعاة – أى رعاة البقر أو (فولانى الماشية) وهم رحل متجولون ، ويفضلون التوطن على ضفاف الأنهار منتجعين المرعى لماشيتهم يقيمون بالأرض ما قامت لهم ولماشيتهم بالكلأ ، وما دام السكان الأصليون يتركونهم وشأنهم ، ويصلون فى انتجاعهم إلى بحيرة (تشاد) وإلى أبعد منها بالقرب من ضفاف النيل .

وهم مسالمون ويشتغلون بالزراعة فى بعض الأماكن بوسائل تقليدية ولغرض المرعى أصلا ومع ذلك يزرعون بعض المحاصيل مثل القمح والقطن بأكثر مما يفى بحاجاتهم فيضفون بذلك نوعاً من الرخاء يحمد لهم .

ويعتمدون فى معيشتهم على قطعان مواشيهم وما تنتجه من ألبان ، وهى أساس حياتهم الاقتصادية استهلاكا وتبادلا ، وعملية حلب اللبن من صميم عمل نسائهم – غالباً – بينما يتفرغ الذكور للرعي ، ويذبحون ماشيتهم لغرض الغذاء إلا فى المناسبات ، وكثيراً ما يعهد إليهم المستقرون ومن أثرياء الهوسا برعاية ماشيتهم ويحصلون هم على اللبن فى مقابل ذلك ، وأحياناً يستخدمون رعاة لماشيتهم من الفولانى شبه المستقرين أو من المجتمعات الوثنية ليتفرغوا هم للزراعة .

وقد قدر لهم الهوسا – فى بلادهم – قيمة ما ينتجون ومايخصبون من أرض . وهؤلاء الرعاة – بعامة – يعيشون عيشة بداوة بمعزل عن الاختلاط بغيرهم محتفظين بنقاء دمائهم بدرجة عالية ، وهم بذلك يمثلون شعب (الفولانى) أصدق تمثيل من حيث الصفات الجسمية وغيرها ، فلونهم (وادبى) – أحمر مشرب بسمرة – وتقاطيعهم دقيقة ، وشعرهم مسترسل ، وقامتهم طويلة ، ولا بروز للفك عندهم وهم بعامة يبتعدون بشكلهم عن الزنوج ، ويعيشون فى جماعات متفرقة فى شتى الأقاليم ولهم رؤساء منهم يحكمونهم حكماً معتدلا متعاوناً أكثر من أن يكون فردياً فى سهولة ويسر إذ هم أصحاب طبيعة هادئة ، ويلتزمون ما هو عدل وحق حتى إن من يقترف الشر فيهم يكون موضعاً لكراهية الجميع ، وإن كان الأمر لا يسلم من صور للتنازع فى موسم الجفاف بين الزراع والرعاة على المياه .

واصطلاح (الرؤساء) فيهم مطلق وبالوراثة وتتمتع الأسرة بسلطة مركزية وهم يخضعون للسلطات المحلية فى الأقاليم مع تميزهم بسلوك وصفات يأبون معها أية معاملة غير كريمة ، فاذا



انتاج الحقول معروضا فى الأسواق .

أسيء إليهم فى مكان هدموا محلاتهم ومضاربهم وارتحلوا إلى غيره ، وفيهم شجاعة يأبون معها الضيم ولهم مهارة فى استعمال أسلحتهم وبخاصة القوس والنشاب ، وكانوا إذا استرق واحد منهم قديماً اتحدوا جميعاً على تحريره .

الروجـــا

وهى مساكنهم ولابد فيها من توفر الوقاية والحماية أساساً وتتكون من أشكال بدائية من نوع بيوت النحل التى تحوطها أسوار من عصى ، ومسقوفة بأعشاب جافة ، وتبنى المساكن المخصصة للنساء المتزوجات على هيئة أكواخ بسيطة التركيب بحيث يسهل نقلها على ظهور الدواب حين تنقلهم وراء المرعى .

وفى الليل تاوى قطعانهم إلى حظائرهم المسورة بالأشواك ، ويربط بعضها إلى بعض أزواجاً مع توجيه رءوسها إلى جهات مختلفة ، وهى مدربة على أن تنطلق وتنتشر فى مراحها عند سماعها صوت الرعاة آمرين أو زامرين .

وقد زرت بعض مضاربهم فى حوض النيجر وتشاد ولمست فيهم الحرص على التدين وإقامة الشعائر رجالا ونساء ، والحفاوة بالمناسبات الاسلامية مع الحاجة الملحة إلى التوجيه الدائم والتعليم الصحيح ، وهم أحسن ما يكونون استجابة حين يأنسون إلى الداعى فيهم بخير .

وفيهم ومنهم علماء ومعلمون ينتقلون معهم يعلمون صبيانهم ويؤمونهم فى صلاتهم إلا أنهم لبعدهم عن العمران محدودو الثقافة فضلا عن تأثر بعض النسوة منهم بالمظاهر الزنجية التى تمليها البيئة حتى لتجد الواحدة منهم تنتحى ناحية فى الطريق أو فى السوق وتصلى بلباس لا يتوفر فيه الستر الذى يطلبه الاسلام ، لكنهن بالتوجيه ، والتعليم يستجبن .

وحياتهم بعامة تقوم على التكافل الكريم فلا يضيع بينهم ضعيف أو عاجز بل إنهم ليعولون المسن والعجوز فيهم .

وما أجمل ما تراهم يوم الجمعة نازحين من مضاربهم فى ملابسهم البيضاء النقية زرافات وزمراً إلى المدينة مبكرين لأداء صلاة الجمعة فى مظهر إسلامى كريم .

لغـــة الفولانى

تعددت الآراء والنظريات حول (لغة الفولانى) من حيث أصلها وتطورها وخصائصها وتصنيفها بما كان مثار جدل بين علماء اللغات والأجناس لأهميتها ودورها الكبير لفهم كثير من مشكلات اللغة فى إفريقية .

فمنهم من يرى أن لغة (الفولانى) الأصلية التى يمكن أن تكون مفتاحاً لمعرفة أصلهم الحقيقى قد هجرت وضاعت .

ومنهم من يرى أنها فى الأصل لغة زنجية .

أما لغتهم التى يتكلمون بها الآن فتسمى (فلفليد) ولا يستبعد أن الفولانى التقطوها أثناء إقامتهم الطويلة فى حوض السنغال .

ويرى (سلجمان) أن الرأى الأكثر إحتمالا أن هذه اللغة (فلفليد) إنما تمثل نمطا قديماً من الكلام انبثق منه سائر لغات الحاميين ، وأنها ليست من جيل لغات البربر أو الصومال ، وإنما الأوفق اعتبارها منتمية إلى جيل أقدم ، ويرى البعض أنها تشبه لغة كانت سائدة لدى الشعوب الوسطى التى تتكلم اللغة السودانية .

وأيا كانت الآراء بشأنها فانها يطلق عليها اليوم اصطلاح (لغة أطلنطينية غربية) .

ولغة (الفلفليد) هذه مبعثرة فى مناطق شاسعة من غرب إفريقية من حوض السنغال إلى حوض النيل ، وهناك إحصاء حديث تقريبى سنة ١٩٦٥ يقدر عدد المتكلمين بها بنحو أربعة ملايين .

وقد كانت تكتب وتدون بحروف عربية قبل عهد الاستعمار ثم قام المبشرون ـ فى عهد الاستعمار ـ بتدوينها ضمن مادونوا من اللغات الافريقية بالحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية وحذفوا منها كثيراً من الألفاظ العربية ضمن حملاتهم للقضاء على المؤثرات الثقافية الاسلامية والعربية فى إفريقية حيث تتفق الدول الأوربية فى مستعمراتها الافريقية على أمر واحد وهو حرمان الافريقيين المسلمين من فرص تعلم اللغة العربية والاسلام ، وقطع أواصر الصلات الثقافية التى كانت تربط غرب إفريقية بشمالها عبر البحر والصحراء ، وقصر فرص التعليم على مدارس الارساليات التى كانت ولا تزال تصر على تنصير طلابها حتى ولو كان ذووهم من المسلمين

ومع هذا لا يزال كثير من (الفولانى) يتكلمون العربية ويتعلمونها فى مدارسهم فضلا عن اهتمامهم بتعليم القرآن الكريم وتلاوته مكتوباً باللغة العربية ومقروءا بها ، وسيظلون .

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر

غانم السليطي

لماذا سوق البنات في المسرح القطري

لماذا حصل "موليير" على نصيب الأسد من المسرح القطري؟

نحن في أشد الحاجة إلى جمهور يتذوق فن المسرح بعين ناقدة

قدم المسرح القطرى خلال هذا الشهر مسرحية «سوق البنات» على خشبة مسرح الدوحة ، وقبل أن أتناول المسرحية بالتحليل أرى من الواجب أن نجيب على سؤال يلح على الأذهان :

● ما هو الطابع الذى تنتهجه الحركة المسرحية فى قطر ..؟ وهل هو طابع تغلب عليه الصفة الاجتماعية أم هو مجرد طرح لموضوعات مقتبسة وبعيدة كل البعد عن واقع المجتمع ؟

وللاجابة على هذا السؤال ، أقول بأن واقع الحركة المسرحية غير المنتظم يجعل مهمتنا عسيرة الى حد كبير ، فللأسف لا يوجد نهج عام يطبع أعمالنا المسرحية بملامح خاصة ، سواء فى مجموع ما تقدمه الفرق المسرحية المعتمدة (القطرى ـ السد ـ الأضواء ـ المسرح الأهلى) أو فى مفردات الأعمال الفنية لكل كاتب على حدة !

ولعل ذلك يرجع أولا الى عدم توفر الاستمرارية فى تقديم العروض المسرحية ، لعدم وجود الثقافة المسرحية بشكل عام وقلة نوعيتها بين العاملين فى المسرح ، وقلة الكم البشرى العامل بالمسرح بل وانعدامه فى العنصر النسائى ، والاقلال من دور فن المسرح كوجه حضارى ومؤشر حقيقى لثقافة المجتمع ودوره التربوى فى حياتنا اليومية وما له من أثر كبير ..

هذا من جانب .. ومن جانب آخر ، نجد



«أحلام محمد» فى دور الزوجة التى جرت وراء الأحلام الكاذبة .

أن عطاءات الكتاب المسرحيين قليلة وتفتقر الى الفكر الثابت والمعاناة التى لا تعرف الاهتزاز أو التراجع والتناول الفنى البعيد عن السطحية فى المعالجة ..

إن دراسة أعمال كتاب المسرح تجعلك تصاب بالدهشة البالغة عندما تجد كاتباً معيناً يقدم لنا مسرحية تناقض ما قاله فى مسرحيته السابقة !

فهم المسرح الجاد

ومن الأسباب الأخرى التى تجعلنا لا نستطيع تحديد ملامح الحركة المسرحية فى قطر هو العمر القصير للمسرح بشكل عام ، وخاصة فى معناه الحديث ، ونوعية البيئة التى يتنفس فيها هذا الفن ، وهى هنا بالطبع بيئة لم يسعفها التلاحم مع هذا الفن الوافد الجديد بالدرجة المطلوبة رغم المحاولات المستمرة لتحقيق الوجود المسرحى الوطيد الصلة بجمهور عريض !

ثم يأتى أخيراً واحد من الأسباب التى تؤثر فى الحركة المسرحية بصورة مباشرة ، ويتمثل فى حيرة العاملين فى المسرح بين ما اكتسبوه من دراسة مسرحية جادة ذات تقاليد فنية ، وبين المد التجارى المسرحى الرخيص الذى يهدف الى إفساد ذوق الجمهور وإبتذال تفكيرهم عن طريق الأعمال الهابطة التى تزخر بها الساحة الفنية فى الوطن العربى ..

إن أكثر الشبان الذين درسوا فن المسرح فى المعاهد الفنية ، عاشوا مع شكسبير وجان أنوى وإبسن وتوفيق الحكيم ، وضحكوا من أعماقهم مع موليير ودورينمات وعلي سالم ، وشدتهم سخرية نعمان عاشور وبرناردشو ، وغاصوا مع آلام سترندبرج ومحمود دياب ، وحلقوا صارخين مع بريخت وألفريد فرج ، وتعجبوا من مجريات الأمور مع بوشنر وسعد الله ونوس ..

إن مثل هؤلاء الشبان الذين تسلحوا بهذا الفيض من الروائع المسرحية ، لابد أن تنمو فى صدورهم أمنية فنية فى خدمة الانسان .. تغلفها التضحية ..

سيار الكوارى (الزوج)
وغانم السليطى (فيصل) ومحمد الكوارى (جاسم) فى المسرحية .



أمينة القفاص فى دور (الأم) وصلاح درويش (الأب) أثناء اقناع الزوجة .



ويحميها إيمان عميق برسالة نبيلة تهدف الى ضرورة صياغة الانسان الذى يتذوق المسرح الجاد ويفهمه !

ولكنهم فى نفس الوقت الذى يحاولون فيه أداء رسالتهم يرون المنافسة قائمة بينهم وبين الأعمال الهابطة التى تدغدغ أعماق الجمهور ، ويؤدى هذا التناقض الى فقدان الهدف والى غربة المسرح الجاد وضياعه وسط المستوى الفنى الشائع ، الذى تدعمه أجهزة الفيديو التى أصبحت جزءاً من ديكورات غرف النوم !

ما قبل المسرحية الجديدة

وإذا ما نظرنا الى خريطة الخليج العربى المسرحية ، لوجدنا أن الكويت باعتبارها رائدة فى هذا المجال ، قد أثرت تجربتها على الحركة المسرحية فى بقية دول الخليج .. غير أن جانباً من هذه التجربة مازال يعمل على تحقيق الرغبة فى مجاراة الجو الشائع فنياً بمسايرة المد التجارى ، بينما استطاع الجانب الآخر أن يحل المعادلة الصعبة ويقدم الفن المسرحى الجيد الذى يلقى إقبالا جماهيرياً ، وقد رأينا ذلك فى أعمال الفنانين العظيمين عبد العزيز السريع وصقر الرشود ومنها مسرحية (ضاع الديك) و (بحمدون المحطة) و (١، ٢، ٣، ٤ بوم) ، ونضجت تجربة المرحوم صقر الرشود فى آخر مسرحياته (حفلة على



«بتضيعك لو انت سايرتها» .

الخازوق) التى ألفها الكاتب العربى محفوظ عبد الرحمن ، والتى تعتبر من وجهة نظرى من الأعمال النادرة فى خريطة المسرح فى الخليج العربى .

ولهذا فان التجربة المسرحية فى قطر ، باعتبارها جزءاً من التجربة المسرحية فى الخليج وبقية الدول العربية ، إنما تحاول هى الأخرى فى مرحلتها الراهنة أن تقدم الفن الجاد الذى يخلق جمهوراً مسرحياً يتذوق هذا الفن ويقيمه ولا يتفرج عليه كما يتفرج على «خصام فى شارع» !

والمعروف أن المسرح القطرى أخذ منه «موليير» نصيب الأسد ، نتيجة لسهولة نصوصه الفنية ، وعدم تعقيد مسرحياته واشتمالها على جو المفارقات الضاحكة ..

وعلى سبيل المثال رأينا من مسرحيات موليير (البخيل) التى قدمتها فرقة المسرح القطرى من إخراج حسن ابراهيم الذى درس فن المسرح بالمعهد العالى للفنون المسرحية فى الكويت ، وقد عرضت المسرحية باطارها الفرنسى التام، ويكفى هذا لتعرف مدى عمق الهوة والفجوة بين المسرحية الفرنسية والجمهور العربى القطرى ، فعندما يلتقى سعيد وراشد وسلطان بهرباجون وإليز وسجاناريل ، أعتقد أنهم يحتاجون لسنوات حتى يتفهم سعيد مشكلة هرباجون فيتفاعل معها !

ولهذا فقد أصبحت الحاجة ماسة الى نصوص محلية قلباً وقالباً ، حتى تساعد على ايجاد جمهور مسرحى متقبل لكل ما يطرحه العمل الفنى من أفكار وقضايا متداولة !

العودة للنص الاجتماعى

وتجىء مسرحية «سوق البنات» التى قدمتها فرقة المسرح القطرى هذا الموسم (يناير ١٩٨١) معولا من معاول الحفر والتنقيب عن جمهور مسرحى .

وفى هذا الصدد قدمت ادارة الفرقة المسرحية من خلال كتيب قالت فيه : «بعد مراجعة حساباتنا القديمة رأينا أن تجربتنا المسرحية ، بما تخللها من عروض كلاسيكية ورمزية وتجريدية ، لم

لماذا سوق البنات
في المسرح القطري

ناقشت المسرحية بعض المظاهر الاجتماعية كالطمع والجري وراء المادة !

كيف حرك المخرج جموع الممثلين بشكل واقعي ؟

عندما قال لها الأب : «زين صبرى حتى يبنى لنا الحجرة» .





لحظة ندم وسخرية من الأحوال بعد مفاجأة لطيفة بطلبها الطلاق .

تتمكن من جذب جمهور للمسرح .. لذا حاولنا بهذه المسرحية العودة الى النص الاجتماعى المبسط ، الذى يطرح مشكلة اجتماعية بأسلوب كوميدى ساخر ، فكانت سوق البنات ....»

وبالفعل إذا ما أخذنا هذه المقولة بعين الاعتبار ، بغض النظر عن المستوى الفنى للمسرحية ، لوجدنا أننا بهذا المفهوم يمكننا إيجاد فن جماهيرى له دوره الوظيفى فى تغيير مفاهيم اجتماعية ويتخذ من الأسلوب الكوميدى جسراً للوصول الى هدفه !

وفى بداية المسرحية نرى عبد الرحمن (سيار الكوارى) الرجل الثرى الذى اجتمعت فيه صفات الرجل الطيب الناجح والذى يعيش مع والده ، نراه قد تزوج من لطيفة (أحلام محمد) وهى الشابة التى اختارها لذاتها لا لشىء آخر كحسب أو نسب أو مال .. كيف ذلك وهو الغنى وهى الفقيرة ؟!.

ولم تكد تمضى ستة أشهر حتى تظهر أمام عبد الرحمن تصرفات لطيفة التى تؤكد رفضها للحياة معه ، وتصرح له بعدم قبولها له لولا ضغوط والدها البسيط .

ويحاول عبد الرحمن التهدئة ، وتحاول لطيفة التفرقة ، ويحاول أيضاً والدها سعد (صلاح درويش) ووالدتها مريم (أمينة القفاص) وأخوها فيصل (غانم السليطى) فض الخلاف الناشب بشتى الوسائل مؤكدين لها بسخرية مريرة مدى انشراح أحوال الأسرة بعد زواجها بالرجل الثرى ، لكنها تصر وفى رأسها فكرة لا نعرفها بعد !؟.

وتحسم الأمور بين عبد الرحمن ولطيفة بعد أن يكتشف أنها تستعمل كل الوسائل التى من شأنها عدم تأكيد الارتباط به ..

ويحتدم الموقف عندما تبوح لجاسم ، الشاب الوسيم الذى تتفق معه على الانفصال عن زوجها والحياة معه ، لتفجع الأسرة بهذا النبأ فى موقف ساخر ضاحك !

وفى الفصل الأخير والذى تدور أحداثه فى بيت سعد ، نرى «جاسم» قد تزوج لطيفة واتضح أنه شاب لعوب ، يلهث وراء رغباته ، فها هى الأسرة تعانى الأمرين لأنه يعيش عالة عليها باسم الحب !

ويستمر جاسم فى استغلال كل ثروات لطيفة المتبقية من خيرات عبد الرحمن لديها ، وتجد لطيفة نفسها أمام أسرتها وهى فى موقف لا تحسد عليه ، فتحاول بدورها تغيير حياة زوجها ودفعه الى تحسين وضعه الحياتى ، ولكن جهودها تضيع فى الهواء ، فهو انسان لا يعرف الطموح !

وتكون المفاجأة حين تعلم الأسرة بأن جاسم الزوج المعشوق سيتزوج من فتاة غنية قريباً ، فتصعق لطيفة ، ويتكسر

هل صحيح أن جاسم كان يطلب عملا عندما دخل الى بيت عبد الرحمن ؟



هلال محمد (والد الزوج) يحاول اقناع ابنه باتخاذ موقف صارم تجاه زوجته .





لا فائدة من اقناع الزوجة بخطأ موقفها .

حبها الوهمى الطائش على صخرة الواقع ، ويتم طلاقها من جاسم .. وتبقى وحيدة ..

وتشاء الظروف أن يجيء عبد الرحمن زوجها السابق الى بيتها ليفاجأ بنبأ طلاقها من الرجل الذى سرقها من عالم الهناء والتعامل العقلانى ، وبهدوء يقترب طالباً منها ألا تنهار ، وأن تبدأ حياتها من جديد ، فلا شيء يصعب أمام ارادة الانسان فى تخليص نفسه من محنته ..

وبالفعل تقف لطيفة وقفة كبرياء وعناد للظروف ، معترفة بأخطائها ومعلنة البداية من جديد ، فالانسان ذو المعدن الأصيل لا يعرف الفشـــل فى حياته ..

الميزان الفنى

وهكذا نرى أن المسرحية تواجه بعض المظاهر الاجتماعية كالطمع والجرى وراء المادة ، وتطالبنا بأن نعبر الحياة فوق العثرات الكثيرة المحزنة والموجعة والقاسية ، فبدون هذه التجارب لن نتعلم ولن نتفوق ، فالفشل لا يعنى النهاية ولكنه يمثل بداية لرحلة جديدة مليئة بالتجربة والدروس ..

وهى التجربة الأولى للمخرج الشاب علي ميرزا ، وقد بذل من أجلها جهداً كبيراً لاظهار وكشف عناصر عرض مسرحية اجتماعية ، حرك من خلالها الممثلين بشكل واقعى ومقنع للجمهور ...

واذا كانت تجربته مع الممثلين ناجحة من حيث واقعيتها ، فانى أرى أنه مع قدرة الديكور على تصوير جو البذخ والرفاهية فى بيت عبد الرحمن والشعبية والبساطة والبؤس فى بيت سعد ، إلا أنه خلا تماماً من أى لمسة جمالية يحتاجها ديكور فن المسرح ، فقد اكتفوا بقطع الموبيليا الجاهزة المستعارة من المحلات التجارية .!

أما الموسيقى المستخدمة فى المسرحية ، فقد كان من الأجدر أن تستمد جذورها من الواقع ، كي تساير روح النص الذى صاغه عبد الله أحمد بمشاركة عاصم توفيق .. صياغة واقعية معبرة ..

ومن حيث الاضاءة ، فلقد تمكن علي ميرزا من الاحساس بالجو الكوميدى للمسرحية ، المتطلب لجو الانارة المسرحية لا الاضاءة العابرة .. إلا إذا استدعى الموقف الدرامى ذلك .

وبالفعل رأينا فى نهاية المسرحية لطيفة بعد أن عزلتها الاضاءة عما حولها محددة لنا قيمتها الفردية من الناحية المادية والنفسية ، مؤكدة المقولة التى سعى اليها النص المسرحى الذى كتب بمجهود واخلاص وعطاء سوف يذكر دائماً عن الحركة المسرحية فى قطر .

غانم السليطى

حتى لانرى بعيون الآخرين

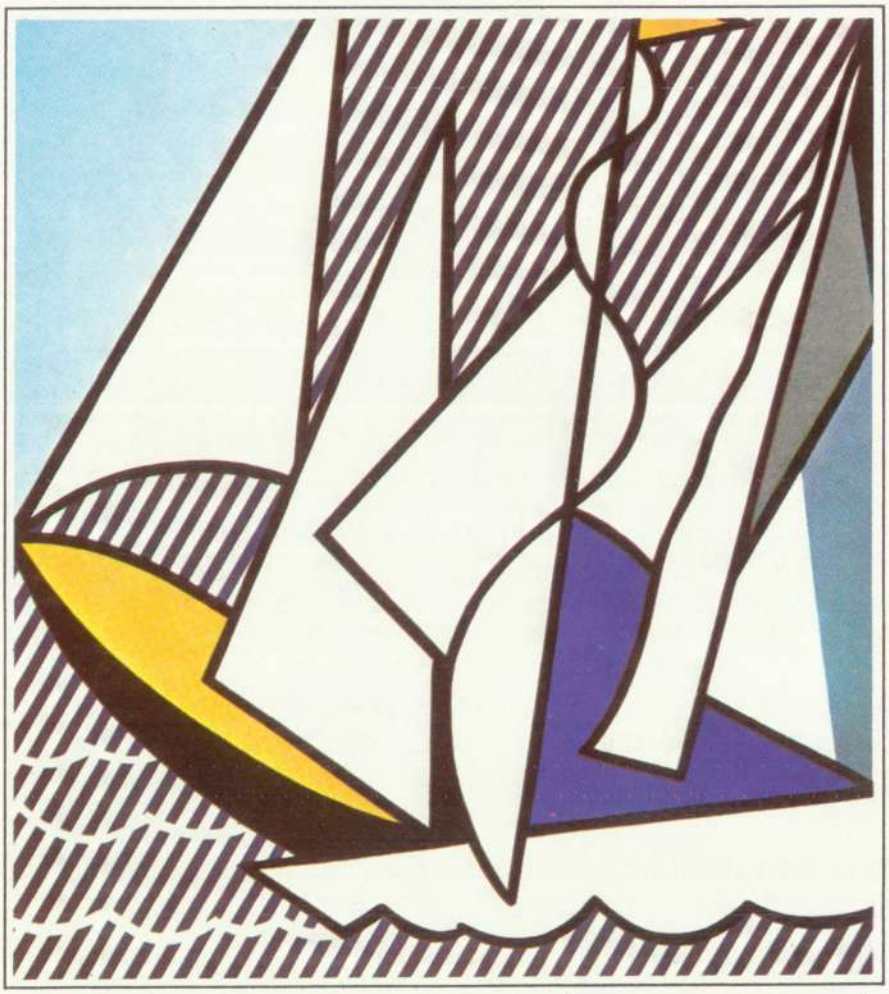
جمال قطب

استعرضنا فى المقالات الماضية ونحن بصدد تقييم ودراسة أزمة الفن التشكيلى فى عالمنا العربى ، مشاكل التربية الفنية والمناهج الدراسية والامكانيات المتاحة لهذه الأنشطة ، كما تناولنا دور أجهزة الاعلام وحركة النقد الفنى الى أن وصلنا لدور المعارض والمتاحف وأثره فى الحفاظ على التراث كمنطلق للحركة الفنية الحديثة ..

ومن الواضح أن عدم اهتمامنا باقامة المعارض وانشاء المتاحف وافتقادنا لروح التحمس بعزيمة صادقة وإصرار لا يعرف الملل ، قد جعل تراثنا نهباً للمتربصين بنا وبكنوزنا التاريخية المطمورة أو المخزونة او المعروضة فى متاحفنا المتواضعة النادرة ! فلا غرو أن تكتشف أجهزة الأمن من حين لآخر ، أفراداً وعصابات تخصصوا فى السطو على آثارنا ، وحولوا أوكارهم الى مستودعات لهذه الكنوز المنهوبة .. يصدرون منها بطرق دائمة ومنتظمة الى شتى عواصم العالم ، لتستقر فى النهاية فى المتاحف والقصور وعند جامعى التحف وقاعات المزادات العالمية ..

ولعل أطرف تعليق سمعته بهذا الصدد : إنها سرقة وجريمة ليس فى هذا شك .. ولكنهم يحافظون عليها أكثر منا !

ومن الغريب أننا ونحن نفتقر الى أبعد الحدود للمتاحف والوثائق ولدينا معاهد الآثار المتخصصة والأعداد الوفيرة من خيريجيها ، نجد أن معظم الحفريات على أراضينا العربية لا يقوم بها إلا البعثات الأجنبية .. ومن الطبيعى ألا تكون الرقابة على تسرب تحفنا للخارج أو الاتجار فيها على مستوى الخطورة والجدية اللازمة .. ومن الميسور أن ترى (متاحف صغيرة) تزخر بشتى أنواع الآثار الاسلامية وغير الاسلامية فى بيوت البعض من الذين يتفاخرون باقتنائها دون وجل من أى مساءلة أو محاسبة ..



قوارب بحرية للفنان «روى ليشانستيه» وأسلوب اللوحة من آخر صيحات الفنون المستحدثة وهو البوب آرت الذى غزا الفن الأمريكى المعاصر .

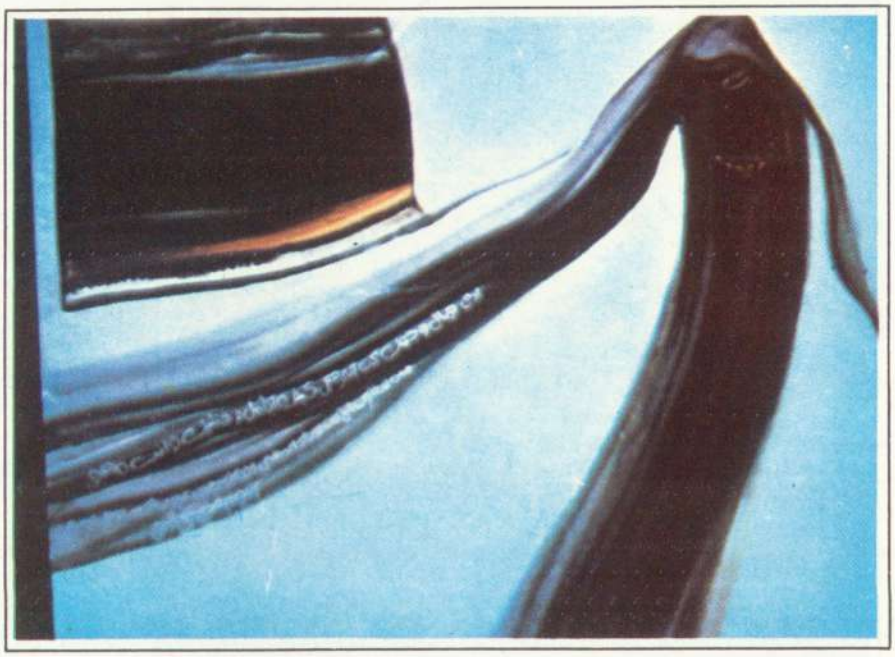
ولا شك أن مثل هذه التحف ليست فى مكانها الصحيح على أية حال .. لأنها تراث تاريخى لا تملكه إلا الدولة صاحبة الأرض .. ومكانه الحقيقى فى متاحفها ..

قيمة التراث

وإذا نظرنا الى ما يحدث إزاء نهب التراث فى عاصمة مثل لندن .. نرى أنه فى صيف ١٩٧٩ ، قد ثارت ثائرة المؤرخين ومحبى الفنون الجميلة فى بريطانيا على أثر الشروع فى واحدة من أعرق قلاعها التاريخية وهى قلعة (وارويك) لمعرض الأعمال الشمعية الشهير الذى تملكه (مدام تاسو) .

وبالرغم من أن القلعة مملوكة شرعياً (للورد بروك) وله مطلق التصرف فيها وفى محتوياتها من الكنوز الفنية .. إلا أن المؤسسات الفنية والصحفية وجميع طوائف الشعب قد هبوا يطالبون بوقف هذا التصرف فى أثر يعتبر تراثاً يضرب

● مطلوب رقابة جدّية لمنع تسرب تراثنا الفني إلى الخارج
● لابد من إنشاء دور للوثائق القومية ومتاحف للتراث



«ريم الديرة» للفنان الكويتى جعفر علي دشتى ولعله من أصدق المعبرين عن التراث بتطور ومعاصرة .



«وجه عجوز» للفنانة القطرية وفيقة سلطان (التسجيل بأبسط الأساليب وأقربها للفهم) .



ملصق للفنان البحرينى أحمد حسين العريفى (أبحاث فى البعد الواحد واستخدام الحروف العربية) .

جذوره فى أعماق التاريخ على مدى تسعمائة عام ..

وقد تعود الشعب البريطانى على أن يرتاد هذا الأثر كمزار يمثل جانباً من تاريخه .

... هذا هو الوعى .. دون أن يحتاج منا الى تعليق !

وحتى بالنسبة للأعمال ذات القيمة الفنية المحدودة .. أخضعتها بريطانيا الى رقابتها الدقيقة : فقد بلغت عمليات بيع هذه الأعمال فى عام ١٩٧٨ من داخل بريطانيا ٤٣٤ مليون دولار .. متمثلة فى اللوحات التجارية وقطع الأثاث القديم وبعض التماثيل ذات الملكية الخاصة . وتحركت على الفور جماعات محبى الفنون الجميلة ... ودعت الى الثورة العارمة لوقف هذا النزيف الفنى حتى تظل الدولة البريطانية مركز استقبال لمثل هذه الأعمال .. وليست محل تصدير لها بأى صورة من الصور . وسارعت الدولة باصدار بياناتها تطمئن الشعب على ثروته الفنية ، وأن التحف ذات القيمة التاريخية والتراثية مصونة لا تمس ، وتؤكد أن جهازها المسمى «بلجنة فحص التحف والأعمال الفنية المصدرة للخارج» والذى أسس من خمسة وعشرين عاماً ، يقوم بواجبه على أكمل وجه ، ولكنه لا يستطيع عمل شىء مؤثر إزاء الملكيات الخاصة من التحف التى تباع بمبالغ خيالية لا تستطيع الدولة توفيرها لتنافس المزايدين فى شرائها ..

ومع ذلك فقد اتخذت الحكومة موقفاً ايجابياً نحو الأعمال ذات القيمة الفنية الكبيرة ؛ فقد كلفت المتحف البريطانى بأن يدخل منافساً لشراء أى تحفة يرى الخبراء أنها لا يجب أن تغادر البلاد .

وفى خلال هذه الأزمة العابرة ، خرج الناقد البريطانى الشهير (هيوز ليجات) على الشعب البريطانى بنداءات ثائرة غاضبة ، وقد لخص هذا الموقف بعبارة اتخذت شعاراً آنذاك : «إنه لمن العار أن

نرى تراثنا الفنى ينهب ولا نستطيع عمل شىء ، إنه الحضارة الانسانية والتاريخ ، إنه ملكنا جميعاً ، ويجب علينا أن نتفانى فى الحفاظ عليه !»

وهل بعد أن سقت مثل هذه الأمثلة ، أجدنى فى حاجة للتدليل على أهمية المتاحف الثقافية المعاصرة ؟

لقد تناولت مشكلة نقص المتاحف فى حياتنا العربية ، منذ عدة شهور على صفحات احدى الجرائد الخليجية .. ونادیت بالشروع فوراً فى تأسيس دور الوثائق القومية ومتاحف التراث وذلك بجمع ما بين أيدينا منها والحصول على المزيد بشتى الطرق والوسائل المشروعة .. أو باستنساخ صور لتحفنا التراثية التى تعمر بها متاحف العالم .. وهذا أضعف الايمان !

إننا بذلك نيسر السبل أمام الباحث والمؤرخ والدارس من جيلنا والأجيال العربية القادمة ، وهو فى نفس الوقت متابعة لمسيرة الفـــن والتاريـــخ والحضارة ، تلك المسيرة التى كادت أن تندثر تحت تراكمات السنين وأعاصير الأحداث المعاصرة كحبات لؤلؤ انفرط عقدها وسط الزحام !

علاج بالمسكنات

ونأتى لآخر مظاهر القطيعة بين الفنان العربى وجمهوره .. فنرى أن الميدان قد فرغ تقريباً من الحماس اللازم كعنصر حيوى للابداع ، وتقاعس الفنانون الموهوبون عن الزج بأنفسهم فى هذا الفراغ .. حفاظاً على كرامتهم ، فالفنان الحقيقى دائماً ذو حساسية مرهفة ومشاعر رقيقة مهذبة ، ولذلك نراه يؤثر الطوى والانطواء على العمل فى ساحة من فراغ لا يسمع فيها إلا وقع أقدامه !

ووجد الدخلاء والمدعون الفرصة متاحة لانتاجهم الرخيص .. وفرضوا أنفسهم ـ دون محاسبة أو مراجعة ـ على الجمهور فى تدافع وتكالب سوقى كادأن يودى بالبقية الباقية من الذوق الرفيع ! واتسعت الهوة بين العمل الفنى الحقيقى والجمهور الذى تستقطب طاقاته فى الأحداث المتلاحقة ومشاكل الحياة اليومية العابرة .. وتدخلت



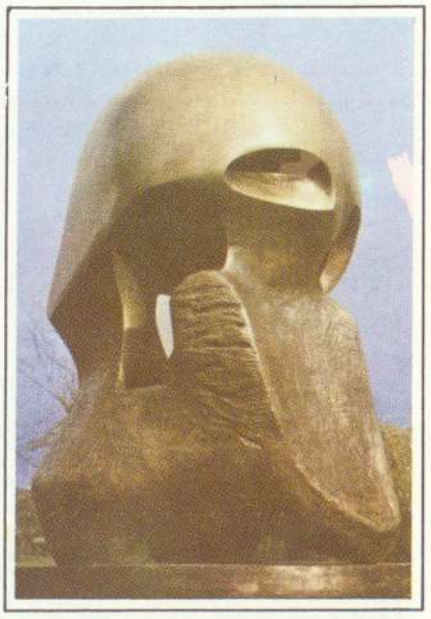
احدى قاعات الفن الايطالى فى القرنين ١٧ ، ١٨ بمتحف الارمتياج ـ لينجراد



احدى لوحات المدرسة الهندوكية فى فن التصوير .. لم تستطع المذاهب الحديثة أن تذيب أصالتها .

الجهات الرسمية فى الدولة من أن لآخر لتنظيم المسابقات أو إقامة المعارض فى المناسبات .. تماماً كما ترفع الرايات وتقام الزينات ثم لا تلبث أن تتلاشى وتنتهى بانتهاء هذه المناسبة أو تلك .

ولما كانت العادة قد جرت أن تنصب هذه المعارض الموسمية وتنفض دون أية حصيلة للفنان ، فقد لجأت الجهات



السلام الذرى للفنان هنرى مور .

المسئولة الى التبرع باقتناء بعض أعمال الفنانين بعد أن اختفى عنصر الطلب الجماهيرى عليها ، ويسعد الفنان مؤقتاً بهذا التبرع «الكريم» .. لقاء أعماله التى تأخذ طريقها عادة الى المخازن والمستودعات !

... وكانت هذه الحلول الجزئيـــة ومازالت تقوم بدور المسكنات للآلام المستوطنة ، ولكنها لا تؤدى الى العلاج الجذرى للمشكلة ذات الأعماق والمتشعبة فى مختلف الأبعاد والأركان .

وليس هذا الحل المؤقت المظهرى ما نأمل فيه .. ولكن العلاج يجب أن يكون حلا شاملا على أساس من الدراسة والفهم والعزم على نشر التذوق وحب الفن ذاته !

.. وما أريد أن أؤكده عن اخلاص واقتناع هو أن نهضتنا الفنية الحديثة ، لا يمكن أن نقيمها على كواهل شباب من المبعوثين لمختلف دول العالم شرقاً وغرباً ، دون أن نسلح هذا الشباب بالقيم التراثية والحضارية المنبثقة من ترابه وبيئته ، ولن يتأتى ذلك بجرعات مركزة من المنشورات أو المحاضرات الانفعالية أو التوصيات والنصائح ، ولكن السبيل الى هذا الهدف هو أن نبدأ فى تقويم الطفل من أولى مراحل دراسته ونتدرج معه بوعى وإدراك كاملين فى شتى مراحل تفتحه وتكامل شخصيته .

وإن هذا الانفصام والتمزق الذى خلق ظاهرة التسيب فى كثير من مرافق حياتنا الثقافية ، ما هو إلا نتيجة لتفتت مصادر التأثير الروحى ، والتهوين من قيمة التراث والأصالة البيئية والتمسح فى تقليد الحضارات الأجنبية بهذه المظهريات الممسوخة .. وبالتالى ، اهتزاز المثل فى غيبة القدوة الصالحة . هذا من الجانب السلوكى فى الحياة العامة ، ومن جانب آخر ، فان معظم فنانينا وقد وجدوا أن سجل المسيرة التاريخية ، قد احتجبت معظم صفحاته عن متاحف التراث بعامل الاهمال وافتعال الأزمات وتحكم الاستعمار وقد فرض علينا أن نرى بعيون الآخرين ، كل هذا وغيره ، أصبح ضباباً يعوق الرؤية الواضحة فكدنا أن نضل الوصول الى أهدافنا القومية .. وتلمسنا طريقنا نحو تلك الأضواء المبهرة فى مجتمعات غير مجتمعنا وتقاليد غريبة عنا .. فتصنعنا التحضر المزيف وصرنا أبواقاً وببغاوات نردد ما يدور فى أوطانهم ، ونقلد انتاجهم من المدارس الفنية المتصارعة دون وعى بطابعها الذى كان وليد تفاعلات وتعقيدات محلية لديهم ، ونتج عن كل ذلك أن رأينا تباعداً وانفصالا بين الفن العربى والجمهور ..

الغرس والحصاد

والآن أعتقد أنه قد آن الأوان لأن نتصور حجم المشكلة بعد أن تمثلت فى الأذهان معظم جوانبها وأبعادها ، وبعد أن تناولناها فى خمس مقالات متتالية على هذه الصفحات ، وليس القصد من وراء ذلك هو أن نصبح كلنا من الفنانين أو أن يكون شغلنا الشاغل فى الحياة هو الفن فحسب .. ولكن ربط الماضى المجيد بالحاضر هو انطلاق نحو تكامل الشخصية الفكرية الواعية .. وهو ثقة بالنفس تنعكس على حب الوطن ذاته . ينطلق الفنان بعدها دون معاناة من آلام القهر والضياع والفاقة ، ليبدع أسمى ما تنطوى عليه الحياة من مكامن الجمال .. وأروع ما تجيش به النفس العامرة بالايمان والمثل والوطنية . وبدلا من أن يسير فى دروب الآخرين ، يقود الجموع فى آفاق العروبة حيث الأمجاد والاعزاز والفخار .. كشجرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء !

إن فناناً أسبانياً يدعى «فيكتوريانو سابالا» دفعه ايمانه بوطنه وأمجاده .. وألهبت مشاعره بطـــولات الرواد المكتشفين من مواطنيه ومنهم «نونيوث دى بالبوا» الذى عبر برزخ بنما وأطل على المحيط الهادى من فوق صهوة جواده الأبيض فسمى من ذلك الحين «مكتشف المحيط الهادى» فما كان من هذا الفنان إلا أن أقام نصباً تذكارياً منحوتاً للبطل المكتشف يبلغ ارتفاعه أكثر من أربعة أمتار فى نفس المكان الذى أطل منه «نونيوث» على المحيط ..

أقام الفنان هذا التمثال من ماله الخاص دون تكليف من أحد . لأنه أحب بلاده وأحب قادتها وتاريخها وتراثها .. وهكذا تفعل التربية السليمة الواعية التى تخلق من كل مواطن فناناً أو بطلا فى أى ميدان ..

وإذا ذهب أحدنا الى اسبانيا ورأى متاحفها ، والعناية الأسطورية بتراثها وآثارها ووثائقها ، لابد وأن يصل لهذه النتيجة الحتمية .. وهى أن استمرارية أمجاد الحاضر والتراث وغرس الشعور بالوطنية وشرف الانتماء الى الوطن .. يخلق المعجزات ! وكان للفن هذا الفضل العظيم فى تخليد تلك المآثر على مر العصور .

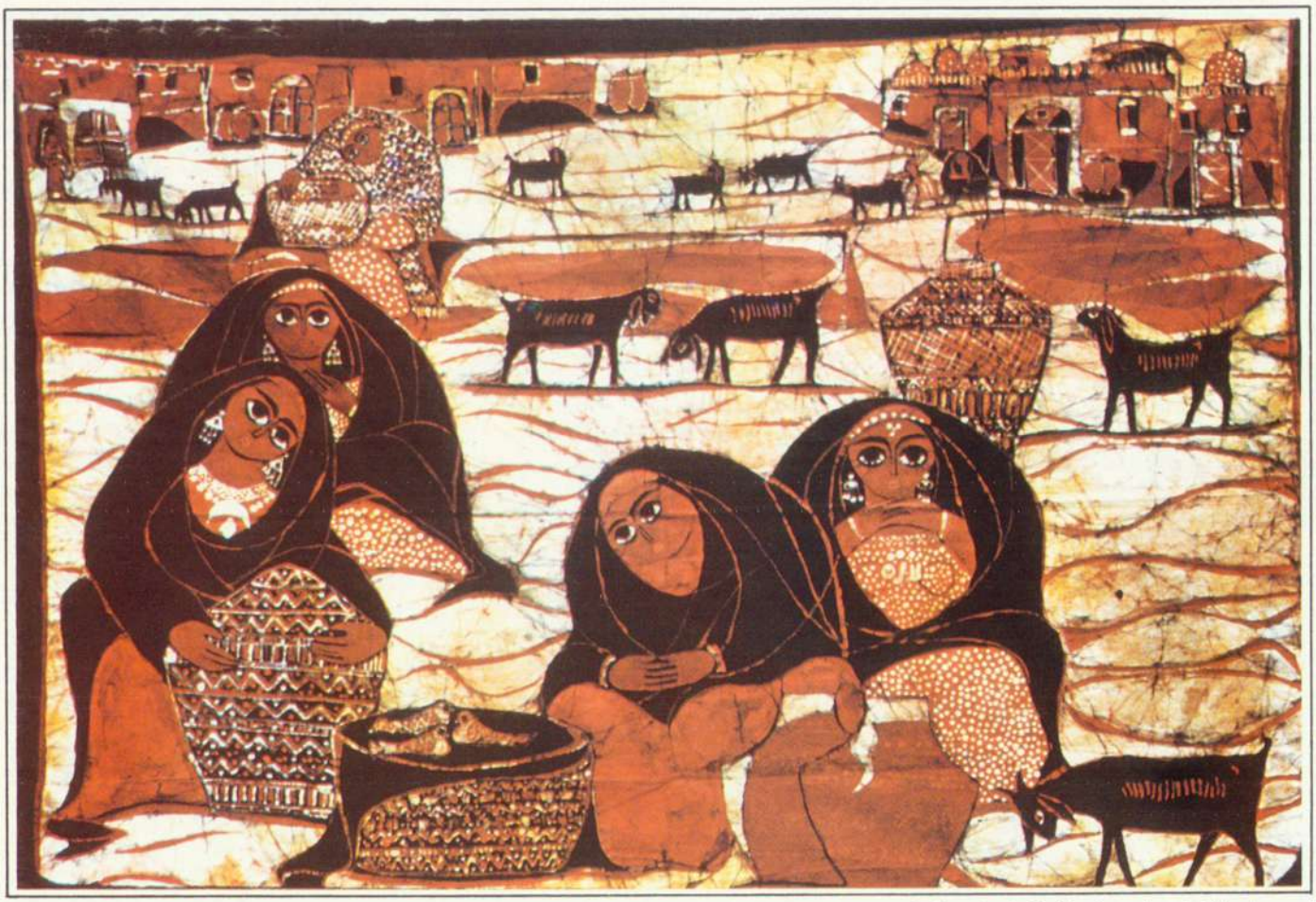
وأحب أن أختتم استعراضنا هذا بقول أوسكار وايلد :

«إن روعة الشعور بالجمـــال فى المبتكرات الفنية هى سمة حضارة الشعوب ، ولقد علمتنا الفلسفة هدوء النفس واتزان العقل لاحتمال أخطاء الغير ، كما استطعنا بالعلم أن نرقى بمشاعرنا ونهذب سلوكنا لنتسامى بمستوانا الانسانى ، أما الفن فيجعل حياة الفرد جنة دنياه ، وبينما الفلاسفة يتساقطون كحبات الرمال ، كما تتساقط معتقداتهم كأوراق الخريف ، يظل الفن الجميل متعة للحياة كفصول السنة التى تتغير فى نظام دائم بديع .»

جمال قطب

السباحة في أنهار العشق

مجدي نجيب



الرسم على القماش بالصبغات الملونة «انتظار قطار الحبوب» .

فن «الباتيك» . أو الرسم على القماش بالصبغات الملونة والمواد الكيمائية والشمع ، يعتبر واحداً من الفنون الجميلة الجديدة على المنطقة العربية بشكل عام .

وقد برز فى هذا المجال الفنان العربى «علي دسوقى» ، الذى استطاع أن يجذب أنظار أوروبا والعرب ، حيث وصل الى درجة عالية من الثقة والتكنيك فى تطويع الألوان «المحدودة» ، فى لغة ناعمة ذات شفافية خاصة ، معبراً عن البيئة العربية فى إيقاع ينبض

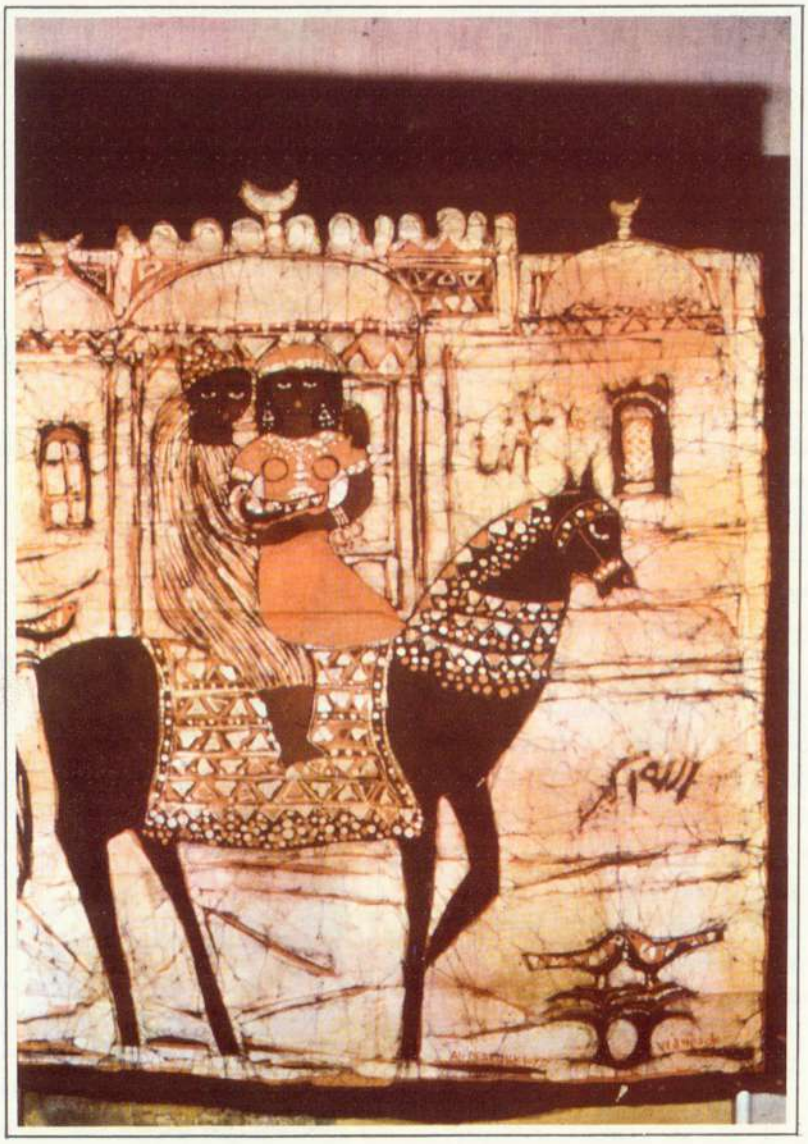


الفنان علي دسوقى أمام احدى لوحاته .



من واقع الحياة الشعبية .

- هكذا عبّر الفنان عن البيئة العربية في لغة شفافة ناعمة !
- تميزت لوحاته بالإيقاع الخافت وجاذبية الشكل واللون !



لوحة من السيرة الشعبية «الفارس والعروس» .

بالتلقائية ، متعاطفاً بشدة مع فنوننا البدائية .. ، واستحضار روح المكان ، ورعشة الدفء والضوء .. والألفة .

كان آخر معارضه ، المعرض الذى أقامه فى نهاية العام الماضى فى مدينة بون بألمانيا ، وقد أثارت لوحاته فى فن «الباتيك» ، الآراء الكثيرة لنقاد الفن هناك ، .. فكتبت جريدة «بون روند شاو» تقول : «المعرض لا يجب أن يفوت أصدقاء فن الباتيك وجميع المهتمين بالفن عامة ، ففى لوحاته التى صور فيها الحياة اليومية فى الأحياء الشعبية بالقاهرة ، استطاع تأكيد العلاقة بين الانسان والبيئة ، فى ألوان ايقاع الموسيقات الشعبية المتوهجة فى فرحة بسيطة» .

وقالت جريدة «هونف فولكس تساتيوننج» :

«إن معظم الشعوب ، تستعمل فن الباتيك كأسلوب تجريدى .. ولكن الفنان علي دسوقى .. اختار التكنيك الصعب ، لكى يعبر عن الحياة اليومية فى هارمونى ذى ايقاع خافت ، ساحر ، فى الشكل واللون ، متخطياً الصعاب التكنيكية فى هذا النوع من الفن الذى يحتاج الى الدقة والصبر» .

وعن فن «الباتيك» ، يقول الفنان علي دسوقى ، ان هذا الفن من الفنون التى تمارس بشكل شعبى فى الهند .. والصين وباكستان .. وبعض دول جنوب أفريقيا ، حيث يقومون باستخلاص

السباحة في أنهار العشق

إنه لايقدم لنا الرؤيا التعيسة ولكنه يترجم ذلك النبض المتفائل!



مقهى شعبى .



بنات القرية .



راعية من مدينة مرسى مطروح .

«الأصباغ» من بعض النباتات التى تتميز بطول البقاء .. وتعتمد لوحاتهم على صياغة الرموز الشعبية المستمدة من معتقداتهم الدينية ، فى شكل خطوط هندسية مبسطة ، ووحدات زخرفية .

وعلي دسوقى من الفنانين الذين لهم أسلوبهم الخاص المتميز فى التصوير الزيتى .. وفى موضوعاته التى يتناول فيها ـ أيضاً ـ الحياة والبيئة الشعبية فى مثابرة على دراسة الملامح التى تعتبر تسجيلات لفترة تاريخية ، توشك أن تختفى بفعل التطور الحضارى المستمر .

وهو حينما يخاطب عين المشاهد ، لا يخاطبها بشكل مباشر .. ، عالى النبرة ، بل يتحدث فى لغة الثرثاة الناعمة وهى تتحرك فى عشق ومحبة ، تعزف لحنها الدافىء على أوتار المشاعر الانسانية النابضة بالصدق البسيط ، .. فهو حينما يصور الطفولة ـ مثلا ـ لا يقدم لنا الرؤية التعيسة منها .. أو الجوانب البائسة الحزينة ، وإنما يختار الألوان المفرحة التى تحكى حكاية اسطورية جميلة ذات نبض متفائل .. وحينما يصور عازف الربابة ، فانه يميل الى استخدام الايماءات الحسية المعبرة عن رحلات السمر والعشق والبطولة وذكريات الآباء والأجداد ، فتعزف الرؤية فى أعماق المشاهد للوحاته ، أغنية الفرحة والدهشة والحب لهذا الكون الذى تغطيه فى كثير من الأحيان ، سحابات داكنة من الحزن واللوعة .

وبلغة الألوان ، تمكن الفنان علي دسوقى من صياغة الوجدان الانسانى العربى ، فى صورة شعرية بسيطة التراكيب ، بعيدة عن التعقيدات ، زاهية الألوان ، تسبح فى أنهار من البهجة والأمل .

مجدى نجيب

رسول الله
بين الدين والدنيا

د. محمد عمارة

عندما ننظر فى السيرة النبوية ، ونتامل شئون الدولة العربية الاسلامية الأولى ، على عهد الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، نلمح موقفاً يتكرر كثيراً ، وفى مواطن عدة ، وملابسات مختلفة ، بين الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبين صحابته ، عليهم رضوان الله ...

فعندما يواجهون قضية من القضايا أو أمر من الأمور ، ويدلى فيه الرسول برأى .. ويكون لدى الصحابة فى هذه القضية وذلك الأمر ما يودون أن يقولوه تعليقاً ، أو تعديلا على ما قال الرسول ... عند ذلك كانوا يسالون النبى ذلك السؤال التقليدى والشهير : «يا رسول الله ، أهو الوحى ؟ .. أم الرأى والمشورة ؟!» فان قال لهم : إنه الوحى ، كان السمع والطاعة منهم ، وإسلام الوجه لله .. الذى هو المعنى الحقيقى لمصطلح «الاسلام» ! .. أما إن قال لهم النبى : إنه الرأى .. فانهم ، عند ذلك يدلون بما لهم من آراء وملاحظات ، فتكون الشورى والأخذ والرد والنقد والتصويب ، وصولا الى القرار الذى يتفق عليه الجميع !..

وهذه القضية التى تلقانا كثيراً فى سيرة الرسول ، وخاصة ممارساته السياسية والادارية لشئون الدولة ، جديرة بأن تلفت الانتباه الى ما نسميه «تمييز» الاسلام ـ وليس «الفصل ـ بين ما هو «دين» وما هو «دنيا» ! فعندما يكون الأمر «ديناً» أى وحياً إلهياً ، أو سنة تشريعية تفسر هذا الوحى وتفصله ، فليس هناك مجال «للرأى» أو «المشورة» ، بل الواجب هو الطاعة ـ (الاسلام) ـ والتسليم والانقياد . ومكان العقل هنا هو مكان أداة الفهم ، حتى تكون الطاعة على فهم وعن بينة ! .. وفى ضوء هذه الحقيقة نستطيع فهم اجماع علماء الاسلام على تحريم القول «بالرأى» فى «الدين» !

أما اذا كان الأمر «دنيا» و «سياسة» ، فان «الرأى والمشورة» يصبحان هما السبيل لانضاج الفكر والطريق لاتخاذ القرار ! ..

ويزكى هذا الموقف الاسلامى ويزيدنا اقتناعاً به أن مصطلح «الشورى» فى القرآن الكريم ، قد ارتبط بمصطلح «الأمر» ، الذى يعنى السياسة ، والذى ـ لذلك ـ اشتق منه مصطلح «الأمير» و «أمير المؤمنين» .. والذى يرتبط به «الائتمار» أى التشاور فى «المؤتمرات» ! .



فالله سبحانه وتعالى يقول لنبيه ، عليه الصلاة والسلام : (وشاورهم فى الأمر) كما يقول : (وأمرهم شورى بينهم) .. أما فى أمور «الدين» وأصوله ، وقضايا الغيب وأخباره ، ومسائل الشرع الالهى وعلومه ، فلا مكان «للرأى ولا للشورى» .. بل الواجب هو الطاعة والانقياد ! ..

فما كان «ديناً» فان مرجعه ومصدره هو «الوحى» والتنزيل ، لأن فيه من الغيب ما قد لا تدركه العقول الانسانية بذواتها ومع استقلالها بالنظر ... أما ما كان «دنيا» ـ بما فيها «الدولة والسياسة» ـ فالمرجع فيها هو «العقل والتجربة الانسانية» ، المحكومان «بالمصلحة» فى إطار كليات «الدين» ومثله العليا ووصاياه .. وعن هذا «التمييز» تحدث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى القضية الشهيرة التى عرفت بقضية «تأبير النخل» ... فعندما هاجر النبى الى المدينة وجد أهلها يلقحون إناث النخيل من ذكورها .. فاشار الى أن ترك ذلك لن يضر الاثمار .. فتركوه «فشاص» الثمر ! .. ولما ذهب أصحاب النخل الى الرسول يشكون ما صنعه رأيه عليه السلام بثمرهم .. قال لهم : «لم أقل لكم قال الله .. ما كان من أمر دينكم فإلى ، وما كان من أمر دنياكم فانتم أعلم به» ؟!

فهنا «التمييز» ـ وليس «الفصل» ـ بين ما هو «دنيا» وبين ما هو «دين» ... وتلك واحدة من ثمرات النظر فى سيرة الرسول ، عليه الصلاة والسلام !

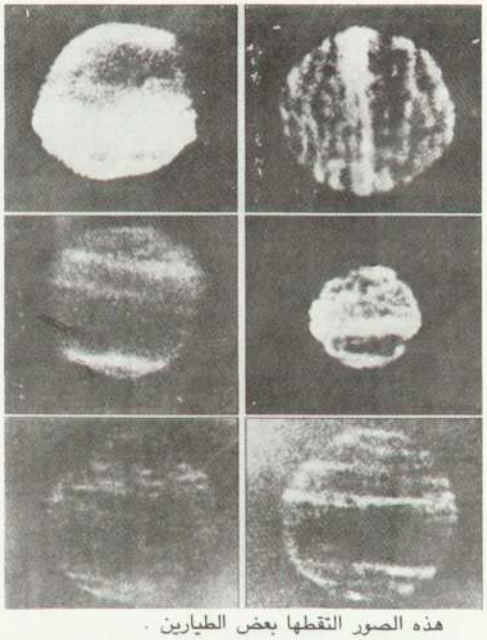
د. محمد عمارة

الأطباق الطائرة
حقيقة أم خيال ؟

تأليف الدكتور : محمد عبده يماني
مراجعة وتقديم : أحمد العناني

لقد أينع قطاف الفكر والأدب فى السعودية . انتهى عصر الثمرات الأولى وجاء دفق الحصاد الغزير من الموسم الأول ، وأحسب أننا من الآن فصاعداً سنرى موقع السعودية فى ركبنا الحضارى ممتلئاً بجدارة ، شامخاً مرفوع الراية .. ذلك كان رد «الفعل العفوى» عندى حين وجدتنى مندفعاً بغير توقف فى قراءة «الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال ؟» للأستاذ الدكتور محمد عبده يمانى وزير الاعلام الحالى للمملكة العربية السعودية . لقد تلقيت هذا الكتاب الذى سيجدنى القارىء متحمساً له أكبر الحماسة مع كتابين آخرين بعيد ما بينهما وبين هذا الكتاب العلمى فى ظاهر المحتوى ، ومنحى المضمون فالآخران هما «فتاة من حائل» وهى رواية مطولة و «اليد السفلى» وهى قصة سعودية ، نشر معها فى نفس المجموعة قصة فلسطينية «مشرد بلا خطيئة» ..

ولأول وهلة يتور فى الخاطر سؤال محق «أأديب هذا الرجل أم عالم ؟» وهو سؤال يوجه الى الدكتور اليمانى بقدر ما كان ينبغى أن يوجه الى العلامة المرحوم «الدكتور أحمد زكى» .. والجواب فى الحالتين أو الحالين إن شئت نعم ، أديب عالم أو عالم أديب .. وليس فى هذا الجواب مبالغة فالأصالة العميقة تقتضى تلاقى الرافدين فى منبع واحد .. وما عجز الأديب عن أن يكون عالماً إلا برهان على ضحولة مضمونه ، ولا عجز العالم عن أن يكون أديباً إلا الدليل على نقص فى ملكات خياله وتعبيره ، ولا يكون الأدب أدباً حياً بناء إلا حين ترفده الفكرة الجادة العميقة ، ولا يتحقق فى



هذه الصور التقطها بعض الطيارين . لاجسام قالوا انها .. اطباق طائرة .

العلم ابتكار إلا بخيال متحفز وتعبير ممنطق ومنسق ..

والأطباق الطائرة بين الحقيقة والخيال موضوع خاض فيه الناس ولا سيما الصحفيون وأهل السينما الأمريكية بخاصة خوضاً كثيراً حتى أشاعوا الملالة فى النفوس حين تلقيه .. ولكنى أشهد أن ممارسة القراءة فى هذا المؤلف الرائع تهيىء للقارىء مدخلا مغرياً ، كأنما هو يقترب من الموضوع لأول مرة . لقد وجدتنى أقطع قرابة ستين صفحة فى كتاب من القطع المتوسط قبل أن أرفع رأسى لأقيم ما قرأت تقييم ناقد أو معترض على شىء .. ولقد كانت هذه التجربة الحقيقية مع الكاتب فى حد ذاتها شاهد عدل على القدرة الممتازة للكاتب ... تماماً كما كانت كتابة جورج برنارد شو عن موضوع القديسة جان «جان دارك» معجزة فى الأصالة والابداع حيث يلتقى القارىء بمنتهى الجدة فى موضوع متناهى القدم والتداول ...

وطفقت أبحث عما حملنى على موجة كتاب علمى كل تلك المسافة دون أن أرفع رأسى لأخالف عن مقولات الكاتب أو أناقشها ... وتذكرت كلمات للناقد الأدبى العظيم أبر كرومبى عن هذه العلامة الفارقة للكتاب الموفق فوجدت ذلك ليس فى مجرد الأسلوب السلس المتين والتعبير العربى النقى ولكن فى ميزة متفردة للكتاب كله ، وهى الرسالة التى يؤديها .. انه نموذج رائع للفكر العلمى الاسلامى المعاصر .. انه هذا الربط المحكم بين القرآن والعلم ، وهذه الأدلة المتلاحقة المترابطة على الأبواب التى فتحها القرآن أمام كل المغرمين بكشف قوانين الحياة الخفية ، أولئك الذين لولاهم ما عرفنا الكهرباء ، ولا سخرنا أمواج الجو الخفية ، ولا رصدنا أبعاد الفلك الاسطورية .

يتلاقى العلم والأدب فى تناغم موفق فى هذا المؤلف كما ذكرت ، وبأسلوب فيه كل ما فى العلم من صدق واستقامة ، وما فى الأدب من دفء وجمال ... المؤلف فى مقدمته يسرد : حكايته مع هذا الكتاب .. إنها بدأت بوفود بعض رواد الفضاء الأجانب الى السعودية ومعهم عينة من صخور القمر ، وحيث ان هذا الانجاز الباهر هو قمة هرم من جهود العلماء على مدى العصور ، فان خيال المؤلف عاد بلوعة ليتذكر كل الفضل العظيم الذى كان للاسلام وعلمائه فى قواعد هذا الهرم



د. محمد عبده يمانى .

وأساساته ، وحيث كان ذلك الفضل مظلوماً منكوراً هذه الأيام فقد عزم المؤلف على جمع كل ما يتعلق بالأطباق الطائرة وما يتصل بأمرها من علوم الفضاء ليثبت من شواهد القرآن الكريم ومنجزات العلماء المسلمين مدى الدور الذى لعبه الاسلام فى منجزات الحاضر الهائلة ، وليبعث فى أوصال المثقفين والدارسين والعلماء المسلمين روح الأمل والعزم لوصل الماضى بالحاضر ، لرفع الغبن عن ذلك الماضى المجيد بالأسلوب الحق الوحيد ألا وهو رفعة الحاضر والمستقبل.

وبأسلوب العالم المنهجى يحشد المؤلف طائفة منوعة موثقة مما ورد فى شأن الأطباق الطائرة على شريحة كافية من الزمن المعاصر وعلى امتداد رقاع واسعة من بلدان العالم وتجاربها وأخبارها المذهلة عن تلك الأطباق ، ليخلص من ذلك السرد المنسق كله الى سؤال هو بيت القصيد ، وهو شغل العالم الشاغل من وراء سائر برامج الفضاء المكلفة الطموحة «أتكون تلك الظواهر الغريبة والأطباق الطائرة سفناً فضائية جاءت من عوالم أخرى فى هذا الكون العظيم ؟ واذا كانت هناك حياة فما غاية أحيائها من ارسال سفنهم الفضائية الى كوكبنا ؟»

الخلفيات الأساسية

يرى المؤلف أن النظرة العلمية للموضوع تقتضى أولا تكوين صورة من ابداع الخالق جل جلاله لهذا الكون الذى نعيش فيه ، بملايين مجراته وأفلاكه منها المجموعة الشمسية التى تنتظم أرضنا التى نحيا عليها ... ثم دراسة الموقف الذى اتخذه المسلمون حيال الفلك والفضاء وعلومهما وما ذكر أو أنجز من مقولات فى صدد سكان الكون وذلك قبل محاولة الجواب على التساؤل الأكبر «هل الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال ؟»

أذكر أنى قرأت ودرست كتاباً للفلكى البريطانى جيمز جانز عن الكون العجيب الذى نعيش فيه ، والذى اكتشفت لاحقاً مع الأسف أن اثنين من ألمع أسماء كتاب العلوم العرب المحدثين قد نسبا مادته الى نفسيهما .. وفى ذلك الكتاب تفصيلات مذهلة عن حقائق الفضاء الهائل ومليارات أفلاكه وأجرامه ، كما أذكر مقالات نشرت منذ أوائل الأربعينات فى طائفة من أشهر المجلات العلمية بل حتى بعض المجلات الأقل تخصصاً كمجلة لايف والدايجست ... ولكنى لا أذكر أننى فهمت الأمر على وضوح وبساطة وحسن تنسيق كما فهمت عن الدكتور اليمانى والمرحوم الدكتور أحمد زكى . بل وينيف الدكتور اليمانى كل من سبقوه أولا بحداثة المعلومات وثانياً بوضوح الصور الرائعة المنتقاه وبأسلوب الكاتب المعلم الذى اعتاد أن يراعى الأذهان الأقل منه استعداداً للفهم خاصة وأن البحث علمى ومتخصص .

العلوم الكونية فى الاسلام

يشكل الفصل الخاص بالعلوم الكونية فى الاسلام لب الموضوع كله ، وفيه تتجسد تماماً غيرة العالم الأديب المؤمن ضمن ضوابط المنهجية العلمية ... والواقع إن هذا الفصل من أحسن ما يمكن أن يقدم لكل حائر متشكك ، أو جاهل منكر عظمة دينه وأمته من أبناء المسلمين ، فها هنا يقوم الدليل ساطعاً كالنهار على حقائق مذهلة عن الكون وهندسته وحقيقته وحركات أجرامه ، وعن توافر مخلوقات غيبية فيه ، وعن استمرار امتداد سعته وازدياد عدد أجرامه ، وعن مجموعات شموسه وخصائصها .. إن المؤلف يختار لك بخطة تكشف عنها شروحه اللاحقة عن عظمة الحق المتمثل فى القرآن الكريم ، مما لم يكن يخطر ببال فى جزيرة العرب ولا خارجها غداة تنزيل الذكر الحكيم ... ويبدأ المؤلف بايراد كل رواية وردت من مفسرى القرآن الكريم قداماهم ومحدثيهم ليناقش تلك التفاسير ، وينتهى بالنقاش الى ما يهز النفس إعجاباً ويملأ القلب ايماناً والفكر استنارة ورغبة فى المزيد ..

شواهد من التاريخ

فى هذا الفصل يكشف المؤلف عن حقيقة قلما يتنبه لها الدارسون من مثقفينا وهى أن مدى اعترافات الأجانب بفضل المسلمين هو مدى قصير ، وأن الأمر أخطر من ذلك بكثير ، وان ما اقتبس ونقل من العلوم الاسلامية ونسب الى الأوروبيين انتحالا بغير الحق هو أكثر مما يتراءى لنا أو يعرض علينا ، وهو أمر اعترف به قليل من المنصفين الأوروبيين كسيديو .. وأود أن أضيف الى ما يقوله المؤلف بأن كل الانتاج الفكرى والعلمى والفلسفى والأدبى والطبى الأوروبى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ينبغى أن تعاد دراسته من مثقفينا لفرز الحقائق من جديد .. إن علماء المسلمين الذين اضطهدوا فى اسبانيا الكاثوليكية وأدباءهم ومفكريهم توزعوا السكنى فى غرب أوروبا بما فى ذلك انجلترا ، وقد دفعهم الارهاب والخوف الى أن يعطوا الأوروبيين شرف العلم الذى حملوه وبثوه .. أليس غريباً تلك الطفرة العظمى بين بريطانيا القرن الخامس عشر ، وبريطانيا السادس عشر .. أليس عجيباً أن يهبط عليها فجاة كل تلك العبقريات الفلسفية والعلمية والروائية دفعة واحدة .. إن هذا موضوع ضخم ويحتاج لتحقيق ضخم وجماعى أيضاً .. ويعجبك من الدكتور يمانى تلخيص الأمور فى عبارات معبرة ومبسطة وهذه المجموعة من الصور النادرة التى يضمها كتابه .

ولشد ما أثلج صدرى هذا الفصل الرابع الذى سماه المؤلف «شواهد من التاريخ» يريد به المؤلف بابتكار واقتدار أن يهيىء براهين على معلومات واشارات تاريخية من القرآن الكريم حول قدم الحضارات السابقة لتاريخنا

ثم يتصدى المؤلف للموضوع الأساسى فى الفصول الباقية فيقول بروح المؤمن الملتزم والعالم المنهجى ما ينبغى أن يقوله المسلم النموذجى فى هذا العصر مما أدع للقارىء أن يستمتع به فالى هذا الكتاب القيم الصادر عن المطابع الأهلية بشارع عمر بن الخطاب بالرياض فى حوالى مئة وتسعين صفحة ألفت نظر القراء والمثقفين . أحمد العنانى

البنج وعلاقته بحياة الإنسان

د. عبد الفتاح الزهيري

الكثيرون يتعرضون كل يوم لتجربة التخدير الطبى أثناء اجراء العمليات الجراحية ..

والكثيرون أيضاً ، يودون أن يتعرفوا على كل تفاصيل هذه التجربة الهامة المتعلقة بحياة الانسان ، خاصة بعد أن أصبح التخدير علماً من علوم الطب ..

فالواقع أن التخدير كعلم من علوم الطب أصبح الأطباء يتخصصون فيه ولا يسمح لهم باعطائه لأى مريض إلا اذا حصلوا على دبلوم التخصص فى علم التخدير ، وليس أى طبيب يسمح له بذلك لأن التخدير مسألة تتعلق بحياة المريض . ولا مجال فيها للاجتهاد أو الخطأ والصواب كما كان ذلك منذ خمسين عاماً مضت ..



كان قدماء المصريين يستخدمون مواد مخدرة غير معروفة .

قبل العملية الجراحية

وفى الوقت الحاضر يمكن القول بأن التخدير أصبح مأموناً ولا خطورة فيه على حياة الانسان .. وكل مريض قبل اجراء العملية يجرى عليه كشف دقيق بواسطة طبيب التخدير ، وقد تؤجل العملية مرات قبل السماح له بالتخدير لكى يعالج ويصبح فى وضع لا خطر منه على حياته فى التخدير ..

وكل مريض يعتبر حالة خاصة بذاته وله نظام خاص فى التخدير بحيث يكون نظامه مأموناً وفعالا .

ما هو التخدير ؟

وعلى كل ، فالتخدير حالة مؤقتة من فقدان الوعى الكلى مع عدم الشعور بأى آلام أو احساس آخر باستخدام أدوية خاصة لهذا الغرض ..

وبانتهاء مفعول هذه الأدوية يعود المريض الى وعيه الكامل بدون أية مضاعفات ، ولذلك فهى حالة مؤقتة ..

وهذه الحالة تسمى بالتخدير الكلى الذى يتم إما عن طريق :

- استنشاق مواد مخدرة خاصة .
- أدوية مخدرة تعطى بالوريد .

وهناك التخدير النصفى باستخدام أدوية تحقن فى النخاع الشوكى بالظهر وتؤدى الى تخدير الجزء السفلى من الجسم ويظل المريض مستيقظاً وواعياً بما حوله أثناء الجراحة .

أما التخدير الموضعى فيتم بحقن مواد مخدرة فى مكان الجراحة فتصبح هذه المنطقة مخدرة وخالية من الاحساس بالألم ، وهذا النوع من التخدير الموضعى يكثر استعماله فى خلع الأسنان مثلا ..

حكاية الاكتشاف

إن اكتشاف التخدير الجراحى كان اسهاماً أمريكياً عظيماً ، حيث أن «هورس ويلز» فى يوم ١٠ ديسمبر عام ١٨٤٤ جرب غاز النتروز (الغاز الضاحك) على نفسه وتم خلع ضرس له بدون ألم وبعد ذلك بدأ هذا الطبيب يستخدمه على مرضاه لخلع الأسنان بدون ألم .

وفى ٣٠ سبتمبر عام ١٨٤٦ نجح مورتون فى خلع ضرس لمريض باستخدام مخدر آخر هو الايثير الذى قابل نجاحاً أكثر من غاز النتروز من حيث قوته وفعاليته .

● لايسمح لأي طبيب بالتخدير حتى لايتعرض المريض للاجتهاد أو الخطأ أو الصواب !

● ما هو الاكتشاف الذي أصبح رائدًا للأدوية المخدّرة وغير قابل للاستعمال؟



اجراء عملية فى المخ منذ أكثر من أربعة آلاف سنة .

وفى عام ١٨٤٧ استخدم الجراح الانجليزى «جيمس سيمبسون» كلوروفوم فى التخدير فى «ادنبرة» ، وقد كوفىء على اكتشافه هذا من الملكة فكتوريا ، وقد جربت هذا المخدر فى ولادة الأمير «ليوبولد» بواسطة «جون سنو» ولذلك سمى المخدر الملكى (كلوروفورم) !

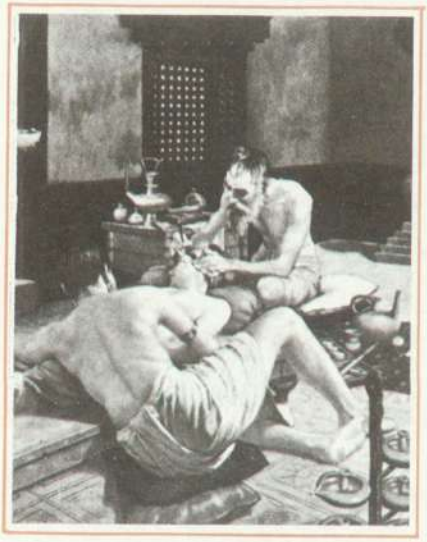
وفى عام ١٨٨٤ اكتشف البنج الموضعى «كارل كولر» طبيب الرمد النمسوى باستخدام الكوكيين ، ثم اكتشف البنج النصفى بواسطة «كورنج» فى عام ١٨٩١ .

وشهدت الفترة ما بين عام ١٨٨٠ ـ ١٩٢٠ تقدماً ملحوظاً فى الجراحة والتخدير ، وأصبح التخدير علماً يدرس للأطباء وجذب اليه كثيراً من المتخصصين الذين ساهموا فى تقدمه السريع ، ومنذ عام ١٩٢٠ حتى الآن استحدثت الأجهزة المتنوعة والآلات المختلفة التى جعلت التخدير مأموناً وفعالا ، وبذلك فتح أبواباً للجراحات المختلفة التى كان لا يمكن اجراؤها إلا بتقدم التخدير أساساً لضمان حياة المريض ونجاح العملية الجراحية .

ما قبل الاكتشاف

وقد استخدمت المواد المخدرة منذ القدم ، فمثلا قدماء المصريين الذين استخدموا الجراحة وعرفوها على نطاق واسع ، كانوا يستخدمون مواد مخدرة مازالت حقيقتها غير معروفة مثل كثير من أسرار قدماء المصريين ..

أما الصينيون فقد استخدموا



إمساك المريض أثناء تخديره .

الحشيش (القنب الهندى) لازالة آلام الجراحة التى كانت جراحات سطحية يجريها الجراح بمنتهى السرعة وهناك عقاقير أخرى كانت تستخدم مثل الأفيون بلادونا (ست الحسن) ومشروبات كحولية مختلفة .

كما أن التاريخ يحكى لنا وسائل بدائية متعددة كانت تستخدم مثل الخنق عند الآشوريين لاجراء عملية الختان (الطهارة) واستمرت هذه الطريقة فى ايطاليا حتى القرن السابع عشر الميلادى .

ولكن استخدام المواد المخدرة بطريقة كاملة ومأمونة لمنع الألم أثناء العمليات الجراحية بدأت فى حقبة من الزمن لا تتعدى الخمس سنوات من عام ١٨٤٢ حتى ١٨٤٧ م ثم انتشرت بعد ذلك وتقدمت بخطا سريعة الى الأمام من حيث الأمان والفعالية .

تطور علم التخدير

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، أدخلت أدوية «مرخيات العضلات» فى الأربعينات ، فاحدثت تطوراً خطيراً فى مفهوم التخدير وهذه الأدوية تشل حركة العضلات الارادية أثناء التخدير وبذلك يمكن اقلال كمية التخدير بالاستنشاق ..

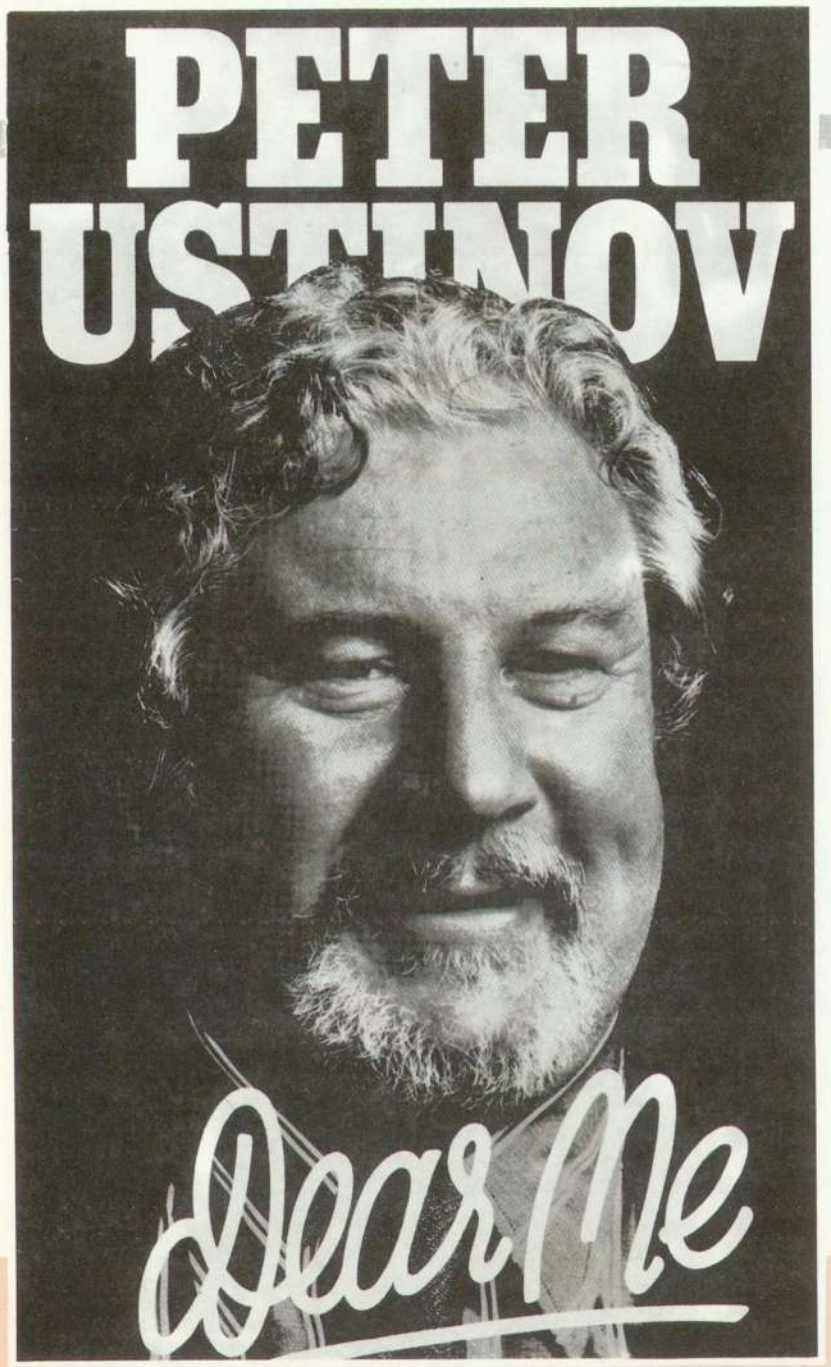
ونظراً لأن هذه الأدوية تشل حركة التنفس أيضاً فقد استحدثت أجهزة التنفس الصناعى أثناء العمليات الجراحية ..

وفى عام ١٩٥٦ اكتشف مخدر بالاستنشاق شديد الفعالية عن الايثير يسمى بالفلوسين الذى أصبح رائد الأدوية المخدرة فى عصرنا هذا نظراً لأنه غير قابل للاشتعال أو الانفجار ، وبذلك انعدمت حوادث اشتعال غرف العمليات وحدوث الانفجارات فيها باستخدام مادة الايثير وأى مصدر حرارى فى غرف العمليات ..

ولقد استحدثت عدة طرق فى التخدير مثل التبريد وتخفيض ضغط الدم وذلك لمساعدة الجراح على القيام بعمليات داخل المخ وداخل القلب ..

والآن وفى كل مستشفى تقريباً توجد وحدة للعلاج المركز فيها أحدث أجهزة التنفس الصناعى ، والكلى الصناعية ، وعلاج الحالات الخطيرة تحت اشراف أطباء التخدير الذين يجيدون هذا العمل .

عبد الفتاح الزهيرى





مع زوجتى هيلين .

عزيزي أنا

● قصة الفنان الضاحك بيتر أوستينوف ورحلة حياته الغريبة .. بقلمه

مزيج غريب من الأحداث والشخصيات كان هو المركب الأساسى الذى صنع شخصية فريدة فذة : «بيتر أوستينوف» .. المؤلف المسرحى ونجم السينما والمسرح والمخرج ومصمم الديكور والأزياء .. الانجليزى المولود فى لندن ، رغم أنه ينتمى إلى أصول روسية والمانية وفرنسية .. وحبشية ايضاً ! وفى كتابه «عزيزى .. أنا» ـ ٣٤٠



جدى الأكبر الذى عاش ١٠٨ عاما .



فى الوسط جدتى الاثيوبية الكبرى تحمل جدتى والدة أمى .



أبى واخيه يستعدان لمنصب البارون الأحمر .



أبى وطائرته فى الحرب العظمى .



صورة خطوبة جدى وجدتى ـ فينيسيا عام ١٨٨٥ .

كنت احب رسم الاسكتشات ومنها بورتريه لبرناردشو .



● حاول أن يعمل في المخابرات الإنجليزية .. لكنه فشل في الامتحان لسبب غريب !

صفحة من مطبوعات بنجوين ـ يقدم لنا «بيتر أوستينوف» حواراً بينه وبين نفسه ، يستعرض من خلاله سلسة من الأحداث والمواقف التى عاشها وهو يشق طريقه إلى القمة . والكتاب بهذا المعنى ليس سيرة ذاتية متكاملة ، ولكنه عبارة عن مجموعة من الصور الصغيرة التى تكون فى النهاية صورة كبيرة واحدة .. هى حياته .

●● أجداد فى كل مكان :

وما إن تفتح الكتاب حتى تطالعك روحه المرحه ، فهو يهدى كتابه إلى كل من لم يرد ذكرهم فيه .. سواء بالصدفة .. أو عن عمد !

بعدها نبدأ فى التعرف على ذلك المزيج الغريب من الأحداث والشخصيات التى صنعت حياته

كتاب الشهر

عزيزي أنا



ابنتي بافلا .



وشخصيته .. لقد بدأت أمه حملها فى لينينجراد ، لكنه ولد فى لندن عام ١٩٢٠

وأبوه كان مراسلا لوكالة الأنباء الألمانية ، واحد العوامل الرئيسية وراء اختياره لتلك الوظيفة هو أن اسمه ليس ألمانيا .. فالألمان لم يكونوا يلاقون – فى أعقاب الحرب العالمية الأولى – المعاملة الطيبة فى أوربا ، ولذلك فان رجلا ألمانيا يحمل اسماً روسياً ، ومتزوج من سيدة روسية ، هو الرجل المناسب لتمثيلهم فى انجلترا !

أما إذا عدنا إلى مرحلة أبعد من تلك ، فسوف نكتشف أن أحد أجداده ولد عام ١٧٣٠ فى مدينة ساراتوف على نهر الفولجا ، بينما ولد جد آخر عام ١٧٧٥ فى فينيسيا بايطاليا ، وكان جد ثالث مدرساً باحدى المدارس الريفية الصغيرة على بعد مئات الكيلومترات جنوبى باريس ، وله أيضاً جد كان يعيش فى سويسرا .. إضافة إلى جد خامس عاش فى أديس أبابا ! وقد انتهى هذا الخليط العرقى المتباين إلى جده لوالده ، الذى كان ضابطاً بالجيش الروسى ، ثم تقرر نفيه إلى سيبيريا وبعد أن أمضى هناك بضع سنوات باع كل أملاكه ، التى درت له عائداً ضخماً ، ثم قرر أن يرحل إلى أوربا لكى يستمتع بثروته . وكان «المنفى» الذى يلائم روسيا مثله هو ألمانيا ، واختار أن يقيم فى فورتمبرج ، وهناك منح لقب البارون بلاتون أوستينوف ، باعتبار أنه نبيل روسى .

ولأن الرجل كان صاحب مزاج متقلب ، فانه سرعان مامل الحياة فى فورتمبرج ، فانتقل إلى إيطاليا لأنه يرتبط بها بوشائج عرقية قديمة .

والصورة التى يرسمها «بير أوستينوف» لجده صورة غريبة حقاً .. فهو مثلاً يعتبر أن المال مجلبة للأمراض ، حتى أنه كان يغسل العملات المعدنية فى ماء مطهر قبل أن يذهب لشراء ما يحتاج إليه ، أما العملات الورقية فكان لا يمسك بها إلا وهو يرتدى القفاز . ورغم ذلك فانه رفض دائماً أن يضع أمواله فى البنوك ، وكان يحملها معه فى كل مكان داخل حقائب اليد أو الصناديق وحقائب الملابس !

ولم تستطع زوجته أن تتحمل معاملته القاسية ، وإهماله الشديد لها ، وطباعه الغريبة فكان أن تركت له الدنيا ذات يوم .. وهربت إلى البحر .. مع بحار وقعت فى غرامه . وكانت تلك الحادثة ذات أثر بالغ عليه ، وجعلته يعيد النظر فى حياته وأفكاره . وبعدها قرر الانتقال إلى «الأرض المقدسة» فى فلسطين ، لعله يتطهر من أدران الدنيا وسيئاتها ، حيث بنى له بيتاً كبيراً فى يافا . وهناك التقى بابنة قسيس سويسرى عمل لفترة طويلة مبشراً فى أثيوبيا ، وكان ذلك كافياً – فى رأيه – لكى يتزوج منها وهو مطمئن إلى أنه لن يكون ضحية مغامرة مؤسفة أخرى ومن هذه الزوجة أنجب الرجل ثلاثة أبناء وبنتاً واحدة .. من بينهم «جونا» أبو «بيتر أوستينوف» .

ولأن الجد كان قد حصل على الجنسية الألمانية ، فانه أرسل ابنيه «جونا» و «بيتر» إلى هناك ليكملا تعليمهما . ولما كانت الأوضاع فى تلك الفترة تسير باتجاه اندلاع الحرب العالمية الأولى ، فانهما وجدا نفسيهما مجندين فى الجيش الألمانى ، والتحقا بالسلاح الجوى ، حيث قتل «بيتر» خلال الحرب .

أما الجد .. فما أن شعر بريح الحرب وقد أخذت تهب ، قرر العودة إلى روسيا ليشترك مع جيشها فى الحرب ، مادام جندياً سابقاً . وحينما تقدم للسفارة الروسية طالباً التصريح له بالسفر إلى روسيا ، فوجىء بانهم يرفضون ذلك



دروماتوف وجولييت وحديث مع هارى ترومان .



«بـو بروميل» مع روزمارى هاريس ـ بيتر أوستينوف .

لتقدمه فى السن ، وعدم صلاحيته للخدمة العسكرية ، وبحكم طبيعته المعاندة اتخذ قراراً بالسفر إلى روسيا .. متسللا .. حيث انقطعت أخبـاره هو وزوجته ، وابنه الثالث وابنته ..

●● اكثر الفصول اثارة :

وبعد انتهاء الحرب عمل «جونا» مراسلا لوكالة الأنباء الالمانية فى امستردام لفترة ، ثم شعر بان من واجبه أن يبحث عن أسرته التى انقطعت أخبارها .. ولكن نجاح الثورة الشيوعية فى روسيا قلب كل الأوضاع ، وجعل من سفره إلى هناك أمراً صعباً . وهنا يحكى لنا «بيتر أوستينوف» مغامرة غريبة ، كانت هى الخطوة الأولى على طريق ميلاده .. فقد وجد أبوه أن الحل الوحيد لدخول روسيا هو الانخراط فى صفوف مئات من أسرى الحرب الذين يجرى تبادلهم ، وفعلا نجحت خطته فأصبح ذات يوم مع مئات الجنود العائدين .. لكنه تبين أنهم يلقون معاملة قاسية للغاية لم يستطع أن يتحملها . وجاءته فرصة التخلص من تلك الظروف الصعبة أثناء نقله مع الجنود بواسطة أحد القطارات أثناء الليل .. حيث قفز منه إلى المجهول !

وبأسلوب يجمع بين السخرية والاثارة يروى «أوستينوف» كيف كان صعباً على ذلك الألمانى الذى ولد فى فلسطين أن يبحث عن أسرته فى بلد تصل مساحته إلى سدس مساحة الكرة الأرضية ، خاصة وأنه لا يجيد الروسية ، ولا يعرف أيضاً أية معلومات مفيدة يمكن أن تكون بداية الخيط الذى يمسك به ! والمهم أن «جونا» وصل ـ فى عام ١٩٢٠ ـ إلى مدينة ليننجراد ، ووجد أن من الأفضل بالنسبة له أن يستقر هناك ، حتى يتعرف على طبيعة الحياة ، ويبحث فى الوقت نفسه عن الجسر الذى يمكن أن يعبره ليصل إلى أسرته .

وفى ليننجراد بدأ «جونا» ينخرط فى الحياة ويتعرف على الناس ، ومن بينهم تعرف على أسرة غير عادية .. فالرجل ابن طاه فرنسى أعجب بطهوه وبراعته نبيل روسى فجاء به معه ليستقر فى روسيا ، وخلال إحدى رحلاته لوطنه تزوج من فتاة ايطالية .. ومن هذا المزيج الفرنسى الأيطالى أنجبا ابنة روسية ، شاهدها «جونا» لأول مرة فى إحدى الحفلات فوقع فى غرامها ، وبعدها بأسبوعين كان قد تزوجها !

فى نفس الوقت اكتشف أن والده ـ الذى كان يحاول العودة إلى صفوف الجيش ـ لم يجد من يستمع اليه حتى مات من الجوع . أما أمه ـ وهى نصف

«أوتيل صحارى» أحد أفلامى .



اثيوبية ـ واخته «تابيثا» فكانتا مريضتين باحد السجون المحلية .. لأنهما لم تستطيعا التفاهم مع رجال الجيش ، لأنهما لا تعرفان الروسية ، التى لا يعرف غيرهـا هؤلاء . وبالطبع كان من الصعب التوصل إلى الأفراج عنهما فى الظروف المتشابكة التى مرت بها روسيا فى أعقاب الثورة ، والتى أدت إلى تشديد إجراءات الأمن بشكل مبالغ فيه . ولكن الرشوة كانت هى «الثقب» الذى استطاع «جونا أوستينوف» النفاذ منه ، حيث خرجت فعلا والدته واخته ، وتمكن من إرسالهما إلى القاهرة عن طريق اسطنبول على ظهر احدى السفن .

وبعد أن انتهت المهمة التى جاء من أجلها .. أصبح على «جونا» أن يغادر روسيا هو الآخر . ولم يكن هناك بالطبع سوى نفس «الثقب» ، ومن خلاله حصل على وثيقة تثبت أنه جندى ، وبالتالى يسمح له بمغادرة الاتحاد السوفيتى فى إطار تبادل الأسرى ، على أن تصحبه زوجته الروسية التى تزوجها حديثاً .

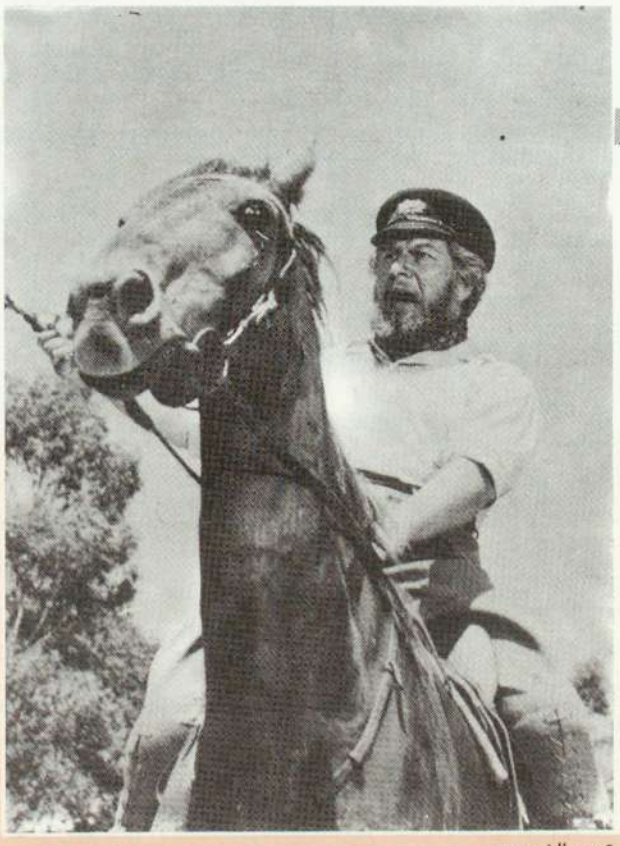
وهكذا انتهى اكثر فصول قصة حياة «بيتر أوستينوف» غرابة وإثارة ..

أصبح ممثلا :

وفى انجلترا عاش «بيتر أوستينوف» مع والديه حياتهما الجديدة ، بعد أن حصل والده على الجنسية الانجليزية ، وترك وكالة الأنباء الألمانية ليعمل مراسلا لأحدى الصحف الأيرلندية فى لندن وفى المدرسة استهواه النشاط المسرحى ، وأذهلته فى تلك السن ـ كما يقول ـ قدرة الممثلين على حفظ وأداء أدوارهم ، وهو

عزيزي أنا




«تحت الشمس» .


مع إيزولد فى الجرين بارك .

سر لم يستطع أن يفهمه ، تماماً كما لم يستطع فهم كيف يمكن لعازفى البيانو حفظ كل النوتات الموسيقية .

وكان طبيعياً أن يلتحق بعد ذلك بمدرسة الدراما ، رغم أن ذلك لم يكن يتفق مع أحلام والده . وهناك شعر بأنه أصبح يسبح فى المياه الصالحة له . ويقول إنه كتب فى تلك المرحلة أول مسرحية فى حياته .. وكانت تجمع بين الكوميديا والميلودراما والفارس والتراجيديا فى نفس الوقت ! وكان موضوعها يدور حول عصابة من طراز عصابات شيكاغو تمارس نشاطها فى الريف الانجليزى . ورغم أنها كتبت فيما لا يزيد على ١٥ صفحة ، فانها احتوت على عدد كبير من جرائم القتل .. ففى كل صفحة كان هناك قتيل واحد على الأقل ! وبعدها كتب «أوستينوف» عدة مسرحيات ، ربما كانت أفضل من تلك ، ولكنه لم ينه أياً منها ، إلا أنه اكتشف عبرها أنه يتوق إلى الرحيل بعيداً ..

ثم تستوقفنا حادثة هامة ، تلقى ضوءاً ساطعاً على الظروف غير العادية التى كانت تحياها أسرة «أوستينوف» فى انجلترا . فذات مساء فوجىء بوالده يقترح عليه أن يقضى الأمسية فى مشاهدة فيلم سينمائى . ورغم انه تعجب من ذلك «العرض» الذى يقدمه له والده لأول مرة ، فان الفكرة راقت له . وبينما كان يهبط الدرج فى طريقه إلى السينما قابل عدداً من الرجال يصعدون باتجاه شقة والده واسترعى انتباهه مظهرهم الغامض ، وعندما عاد فى الليل لاحظ أن والده ما يزال يجلس مع أولئك الذين شاهدهم على الدرج ويدور بينهم حديث خافت ، فدلف إلى فراشه دون أن يهتم بمعرفة ما يجرى فى الغرفة الأخرى . ولكن بعد ذلك بعدة سنوات ، وخلال الحرب العالمية خطر له أن يسأل والده عن تلك الليلة وأحداثها الغامضة ، فأخبره «جونا» بأن أحد رجال السفارة الألمانية فى لندن اتصل به فى أحد الأيام وطلب منه التوسط لترتيب لقاء بين عدد من كبار الضباط الألمان والانجليز ، ويستطيع خلاله الألمان نفى ما يتردد عن استعداداتهم ، للحرب ، وذلك منذ منطلق أنه شخص موثوق به من الجانبين وبالفعل أجرى «جونا» اتصالات بوزارة الحرب البريطانية ، أمكن فى نهايتها الاتفاق على تنظيم ذلك اللقاء بشكل سرى . وبعدها جاء إلى لندن الضباط الألمان فى ثياب مدنية ، وعلى ظهر طائرة مدنية عادية ، والتقوا بالضباط الانجليز فى تلك الليلة فى منزل «أوستينوف» !

ونعود معه ثانية إلى أيام الدراسة .. لنجده قد تعرف بفتاة يقول انها ليست جميلة ، ولكن تحيط بها هالة من الغموض الخاص ، الذى اجتذبه إليها ، وجعله يحرص على الجلوس بجوارها خلال الدروس .. أو على الأقل بالقرب منها .. وبسرعة نمت بينهما علاقة وطيدة خاصة بعد أن اكتشفت أنها مثله .. تتوق إلى الرحيل بعيداً .. فقد كانت «ايزولد» ابنة الكاتب المسرحى «رينالد دينهام» تعيش ظروفاً عائلية صعبة ، نظراً لوجود خلافات شديدة ومستمرة بين والديها . وهنا أدرك أن عليه أن يعمل مادام يفكر فى تكوين أسرة .

وأتيحت له الفرصة ليشترك فى عمل مسرحى ، حيث ظهر فى دور صغير فى مسرحية «تشيكوف» الخال فانيا ، على خشبة مسرح صغير فى شيرى . ويقول «بيتر أوستينوف» إنه اشترى غليوناً ، ثم استقل سيارة أجرة للمرة الأولى فى حياته واتجه إلى محطة القطار فى طريقه إلى المسرح ! وكانت تجربة مثيرة أن يواجه جمهوراً كبيراً ، حيث تحملق فيه كل العيون ، وتتابع حركاته وكلماته .. ولكنه اجتاز «المحنة القاسية» بنجاح ، وفى الليلة التالية كان أداؤه أفضل .

أما المسرحية الثانية التى ظهر فيها فكانت من تأليف الأديب الأسبانى «جارثيا لوركا» ،وهى مسرحيته «ماريانا بينين ١» التى كانت تقدم لأول مرة فى انجلترا ، وأخرجها «جون بوريل» وفيها أدى دور قائد البوليس الأسبانى الفاسق ورغم صعوبة المسرحية فانه استطاع إثبات وجوده ، فكان أن كتبت عنه



مع كيرك دوجلاس في فيلم «سبارتاكوس» .

● هتلر كان السبب في تأجيل أول مسرحية يشترك فيها اوستينوف

صحيفة تايمز تمتدح أداءه ، وقالت إنه أدى دور «بيدروسا» بشكل طيب . ويقول إن ذلك كان بالنسبة إليه حدثاً رائعاً لم يكن يتخيله أبداً ! وأثناء عرض المسرحية ـ الذى استمر لمدة أسبوعين ـ تعرف «أوستينوف» على «تشارلز لوتون» الذى أعجب بما قدمه الممثلون الصغار ، ودعاهم ذات مرة لتناول الشاى فى منزله

●● العمل بالمخابرات !

وبعد عامين أمضاهما فى مدرسة الدراما خرج «بيتر أوستينوف» ليواجه العالم ، وهويبحث عن فرصة يبدأمنها حياته كممثل محترف ، فكتب إلى عدد من المخرجين .. دون أن يتلقى رداً واحداً ، وبدا له أن كل الأبواب مغلقة فى وجهه . وإذا به يتلقى عرضاً للاشتراك فى تمثيل إحدى المسرحيات الكبيرة ، ولكن كبدليل «للنجم جـورج ديفين» .. فقبله فوراً .. وقرر أن يقوم برحلة خارج بريطانيا عندما ينتهى العرض ويقبض مرتبه . ولكن «ادولف هتلر» ـ أو «استاذ الدراما» كما أسماه ـ فاجأ العالم بأفعاله ، حتى قبل أن يبدأ بروفات المسرحية .. فتقرر صرف النظر عنها !

وكان اندلاع الحرب العالمية الثانية ـ

١٩٣٩ ـ سبباً فى أن يكره «جونا أوستينوف» ألمانيا و «أدولف هتلر» شخصياً لأنه خدعه ، كما كان سبباً فى محاولة فعل أى شىء لخدمة انجلترا ، لأثبات أنه أصبح انجليزياً قحاً ، ولم تعد تربطه بألمانيا أية روابط . ولعل أغرب خطوة أقدم عليها فى هذه الناحية هى أنه حاول أن يلحق ابنه «بيتر»



رومانوف وجوليت أخيراً رئيسا لبلدى .

بالمخابرات الانجليزية ، ورتب له فعلا لقاء لاختباره مع أحد عملاء المخابرات .. فكان على «بيتر» أن يذهب إلى إحدى محطات مترو الأنفاق ، حيث يجد شخصاً يقرأ فى صحيفة نيوز كرونيكل ، فيتقدم منه ويساله عن الطريق إلى ميدان ايستون ..وعندها سيساله الرجل عن أى رقم يسأل ، وعندما يقول رقم تسعة سيأخذه الرجل فى جولة يتبادلان الحديث خلالها .

وخلال هذه الفترة اضطر «بيتر أوستينوف» للعمل فى أحد الملاهى ، الذى يحمل اسم «مسرح البلايرز» ، حيث يقدم مقاطع من بعض المسرحيات ، مقابل خمسة جنيهات كل أسبوع . وبعد فترة بدأت لندن تستعيد نشاطها رغم الحرب وأخذت الفرق المسرحية تتحرك ، فعمل ـ للمرة الأولى ـ على مسارح لندن ، وتحسنت أوضاعه المالية .. فتزوج من «إيزولد» وبدأ حياته معها ، بينما لم يزد عمر كل منهما على التاسعة عشرة .

أما طريقه السينمائى فقد بدأ السير فيه ابان نفس الفترة ، حيث اشترك فى فيلم وثائقى اسمه «جريمتى» ومثل فيه شخصية «فان ديرلوب» الألمانى الذى قام بحرق مبنى الرايخستاج . وكان فيلمه الثانى بعنوان «مرحباً بالشهرة» . ثم اشترك بعده فى فيلم جيد ، هو «إحدى طائراتنا مفقودة» ، الذى أخرجه «ميشيل بويل» ، واشتركت فيه مجموعة من الممثلين الانجليز المعروفين ، وأدى فيه دور قسيس ألمانى . وعقب ذلك اشترك فى فيلمين ، أولهما هو «دع الناس تغنى» ، وقدم فيه شخصية عالم تشيكوسلوفاكى ، أما الثانى فكان كوميديا ، وأدى فيه دور تلميذ فى إحدى مدارس التجسس النازية .

ثم بدأ الهجوم الألمانى المكثف على انجلترا ، فانحسر النشاط الفنى وتوقف ، وعاش «أوستينوف» من جراء ذلك فى لزمة مالية حادة .. لم ينقذه منها إلا استدعاؤه للجيش !

●● الهجوم على روسيا .. وظهور مؤلف جديد !

وفى شهر يناير عام ١٩٤٢ تلقى «بيتر أوستينوف» استدعاء للانضمام للجيش ، وفعلا انضم إلى إحدى وحدات المشاة يوم ١٦ يناير ، ليبدأ سلسلة جديدة من الأحداث . ويقول إنه كان قد انتهى من كتابة احدى مسرحياته قبل انضمامه للجيش قبل عدة أسابيع ، وسلمها إلى احد النقاد ليبدى رأيه فيها وملاحظاته حولها . ولكن مر الوقت دون أن يفاتحه الرجل فى الموضوع ، مكتفياً بالابتسام كلما لقيه ، فأدرك أن المسرحية لم تعجبه ، ومن ثم نسيها .. حتى جاء يوم تاريخى غريب .. وهو الثانى والعشرون من يونيو عام ١٩٤٢ .. فقد أعلن فيه أن «هتلر» قام بمغامرة جديدة حيث غزا الاتحاد السوفيتى وأثار النبأ اهتماماً بالغاً فى كل مكان ، باعتباره نقطة تحول فى

● لماذا يتذكر دائمًا تاريخ غزو هتلر للاتحاد السوفيتي؟
● النجاح يفتح الطريق دوامًا أمام النجاح
● أشياء كثيرة يجهلها أوستينوف عن نفسه !



في فيلم فيفا ماكس .



مسيرة الحرب . وفى المساء جلس الجندى «بيتر أوستينوف» فى وحدته العسكرية يطالع أنباء الغزو فى صحيفة سانداى تايمز . وبعد أن انتهى أخذ يقلب فى الصحيفة ، فاستوقفه مقال بعنوان : مؤلف مسرحى جديد ، كتبه الناقد المعروف «جيمس آجات» ، وكانت المفاجأة هى أن المقال عنه وعن مسرحيته ويقول إنه لا يستطيع وصف السعادة التى شعر بها ، والتى دفعته لقراءة ذلك المقال عشر مرات .. ولذا ـ كما يقول ـ فانه لا يمكن أن ينسى أبدا تاريخ غزو «هتلر» للاتحاد السوفيتى .

وعرضت مسرحيته « بيت الاعتذارات» ـ التى امتدحها «آجات» ـ يوم ٦ اكتوبر عام ١٩٤٢ فى لندن ، وأخرجها «اليك كلونيس» على مسرح الفن ، وحققت نجاحا كبيرا ، كما حظيت بتقدير النقاد بصورة لم يكن يتوقعها ، حتى أن جريدة الدايلى ميل قالت إنها أفضل مسرحية عرضت خلال فترة الحرب العالمية كما أجرت معه الصحيفة لقاء مصورا ، وبعدها صدرت فى كتاب . ومن الأحداث الطريفة التى يرويها «بيتر أوستينوف» عن تلك المسرحية ، أنه ذهب ذات ليلة خلال إجازة من الجيش ـ لمشاهدة المسرحية ، وبعد العرض استدعاه الممثلون ليكون معهم على المسرح عند تحية الجماهير . وعندما عاد إلى وحدته فوجىء بتوقيع عقوبة عليه لظهوره على المسرح مع الممثلين .. وهو مالا يليق برجل عسكرى !

ولحسن الحظ نقل «أوستينوف» إلى وحدة أخرى قبل تنفيذ العقوبة . وكانت الوحدة الجديدة هى وحدة الخدمات السينمائية بالجيش ، التى كانت تضم مجموعة من الفنيين والفنانين السينمائيين الذين يخدمون بالجيش وبالطبع فان الجو فيها كان مختلفا تماما عن الجو العسكرى .. فالجميع فنانون .. ولهم نفس الطموحات والأحلام

والتحق ثانية بوحدة الخدمات السينمائية ، فاشترك مع النجم «دافيد نيفين» ـ الذى كان مجندا أيضا ـ فى تصوير فيلم عن الجيش والمعارك التى يخوضها وكان مركز العمل فى الفيلم أحد فنادق لندن الكبيرة ، وبمنتهى السهولة كان النجوم وكبار الفنيين المشاركون فى الفيلم يدفعون يدفعون مبالغ كبيرة كل يوم لقاء الطعام والشراب الذى يطلبونه من الفندق ، وهو شىء لم يكن ، النجم الصاعد «أوستينوف» يستطيع أن يفعله .. وهداه تفكيره إلى أن يبيع تمثالا للفنان «رودان» ، لكى يستمتع ـ مثل زملائه ـ بتناول الطعام والشراب فى الفندق . ورغم أنه لم يحصل إلا على ستين جنيها ثمنا للتمثال الثمين ، فان المبلغ كان كافيا لشراء كل ما يريد .. مثل الفنانين الكبار . والطريف أنه خلال وجوده بالولايات المتحدة ، بعد الحرب بعدة سنوات ، وجه له «دافيد نيفين» الدعوة لزيارته فى منزله بهوليوود وهناك لاحظ وجود التمثال .. وعندما سأل «نيفين» من أين اشتراه ، أجابه وهو يبتسم فى سعادة : إنها واحدة من أحسن الفرص التى سنحت لى ، فلم أدفع فيه سوى خمسة وستين جنيها عندما اشتريته من أحد محلات لندن الصغيرة أثناء الحرب !

●● «نيرون» فى ايطاليا :

وانتهت الحرب بكل أحداثها ، فأصبحت الظروف مناسبة لكى يستانف «بيتر أوستينون» نشاطه ، بعيدا عن الملابس العسكرية ، وما فرضته عليه من قيود كثيرة .

وفى سن الثامنة والعشرين أتيحت له فرصة رائعة ، حيث فتحت أمامه أبواب السينما الأمريكية .. فقد رشحته شركة مترو جولدين ماير لتمثيل شخصية «نيرون» ، فى فيلم «كوفاديس» الذى قررت إعادة إنتاجه . وذهب لأداء اختبار فى الأداء أمام المخرج المعروف «جون هوستون» ، وبذل كل جهده لأثبات قدراته ، فكان أن نجح .. ولكنه فوجىء ببعض المشكلات التى أدت إلى تأجيل العمل فى العمل فى الفيلم لمدة عام .. ولذلك عندما وصلته برقية من الشركة تخطره باختياره للدور وموعد التصوير فى ايطاليا ، قرر ـ احتفاء بتلك المناسبة ـ شراء سيارة جديدة لأول مرة فى حياته ، بعد أن كان يركب سيارة مستعمله . وبالسيارة الجديدة قام بجولة رائعة عبر أسبانيا وفرنسا وايطاليا فى الطريق إلى روما لبدء التصوير .

وهناك التقى بالمخرج «ميرفين ليروى» قبل التصوير ببضع ساعات فقط ،

وتقرر أن يذهب «أوستينوف» إلى أوبرا روما ، لكى يتلقى ثلاثة دروس فى الغناء الأوبرالى ، قبل أن يغنى المرثية التى يرددها «نيرون» بينما روما تحترق . وفوجىء بأن المدرب يسخر من فكرة



أنا وابنى .



فى (الجندى المجهول وزوجته) .



أبى وأمى .

الدروس الثلاثة ، مؤكداً له أن الأمر يحتاج إلى ثلاث سنوات على الأقل .. وربما يثمر بعدها التدريب .. وربما لا ! وبالطبع لم تكن هناك فرصة إلا لتلك الدروس الثلاثة

وبعد انتهاء العمل فى «كوفاديس» عاد إلى لندن وهو يشعر بأنه أضاف الشىء الكثير إلى خبراته ، خاصة وأنه أمضى خمسة أشهر فى روما . تلك المدينة ذات النكهة الخاصة .

●● بين الواقع والخيال :

وفى لندن شرع «بيتر أوستينوف» فى كتابه مسرحية جديدة بعنوان «حب الكولونيلات الأربعة» ، واستوحى أحداثها من الحرب . والكولونيلات ينتمى كل منهم إلى احدى دول الحلفاء : امريكا ـ انجلترا ـ فرنسا ـ الاتحاد السوفيتى . وفى الفصل الأول يبدون لنا رجالا واقعيين تماماً فيهم تجتمع مشاعر السخط والطموح ... ثم يبدأ الشر فى إغرائهم .. وهنا يبدأ الفصل الثانى ، فنجدهم فى القصر المسحور ، وكل منهم يحاول التقرب إلى أميرة القصر «الجمال النائم» بطريقته ، فالانجليزى يستخدم رومانتيكية العصر السليزابيثي ، بينما الفرنسى يتحول إلى ماركيز من القرن السابع عشر ، أما السوفيتى ـ وهو رجل فظ ـ فانه يصبح واحداً من ضباط القيصر بزيه الموشى بالقصب ، والأمريكى الذى يتناول باستمرار العديد من الأقراص ، ويبدو متوتر الشخصية ، فيتحول إلى أب لطيف يرتدى زياً عسكرياً وفى الفصل الثانى يرى الأربعة زوجاتهم ، اللاتى وصلن لزيارة أزواجهن .. وهنا يصبح على كل كولونيل أن يختار بين الواقع والخيال .. ويختار الرومانتيكيان ـ وهما الأمريكى والفرنسى ـ أن يبقيا فى القصر يداعب كلا منهما حلم أن تحبه الأميرة ، بينما يقرر الروسى والانجليزى العودة للواقع ، ايماناً بأن المثالية انتهى زمنها ، ولا يمكن أن تعود ثانية .

وقد عرضت المسرحية فى شهر مايو عام ١٩٥١ على مسرح ويندهام بلندن ، وتعد أول نجاح كبير يحققه «بيتر أوستينوف» ، بينما يرى هو أنها علامة على نضوجه . وتقدمه فى السن . كما عرضت المسرحية فى نيويورك وأخرجها «ريكس هاريسون» الذى قام أيضاً ببطولتها بالاشتراك مع «ليلى بالمر» . وعلى الرغم من أنها لم تعرض هناك لفترة طويلة ، كما عرضت فى لندن ، فانها لقيت نجاحاً كبيراً ، وفازت بجائزة النقاد لأحسن مسرحية غير أمريكية لعام ١٩٥٣ . أما فى باريس فقد عرضت لمدة ست سنوات ، كما عرضت فى ألمانيا الغربية وهولندا والنرويج .

ويبدو أن النجاح يفتح دائما الطريق أمام مزيد من النجاح .. فقد عرض فى نفس الوقت فيلم «كوفاديس» ، ورشح «أوستينوف» لجائزة أحسن ممثل مساعد ويقول هو إن الرياح أخيراً أصبحت مواتية بالنسبة لسفينته .. فانتقل إلى منزل جديد ذى حديقة جميلة ، وكثيراً ما أمضى فيها وقت الفراغ مع كتبه واسطواناته ، وكانت أمه تأتى كثيراً للأقامة معه لبعض الوقت ، بعد انفصاله عن «ايزولد» .

ومع توسع أعماله ونشاطاته ، ونظراً للازعاج الشديد الذى انتابه من رجال الضرائب الذين كانوا يطاردونه باستمرار ، أنشأ شركة لأدارة أعماله ، عين فيها والده ، ولكنه كان بعيداً تماماً عن ذلك الجو الغريب عليه ، والذى لا يتناسب مع شخصيته وطبيعته وأسلوب حياته ، وبدا فى الواقع أن «بيتر» هو الأب ، و «جونا» الذى يحاول أن يكون مفيداً .. هو الأبن !

وفى تلك الأثناء أصبحت حياة «بيتر أوستينوف» اكثر هدوءاً وانتظاماً لكنها لم تصبح اكثر استقراراً ، وأخذ يشك فى أنه يصلح للزواج ، على الرغم من ادراكه لحقيقة أنه لا يستطيع الاستمرار فى حياة العزوبة .. فالنجاح والسعادة والمال تبدو غير كافية ، والعزلة ضرورية للكاتب لعملية الابتكار والخلق ، لكن الوحدة شىء قاس .. الوحدة بين الناس .. ووسط المرح والبهجة .

وذات يوم ، وفى احدى المكتبات شاهد فتاة جميلة على غلاف احدى المجلات ، ولفرط اعجابه بالفتاة اشترى المجلة ، ثم ذهب إلى المسرح . وكانت المفاجأة أن ناشره الفرنسى جاءه بعد قليل .. ومعه نفس الفتاة ، وطلب منه العناية بها لأنها جاءت للأقامة فى لندن ، بينما هو مضطر للعودة إلى فرنسا .. وانتهى الأمر بزواجه من «سوزان» ، ثم رحلا معاً إلى الولايات المتحدة لتصوير فيلم فرعونى سخيف .. لم يستطع هو نفسه مشاهدته عندما بدأ عرضه ! وعقب انتهاء العمل فى ذلك العمل اشترك فى فيلم «لســـنا ملائكة» .

وبسبب الضرائب الباهظة فى انجلترا ، والتى لا تعنى بدور الكاتب ومشاعره ، وترغمه على أن يكدح لكى يعطى الحكومة معظم نتاج كدحه .. قرر النزوح إلى سويسرا ..

وينتهى الحوار بأن يعترف «أوستينوف» بانه حقق مزيداً من التعرف على نفسه .. لكن ما تزال هناك اشياء أخرى كثيرة يجهلها !

عبـــاس خضـــر

من الكفراوي إلى أرسين لوبين

أحياناً يكون الكاتب ملهماً كأنما يستمد الكلمات من ربه ... خصوصـــاً عنـــدما يكـــون الحديـــث عـــن شـــخصه .

«أناتول فرانس»

انهمكت فى قراءة قصص الهلالية ، وعشت فى جوها زمناً ، وأنا صبى صغير لم أجد أمامى ما يقرأ بخلاف المصحف الشريف غيرها . رأيت عند أبى كتباً لم أفهم فيها شيئاً وقتذاك . ولما كبرت وفهمت عجبت .. كيف وقعت هذه الكتب لأبى وهى فوق مستواه ، فهو لم يجاوز فى التعليم مرحلة كتاب القرية الذى تعلم فيه القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من سور القرآن وآياته .

كتاب «الرحلة الحجازية» لأمين سامى وكتاب «المرأة الجديدة» لقاسم أمين ، وكتاب «اعلام الناس فيما جرى للبرامكة من بنى العباس» وغيرها .

ومعقول أن يكون عند أبى بعض كتب الفقه على مذهب الامام مالك الذى يسير على مقتضاه ، فى تدينه ، وهو قد اختلط بأبناء القرية الذين «جاوروا» فى الأزهر . وأبى لم «يجاور» ولكنه استفاد من المجاورين العائدين استفاد منهم علماً وقدرة على قراءة كتبهم الأزهرية وفهم محتوياتها الى حد ما .

أما كتاب «المرأة الجديدة» مثلا فأكبر الظن أنه اقتناه مجرد اقتناء ولم يقرأ فيه شيئاً ، وإلا لأحرقه وما أبقاه عنده ... فالمرأة عنده ـ أى عند أبى ـ شىء آخر مختلف جداً عن المرأة الجديدة التى يرمى اليها قاسم أمين .. انها حريم وكيف تخرج عن الحريم .. ؟

تركت ذلك كله ولم ألتفت إلا إلى قصص بنى هلال ، ثم قصة عنترة بن شداد التى رأيتها عند أحد أقاربنا

كامل كيلانى .



أبو زيد الهلالى .





عنترة بن شداد .

فاستعرتها منه ولم أردها اليه ..

أبطال عظام وفرسان كرام : أبو زيد الهلالي ، والزناتى خليفة ، وعنترة بن شداد . لاقوا فى حياتهم وفى سبيل أهدافهم ما لاقوا .. تغلبوا على كل من اعترض طريقهم وحققوا أهدافهم التى رموا اليها ، وكلها خير وانسانية وعزة وكرامة .

أحببت أولئك الأبطال كل الحب . وطالما فرحت بانتصاراتهم وفتكهم بأعدائهم أعداء الخير والانسانية .

ولما كبرت وقرأت عن الأدب الانسانى كان معناه قد قر فى نفسى وإن كان يبحث عما يبلوره ويعبر عنه ، قضية اللون والحرية تبناها عنترة من قديم وسبق فيها أعلام الأدب الزنجيين الأمريكيين المعاصرين الذين يردد العالم الآن ذكرهم.

وقرأت الشعر الذى تشتمل عليه ملحمة عنترة ، بعضه ينسب اليه ، والكل ولا شك من وضع المؤلف المجهول الذى ألف سيرة عنترة . وهو شعر سهل ميسور الفهم لناشىء صغير مثلى ، كما كان مثل هذا الشعر فى قصص الهلالية ، وهو يأتى عندما يحسن أن يؤتى به فى المواقف التى تتطلب الشحنات الوجدانية . واعتقد أن هذا فن ملحمى أكثر فنية من الملاحم اليونانية القديمة

ثم التقيت بعنترة الشاعر الفحل فى تاريخ الأدب العربى ، ورأيت شعره هنا

● أحببت أبطال السيرة الشعبية لانتصارهم على أعداء الخير والإنسانية

● كيف كانت دراسة العلوم في الأزهر غاية في الغرابة؟

● كانت القصص ذات الاتجاه الواقعي المحكم تتسلل إلينا على حذر

قاسم أمين .



يختلف عن شعره هناك . هناك فى الأدب الشعبى الذى يخاطب الجماهير على الربابة وبدونها ، فتفهم الجماهير ما يعنيه ، وترددد فى مناسباته .

كان ذلك أول ما قرأت ، لم أر مجلات للأطفال ولم أر الكتب التى كان يضعها للصغار كامل كيلانى وغيره . لم أر هذه إلا بعد أن كبرت وشببت عن الطوق ، واذا كنا نشكو الآن من أن التاليف للأطفال عندنا لا يزال ضعيفاً وغير كاف فأكثر الله خير الدنيا .. فهو شىء عظيم بالنسبة لما كابدناه فى طفولتنا .

بلغت سن الرابعة عشرة وأنا لم أتعلم غير مجرد القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم أو ادعاء حفظه .. فانى لم احفظه تماماً لأنى كنت أغافل «سيدنا» الأعمى وأضع المصحف فى حجرى مفتوحاً على ما أسمعه له ..

ولا أدرى كيف استطعت أن أبدأ تعلمى فى الأزهر ومواجهة العلوم المقررة بقدرة قادر بدأت أصغى وأفهم ما يقوله الشيخ فى شرح «الكفراوى» على متن «الأجرومية» فى النحو ، بدأت فى هذه المرحلة أفتح عينى على عالم جديد فى الأدب ، يتمثل فى أبيات الشعر التى يستشهد بها كتاب النحو فيما يشذ عن القواعد وما يطابقها . كنت أتلهف الى سماع الشيخ وهو يشرح هذه الأبيات وكأنه يذيب الشراب المركز فى الماء المثلج وأنا أشرب هنيئاً مريئاً .

وانهمكت فى هذه الدراسة التى كانت تشمل علوماً حديثة كالحساب والجغرافيا والتاريخ الى جانب العلوم الأزهرية القديمة كالفقه والنحو والتوحيد . كنت مشتاقاً الى العلم

الواقع أن دراسة العلوم الحديثة فى الأزهر فى ذلك الوقت كانت عجيبة ، كان يدرسها لنا أزهريون تخرجوا حديثاً ، وقليلا ما كان يوظف فى ذلك بعض الأفندية من خارج الأزهر . والذى يسترعى الانتباه أن المؤلفين الذين ألفوا فى هذه العلوم الحديثة ـ كانت حديثة إذ ذاك ـ كانوا من المتخصصين فى تعليمها بالمدارس المدنية ، منهم محمد ادريس بك مؤلف كتب الحساب ـ مسلك هؤلاء المؤلفون فى تأليفهم لطلبة الأزهر مسلك التأليف الأزهرى ، وأعتقد أنهم أرادوا أن يخاطبوا عقول الأزهريين بما يناسبهم ، مثلا فى علم الحساب : كان حفظ القواعد غالباً على حل التمرينات والمسائل .

وترامى الى علماء الأزهر «الحديثين» أن هناك وسائل ايضاح فى علم التربية تشوق الطلاب الى الدرس ، فكان شيخ الجغرافيا يبدأ الدرس هكذا : «لو مت وصلوا علي ودفنونى لقامت عظامى من قبرها وقالت : افريقيا تحد من الشمال بالبحر الأبيض المتوسط .. الخ»

وكنا نتلقى كل ذلك بسذاجة ، ونقرأ كتبه ونحفظه ، ونحن نحسب أن هذا هو العلم ..

والواقع أن العلم كان حقاً فى العلوم الأزهرية القديمة ، أما هذا الذى يدرس لنا فى العلوم الحديثة فقد اتسعت آفاقنا وعرفنا أنه شىء يدعو الى الضحك والسخرية !

كان أقرب شىء الى نفسى من تلك العلوم ، قديمة وحديثة ، هو النحو أى قواعد اللغة العربية ، وأكثر شىء يحببنى فى كتبه القديمة الشعر الذى تأتى به للاستشهاد على صحة القاعدة أو على ما يشذ عنها . وهناك أشياء ـ غير الشعر ـ كنا نحفظها فتكون بمثابة جدول الضرب فى الحساب .. مثل «فائدة ما بعد اذا زائدة» ومثل : سأل الطلاب شيخهم عن حروف الزيادة فقال لهم «سألتمونيها» فجمع حروف الزيادة فى قوله : سألتمونيها ..

استغرقت فى قراءة كتب الدراسة الأزهرية استغراقاً .. كنا على مقتضى الطريقة الأزهرية القديمة القويمة نقرأ الدرس قبل أن نتلقاه من الشيخ فنفهم منه ما نستطيع أن نفهمه ، ونتشوق الى فهم الباقى العويص من شرح المدرس . وقد تدفع «الشقاوة» بعضنا الى أن يقرأ «الحاشية» وهى الكتاب المطبوع على هامش الشرح ، وهذا شرح للمتن .. أى أن المجلد كان يحتوى على ثلاثة كتب مجتمعة فى الصفحات : المتن والشرح والحاشية ـ يقرأ الطالب «الخبيث» الحاشية بحثاً عن أشكال أو اعتراض

من الكفراوي إلى أرسين لوبين

يسوقه فى الدرس معترضاً على الدرس . فاذا كان هذا عالماً بحق ابتسم وأجاب بما أجابت به الحاشية نفسها ، وإن كان من الكسالى الذين لا يقرؤون ولا يبحثون شتم الطالب ، وقد يلعن أباه والبلد الذى قذفه !

ثم تطلعت الى أن أقرأ كتباً أخرى غير الكتب المقررة فى الدراسة ، ولم أكن أستطيع الشراء .. فالقروش التى تتاح لي لا تسمح بشراء أكثر من الكتب المقررة الى جانب النفقة الضرورية .

عرفت أن هناك شيئاً اسمه دار الكتب المصرية وأن الانسان يستطيع أن يذهب اليها ويقرأ ما يحب من كتب ... وفعلت ، بدأت بقراءة الروايات المترجمة والمؤلفة البوليسية والغرامية . وكانت كلها من النوع الرومانسى المغرق فى الخيال ، إذ كان هذا اللون من القصص هو السائد فى ذلك الوقت ، وكانت القصص ذات الاتجاه الواقعى تتسلل الينا على حذر وفى قلة ، سواء فى مجال الترجمة أو التاليف .

طالما عشت مع أبطال تلك الروايات ، وبكيت مع الباكين منهم ، وكان معظمهم باكين .. وكنت أخرج من عالم البكاء الى عالم المغامرات مع القصص البوليسية ، وخاصة قصص «أرسين لوبين» اذ أعجبت بهذه الشخصية التى تكاد تاتى بالمعجزات ، وأثر في بصفة خاصة الاتجاه الانسانى الذى يتلخص فى كلمة «اللص الشريف» ذلك الذى يأخذ من الأغنياء ويعطى الفقراء ، ولم ألتفت كثيراً الى أن الأخذ من الأغنياء هنا كان بطرق مخالفة للقانون .

ولما أوغلت ـ بعد ذلك ـ فى قراءة الأدب العربى رأيت مغامرات «الصعاليك» تقوم على فكرة «اللص الشريف» وذلك بالسلب والنهب من القادرين والانفاق على المحتاجين .

الخير فى الناس أو فى بعضهم من قديم ، وسيظل كذلك ، ولن ينقطع ، ولن ييأس الانسان من الخير مهما كان من أمور مصيرها كمصير السحاب الذى تذروه الريح فتشرق الشمس .

عباس خضر

من الشعر الضاحك

الشاعر المعلم



كتب شاعر فلسطين الكبير المعروف المرحوم ابراهيم طوقان هذه القصيدة يعارض فيها قصيدة شوقى المعروفة عن «المعلم» والتى يقول فيها :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

وفى هذه القصيدة الساخرة يقول ابراهيم طوقان الذى كان يعمل بالتدريس عند كتابته لهذه القصيدة :

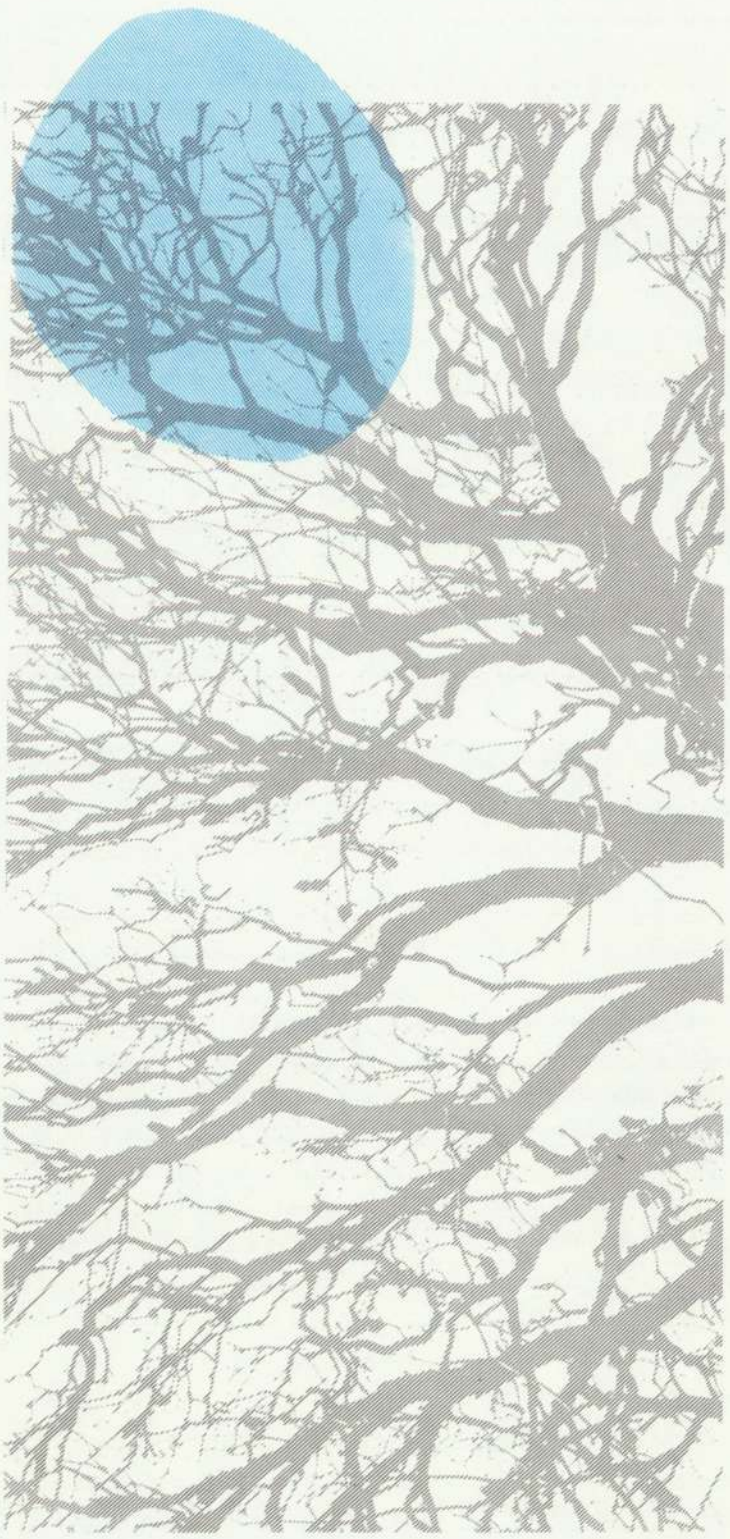
شوقى يقول وما درى بمصيبتى
«قم للمعلم وفه التبجيلا»
أقعد ، فديتك ، هل يكون مبجلا
من كان للنشء الصغار خليلا
ويكاد يفلقنى الأمير بقوله :
«كاد المعلم أن يكون رسولا»
لو جرب التعليم «شوقى» ساعة
لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسب المعلم غمة وكآبة
مرأى «الدفاتر» بكرة وأصيلا
مئة على مئة إذا هى صححت
وجد العمى نحو العيون سبيلا
ولو ان فى «التصليح» نفعاً يرتجى
وأبيك ، لم أك بالعيون بخيلا
لكن أصلح غلطة نحوية
مثلا ، وأتخذ «الكتاب» دليلا
مستشهداً بالغر من آياته
أو «بالحديث» مفصلا تفصيلا
وأغوص فى الشعر القديم فانتقى
ما ليس ملتبساً ولا مبذولا
وأكاد أبعث «سيبويه» من البلى
وذويه من أهل القرون الأولى
فأرى «حماراً» بعد ذلك كله
رفع المضاف اليه والمفعولا
لا تعجبوا إن صحت يوماً صيحة
ووقعت ما بين «البنوك» قتيلا (١)
يا من يريد الانتحار وجدته
إن المعلم لا يعيش طويلا !

(١) البنوك : معناها مقاعد الدراسة .

المسافة

شعر حبيب الصايغ

البحرين



على صهوة البدء سافرت والفجر ضوء وليد
وصلت الى الشمس حيث الضياء مواكب
تستقبل الفاتحين وتطلق احدى وعشرين طلقة
ولم احترق فى الضياء ، وكنت أفتش بالبذلة العسكرية
جند الشرف

(٢)

عبرت المسافة فى لحظتين .. رفعت يدى احيي الجماهير
وهى تردد حلو الهتاف .. امثل مثل النجوم الكبار ،
وأركع .. أسجد .. أركب سيارة خصصتها الضيافة
ليس لها رقم أو علامة
أشق الشوارع شقا .. شوارعهم مثل ورد البنفسج والفل
والفضل يرجع للسيد المستنير الرئيس على البلدية
شبل الكرامة

وراعى الشهامة
عدو القمامة

(٣)

عبرت المسافة والفجر ضوء وليد
ولكننى ما عبرت النفاق ، ولكننى ما نسيت القمامة
تذكرت درس الحساب واتعبنى جدول الضرب ، والضرب
يوم الحساب

لقد علمونا على الرغم منا ، وقالوا لنا :
«اثنان فى خمسة .. عشرة .. عشرة فى ثلاث تساوى
ثلاثين» .. يا لضياع الطفولة
ما علمونا بأن النفاق يساوى القمامة
وفى القصر حيث نزلت أتانى صبى القمامة فى
يده المكنسه

ولم أكترث للصبى الرقم
ومن عادتى اننى أرفع الأنف فى حضرة الجند والبسطاء
الخدم

تأملته ثم تمتمت .. من أنت ؟ .. ماذا تريد ؟
مددت يدى اليه بقطعة نقد ، فراح يئن
وراح يردد حلو الهتاف
وما كان يهتف من أجل رفعة أنفى المعظم ..
لكنه كان يهتف من أجله هو ..
من أجل أفواه أولاد الفقراء .

(٤)

تذكرت صوت بلال .. أنين ابن ياسر عمار ..
بين الأنين وبين الصباح هتاف ، وأحضرت مسطرة
قست فيها المسافة بين أنين الفقير وأنف الغني ..
رأيت أباذر يحتل طول المسافة يحمل لافتة كتبت
بالدماء

وأدركت أين الرقم
وأبصرت معنى العلامة
وأدركت أن النفاق يساوى القمامة

محمد العزب موسى

الجورنيكا
تعود إلى وطنها



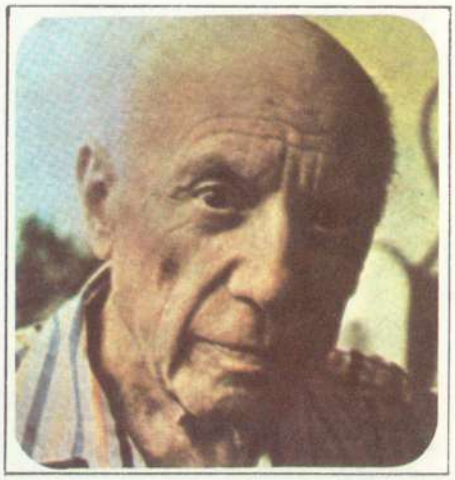
أهوال الحرب الأهلية الاسبانية فى لوحة بيكاسو الشهيرة «الجورنيكا» التى رسمها عام ١٩٣٧

لوحة بيكاسو الشهيرة «جورنيكا» التى رسمها فى باريس عام ١٩٣٧ أصبحت خلال الشهور الأخيرة محوراً لمناقشات حامية . المعروف أن هذه اللوحة تصور أهوال الحرب الأهلية الأسبانية حين تعرضت مدينة جورنيكا باقليم الباسك بشمال أسبانيا لغارة جوية عنيفة من جانب قوات فرانكو الفاشية تركتها أشلاء وحطاماً وتبدو فى اللوحة أشلاء الرجال والنساء وقد اختلطت بأجساد الحيوان وحطام المبانى . وقد أرسلت اللوحة الأصلية فى عام ١٩٣٩ الى متحف الفن الحديث بنيويورك لتحفظ هناك بسبب قيام الحرب العالمية الثانية .

وبعد انتهاء الحرب أعلن الرسام بيكاسو أن هذه اللوحة تخص الشعب الأسبانى ، وطلب عدم اعادتها الى أسبانيا الى أن تتخلص من الحكم الفاشى وتعود مرة أخرى جمهورية ديمقراطية ، ونص عند اعادتها أن تذهب الى متحف برادو بمدريد .

وعندما مات فرانكو فى عام ١٩٧٥ بعد سنتين على وفاة بيكاسو بدأ التفكير فى إعادة اللوحة إلى أسبانيا ، ولكن ورثة بيكاسو ومحاميهم رولاند روماس أثاروا اعتراضات ، ولكن الكونجرس الأميريكى قرر فى مايو ١٩٧٨ ان اللوحة ينبغى اعادتها الى «الشعب الأسبانى وحكومته الديمقراطية» وبعد ١٤ شهراً من هذا القرار منح شعب الباسك الحكم الذاتى وصدر دستور ديمقراطى جديد فى أسبانيا ، ولم يلبث أن أعلن بعد ذلك ان لوحة جورنيكا فخر الفن الأسبانى الحديث سوف تعبر الاطلنطى مرة أخرى فى أوائل عام ١٩٨١ لتعود الى وطنها الأصلى اثناء الاحتفالات التى ستقام فى أسبانيا بمناسبة مرور مائة عام على مولد بيكاسو .

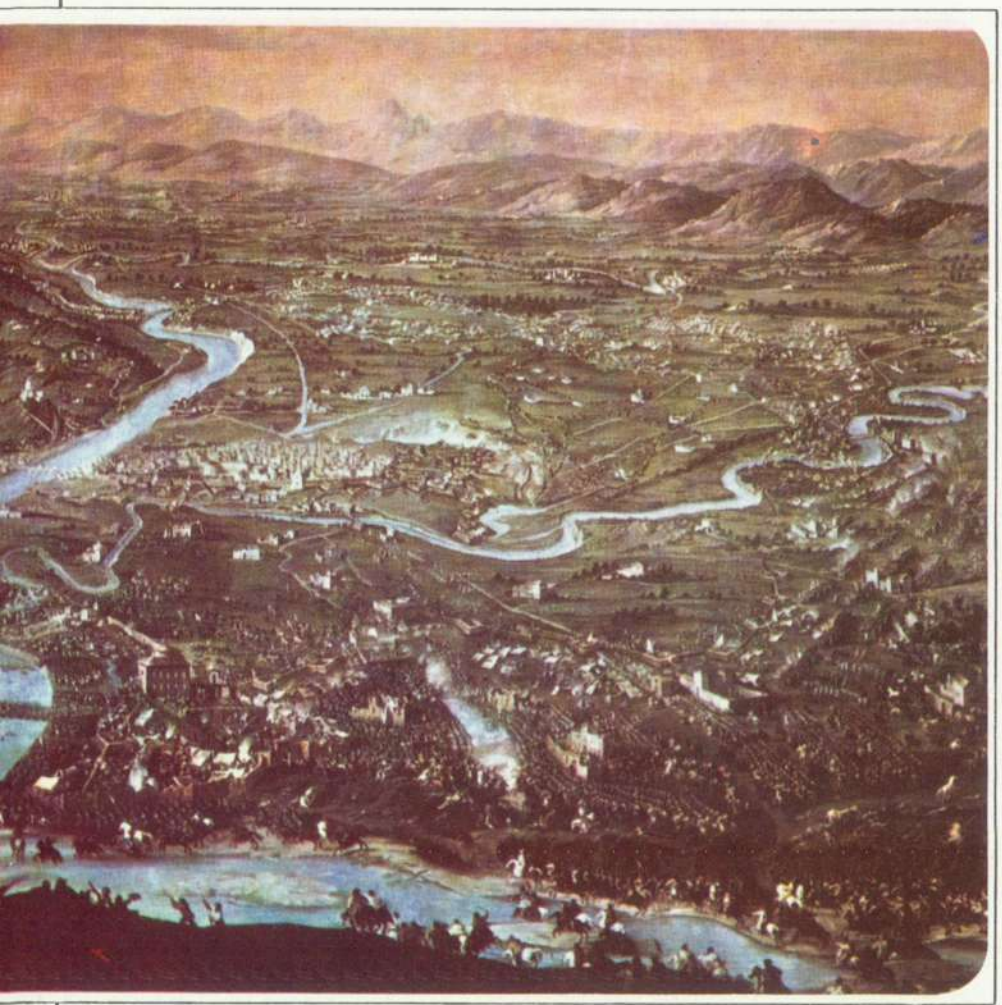
وعلى أثر ذلك ثار خلاف حام بين الأسبان حول المكان الذى ينبغى أن تستقر فيه اللوحة ، فقال سكان «مالاجا» ان بيكاسو ولد فى مدينتهم ويجب أن تستقر اللوحة فى مدينة المولد ، ولكن سكان برشلونة تصدوا لهم قائلين إنهم أحق بالاحتفاظ باللوحة لأن بيكاسو انتقل الى مدينتهم وعمره ١٢ عاماً حيث درس فى مدرسة الفن هناك واستقر فى المدينة الى ان رحل الى باريس عام ١٩٠٤ ، وأضافوا الى ذلك أن «متحف بيكاسو» ببرشلونة يضم ١٦٠٠ لوحة من أعمال بيكاسو كان الفنان قد أهداها الى



الفنان بيكاسو .. اختار موضوعاً يصل الى قلوب الناس



الجنرال فرانكو الذى أمر طائراته بقذف مدينة جورنيكا



لقطة من واقع الحرب الأهلية الاسبانية فى مدينة جورنيكا بشمال أسبانيا

تلك المتحف ويجب أن تستقر الجورنيكا فى نفس المكان كواسطة للعقد بين لوحات بيكاسو الأخرى ، أما سكان مدريد فقد تمسكوا بوصية بيكاسو نفسها وهى ايداع اللوحة فى متحف برادو بالعاصمة ، غير أن مديرى متحف برادو الذى انشىء عام ١٨١٩ يجدون أنفسهم فى موقف ضعيف إذ بالرغم من الجهود التى يبذلونها لتحسين المتحف فان نظام التهوية والاضاءة فيه لا يناسب المواصفات المطلوبة للحفاظ على مثل هذه اللوحة الثمينة خاصة انها منفذة بألوان تجريبية معرضة للتلف الأمر الذى يهدد اللوحة بالتدهور السريع ، وهنا انبرت مدينة جورنيكا نفسها مطالبة بأن تكون مقراً للوحة التى تسجل مأساتها ويقول أهل جورنيكا انه لا يمكننا أن نشير الى ١٦٠٠ لوحة من بيكاسو لتعزيز مطالبنا كما يفعل ابناء برشلونة ولكننا نستطيع أن نشير الى ١٦٠٠ قتيل خلفتهم الطائرات وراءها يوم الغارة .. غير أن قسماً كبيراً من أهل المدينة أعربوا عن معارضتهم الشديدة لمجيء اللوحة الى مدينتهم لأنها سوف تذكرهم بالمأساة الدامية التى لم ينج منها بيت واحد أو أسرة واحدة ويقولون انه لو عادت اللوحة فسوف يعمدون إلى احراقها أو تشويهها !

ولا يدرى أحد على أى وجه سوف ينتهى هذا الخلاف الذى يثير مناقشات حامية فى الصحف والندوات والبرلمان ، وعلى أي حال يبدو ان الاعتبار الرئيسى سيكون : أى هذه المتاحف أقدر على توفير الحراسة والحماية الكافيتين للوحة الثمينة ؟ وهذا الاعتبار فى صالح متحف برادو بالعاصمة لولا سوء الاضاءة والتهوية واذا استقرت اللوحة فى هذا المتحف فانها سوف ترفع عدد رواده يومياً فى تقدير مديريه من ٥٠٠٠ الى ٢٠ ألف .

وهناك آخرون يعتقدون انه من الأفضل أن تستقر لوحة جورنيكا فى «أرض محايدة» فتبقى فى متحف الفن الحديث بنيويورك أو تذهب الى متحف اللوفر بباريس حيث عاش بيكاسو معظم عمره الطويل .

بقى أن تعرف أن هذه اللوحة التى لا تقدر بثمن تقاضى عنها بيكاسو بعد الانتهاء منها عام ١٩٣٧ مبلغ الف بيسيتا (أى أقل من الف جنيه استرلينى) من الحكومة الجمهورية بأسبانيا مقابل «النفقات» التى أنفقها فى رسمها ، أى ثمن الرقعة والألوان والفرش وما أشبه !

الجورنيكا
تعود إلى وطنها

● اهتم بها النقاد، ورأى فيها أحد الشعراء: جرس إنذار!

تاريخ اللوحة

بالرغم من أن بيكاسو حاول دائماً أن يكون بعيداً عن السياسة وكان يقيم فى فرنسا بصفة دائمة إلا أن قدره هيأ له أن يلعب دوراً فريداً فى الحرب الأهلية الأسبانية فبعد أيام من نشوب الحرب أعلنت الحكومة الجمهورية الأسبانية تعيينه مديراً فخرياً لمتحف الفن القومى «برادو» اعترافاً بفضله وقيمته كفنان عظيم، ولم يلبث ان جاءت خطوة أخرى من الحكومة الأسبانية حين طلبت منه أن يساهم بلوحة تكون بمثابة «العمل الكبير» فى الجناح الأسبانى بالمعرض الدولى القادم.

وقرر بيكاسو أن يختار موضوع لوحته عن الحرب الأهلية الاسبانية ولكنه احتار فى اختيار الموضوع الذى «يصل الى قلوب وأذهان آلاف الناس العاديين»

ومرت الأسابيع وبيكاسو لا يستطيع الاستقرار على موضوع معين الى أن «أسعفته» الظروف بموضوعه المأمول، ففى ٢٨ ابريل ١٩٣٧ قام سرب من الطائرات التى أرسلها هتلر لمساعدة الجنرال فرانكو بغارة على الأهداف المدنية فى مدينة جورنيكا الصغيرة باقليم الباسك فى وقت كانت فيه الشوارع والأسواق تعج بالمشترين، وأخذت الطائرات تقذف المدينة قذفا مكثفاً لمدة ثلاث ساعات واسفرت الغارة عن مقتل معظم ابناء المدينة الصغيرة المؤيدة للجمهوريين وتحويلها الى حطام

كانت هذه هى الاشارة التى ينتظرها بيكاسو، فأعد لوحة ضخمة مساحتها ٢٦ قدماً فى ١١ر٥ قدماً وبدأ العمل، ولحسن الحظ فقد احتفظ تاريخ الفن بتسجيل لكل مراحل العمل فى تلك اللوحة الفريدة بفضل امرأة شابة تدعى دورا مار انضمت مؤخراً الى دائرة بيكاسو. كانت دورا صديقة للشاعر جورج باتاى الذى يشارك بيكاسو الاقامة فى مرسمه، وكانت ضمن حلقة من الفنانين والمثقفين الفرنسيين الذين يؤيدون قضية الجمهوريين فى أسبانيا وقد ظهرت هذه الشخصية الحيوية الجميلة بالفعل فى بعض رسوم بيكاسو فى تلك الفترة، ولما كانت دورا مار مصورة فوتوغرافية ماهرة فقد تولت تصوير كل مراحل العمل فى اللوحة منذ أن كانت مجرد استكشات أولية الى أن انتهت كلوحة كاملة.

الأبيض والأسود

الزم بيكاسو نفسه فى لوحة «جورنيكا» باللونين الأبيض والاسود بالاضافة الى اللون الرمادى بدرجاته المختلفة، وحرم نفسه تماماً من استخدام الالوان الزاهية كالاحمر والأصفر والأزرق وهى الاكثر قدرة على التعبير، انه موقف يذكرنا بما فرضه على نفسه أبو العلاء المعرى فى اللزوميات حيث ألزم نفسه بما لا يلزم، ولكن فى مقابل استغنائه عن الالوان الفاقعة أصر بيكاسو على أن يكون أى خط أو ضربة فرشاة فى اللوحة علامة على المأساة والرعب المجسد الذى يعانيه أناس فقدوا كل أمل، لقد تحولت اللوحة تحت لمسات فرشاته الى مسرح لرجال ونساء ووحوش يعيشون فى كابوس من الرعب والألم والمعاناة دون أن يبدو السبب المؤثر وهو الهجوم الجوى، فلم تظهر فى اللوحة مثلا الطائرات التى قصفت المدينة أو القنابل والانفجارات التى أحدثتها.

ومن يتأمل اللوحة تأملا وثيقاً لا يمكن أن يغفل عن الاحساس بما يشبه التيار الكهربى يسرى فى كل أنحاء اللوحة من أقصى اليمين حيث المرأة الصارخة فى البيت المحترق الى أقصى اليسار حيث يقف الثور فى مدخل الباب يتطلع من فوق كتفه الى مزيد من الرعب خارج اطار الصورة، وفى الوسط يتمركز حصان وهو الرمز المعتاد للمعاناة السلبية لدى بيكاسو، وتشعر كأن الحصان يعتصره الألم ولكنه يصدر صهيلا متحدياً من فمه المفتوح، وتنتثر تحت أقدام الحصان أشلاء محارب لا يرتدى خوذة الأمر الذى يشعرك بأنه رجل مدنى وثمة أم تحمل بين ذراعيها جسد ابنها المسجى وتطوح برأسها الى الخلف مصدرة صرخة حزن عميق، وامرأة اخرى تطل على الغرفة وفى يدها مصباح يعمل بالكاز، وضحية أخرى تندفع داخله شبه عارية ويبدو أنها سرعان ما سوف تلقى بنفسها خائرة على الأرض، وكل النساء فى الصورة مجردات تماماً من أى مظهر يدل على الأنوثة كرمز لتجرد الانسان من أساسياته، وهناك أيضاً طائر يفتح منقاره على اتساعه كأنه يصرخ، ويتدلى من السقف مصباح كهربى متخف فى شكل الشمس يلقى على المنظر باكمله وهجاً ميكانيكياً مكهرباً ..

وعندما افتتح المعرض الدولى فى باريس أخذت الجورنيكا مكان الصدارة فى الجناح الأسبانى، وسرعان ما أصبحت بؤرة اهتمام النقاد وزوار المعرض ومحوراً لاختلافات كبيرة فى وجهات النظر فقد هاجمها البعض ولم يحبوها فى حين تحمس لها الكثيرون وقال عنها الشاعر مايكل ليريس «انها جرس انذار .. ان كل ما نحبه يوشك أن يموت» ثم عرضت اللوحة فى لندن فى العام التالى فاثارت نفس ردود الأفعال من جمهور المشاهدين الانجليز، وبعد ذلك نقلت الى نيويورك فى بداية الحرب العالمية الثانية وظلت هناك طبقاً لوصية بيكاسو الشهيرة الى اليوم فيما عدا زيارة قصيرة قامت بها الى أوربا فى عام ١٩٥٥.

ولقد حاول الكثيرون تفسير رموز اللوحة، ولكن مثل هذه المحاولات فشلت أمام حقيقة بسيطة وهى ان اللوحة عمل من أعمال الفن، والفن له لغته الخاصة، وقد رفض بيكاسو نفسه أية محاولة لتفسير لوحته بدلالة رموزها، فعندما قال أحد النقاد ان بيكاسو يريد بالحصان أن يمثل الوطنية الأسبانية وبالثور أن يمثل الشعب الأسبانى، رد بيكاسو فى اختصار وحزم قائلا: «ان هذا الثور هو ثور، وهذا الحصان هو حصان .. ولكن من حق كل مشاهد أن يفسرهما كما يشاء»!

جوائز نوبل..
هل تذهب إلى مستحقيها؟



لجنة القراءة لجائزة نوبل فى مطعم السلام الذهبى كما تخيلها أحد الفنانين .



سيشلاف ميلوش .. اسمه يتحدى نقاد العالم .

سيشلاف ميلوش .. اسم يتحدى معظم نقاد الأدب فى العالم ، دعك من قرائه ، أن يكونوا قد سمعوا به ، ومع ذلك فهو اسم الشاعر البولندى الذى فاز بجائزة نوبل للآداب هذا العام ، وقام ملك السويد بتسليمه جائزته (ميدالية ذهبية ومبلغ ٨٤ الفا و ٥٣٤ جنيها استرلينياً) فى حفل أقيم باستوكهلم فى اوائل الشهر الماضى .

وبذا تكون لجنة جائزة نوبل الأدبية قد أضافت اسما مجهولا آخر الى قائمة الفائزين بهذه الجائزة العالمية الامر الذى دعا صحيفة «صنداى تايمز» البريطانية الى التساؤل : هل صارت جائزة نوبل تمنح الآن للمجهولين والنكرات فى دنيا الأدب وليس للمشاهير والمعروفين من الروائيين والشعراء والنقاد العالميين ؟

ولكن يبدو أن ثمة سبباً «وجيها» كان وراء اختيار ميلوش للجائزة هذا العام ، ففى الوقت الذى كانت أجهزة الاعلام العالمية تردد اسمه باعتباره كشفاً خطيرا فى عالم الشعر والأدب كانت نفس الأجهزة تنقل باتساع الأحداث البولندية التى اثقلت كاهل «الكتلة الشرقية» ، وهو نفس السبب الذى أحاط من قبل فوز الشاعر باسترناك والروائى سولجنشتاين بنفس الجائزة .

وربما لا يستطيع أحد أن يطعن فى القيمة الأدبية لفائزين من أمثال باسترناك وسولجنشتاين وميلوش ، أو قد يقال على الأقل ان الآراء تختلف ولكن بأى معيار يتم اختيار أمثال هؤلاء المجهولين فى الوقت الذى تجاهلت فيه الجائزة وخلال ٨٠ عاما منذ انشائها عشرات بل ومئات من ذوى الاسماء اللامعة وذوى القيمة الأدبية المعترف بها ومنهم فى بريطانيا وحدها على سبيل المثال أدباء من طراز توماس هاردى ، ود.هـ. لورانس ، وجراهام جرين ، وا.م. فورستر ، وج.هـ. ويلز . وحتى الذين فازوا بالجائزة من الانجليز كان أحدهم سياسياً وهو وينستون تشرشل ، والآخر فيلسوفاً وهو برتراند رسل ، والثالث واحدا من أساطير الاستعمار البريطانى وهو روديارد كيبلنج .

إننا لا نكاد نجد بين من فازوا بجائزة نوبل للآداب خلال ٨٠ عاماً ـ وأمامى ثبت بهم ـ ممن لايشك فى عبقريتهم الأدبية وتوجههم الانسانى سوى قلة من امثال الشاعر الهندى طاغور (١٨٦١ ـ ١٩٤١) وجورج برناردشو (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠) وهنرى برجسون (١٨٥٩ ـ ١٩٤١) وأناتول فرانس (١٨٤٤ ـ ١٩٢٤) وإرنست همنجواى (١٨٩٨ ـ ١٩٦٠) ثم تعود الآراء فتختلف مرة أخرى حول فائزين من أمثال اندريه جيد وفرنسوا مورياك ، والبير كامو وجان سارتر والأخيرين من كتاب الأدب الوجودى وقد رفضها سارتر ليكسب برفضها دعاية لنفسه اكثر مما يكسبه بقبولها !

وفى نفس الوقت فقد تجاهلت الجائزة تجاهلا تاماً جميع الأدباء والشعراء والمفكرين فى العالم الثالث ، ففيما عدا طاغور لم يفز بها هندى واحد ، أو صينى

● لماذا جعلوا التفوق الأدبي وقفاً على أبناء الحضارة الغربية ؟

جوائز نوبل..

هل تذهب إلى مستحقيها ؟

واحد ، أو عربى واحد أو أفريقى واحد ، وكأن التفوق الأدبى يجب أن يكون وقفاً على أبناء الحضارة الصناعية الغربية ، وقد لا يكون من قبيل الصدفة ان اليابان وهى الدولة الاسيوية الوحيدة التى فاز أحد أبنائها بالجائزة (ياسوناري كاواباتا ـ ١٩٦٨) قد انضمت كذلك الى هذا «النادى الحضارى» .

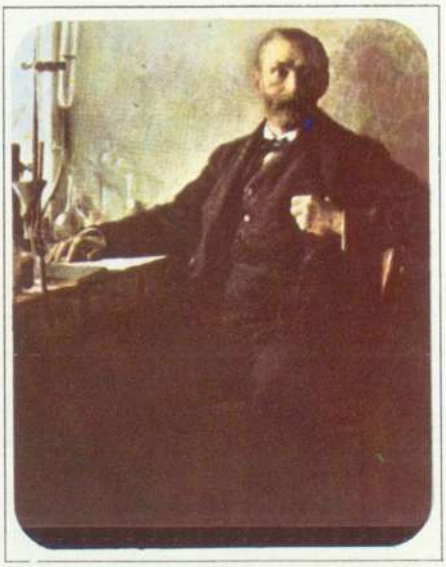
إن تأثر لجنة جائزة نوبل للآداب بالأحداث السياسية والاعتبارات الشخصية لا يكاد محل شك ، فمنذ عامين منحت اللجنة جائزتها لشاعر يهودى مجهول يكتب بلغة «اليديش» تحت ضغط الحركة الصهيونية ، وفى عام ١٩٦٠ منحت الجائزة للشاعر الفرنسى سانت جون بيرس لانه كان صديقاً حميماً لداج همرشولد سكرتير عام الأمم المتحدة وقد كان له نفوذ كبير على الاكاديمية السويدية ، وفى عام ١٩٢٣ منحت الجائزة للشاعر الايرلندى ييتس غداة انفصال إيرلندا الجنوبية وتكوينها جمهورية ايرلندا الحرة .

وباختصار شديد يمكن ان يقال ان هناك بعيداً فى أقصى الشمال البارد بأرض السويد لجنة من السادة المثقفين تقيم فى نفسها حكماً على الابداع الأدبى فى العالم كله بالرغم من الاختلاف البين فى المشاعر واللغات والحضارات والخلفيات الثقافية بين هؤلاء السادة وبين الأدباء المبدعين فى أركان الأرض الاربعة يمكن أن يكون حكم هؤلاء السادة موضوعياً وعادلا ؟

ولكن من هم هؤلاء السادة اعضاء لجنة نوبل للآداب ، وكيف يختارون من يطوقون جيده الأدبى بأكاليل الفخار ؟

الستة الكبار

تضم اللجنة الأدبية لجائزة نوبل بالأكاديمية السويدية ستة أعضاء من الشعراء والنقاد السويديين . وقد كان أعضاء اللجنة جميعاً حتى وقت قريب



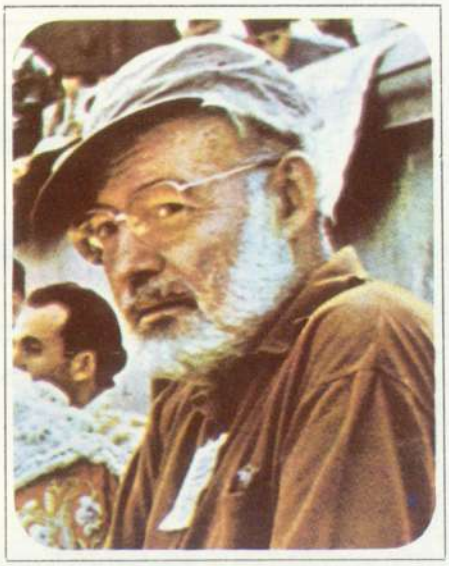
الفريد نوبل .. ما هى أسرار جائزته ؟

فوق الخامسة والستين ، ولكن عندما خلا مكانان فى اللجنة بموت اثنين من أعضائها مؤخراً بدأ عنصر «الشباب» يجد طريقه اليها بانضمام لارس فورسيل (٥٢ عاماً) والسيدة كريستين إيكمان (٤٧ سنة) !

وعميد الجماعة هو دكتور أنديرس اوسترلنج (٩٦ عاماً) وهو عضو باللجنة بصفة متواصلة منذ عام ١٩١٩ أى انه كان موجوداً عندما حصل اناتول فرانس على الجائزة عام ١٩٢١ ، وهوايته المفضلة أن يعزف على البيانو مقطوعات من القرون الوسطى ، ويقال انه لايزال قارئاً نهما وقادراً على اكتشاف الشباب .

أما الدينامو المحرك للجنة وصاحب أكبر نفوذ فيها فهو دكتور ارتور لوند كفيست (٧٤ عاماً) وهو المغرم باكتشاف المجهولين من الشعراء الأسبان واليونانيين واليهود والبولنديين ، وهناك توافق مزاجى تام بين لوند كفيست واوسترلنج ، وعندما يتفق رأيهما ، ودائماً ما يتفق ، فان الموضوع يحسم .

ودكتور لوند كفيست مثقف عصامى ترك المدرسة فى قريته بشمال السويد فى سن العاشرة ، ثم علم نفسه بنفسه ، فقرأ الكلاسيكيات باللغة السويدية ودرس الانجليزية بجهده الخاص عن طريق ترجمة لا جدوى لها لرواية «اورلاندو» لفيرجينيا وولف باستخدام القاموس ،



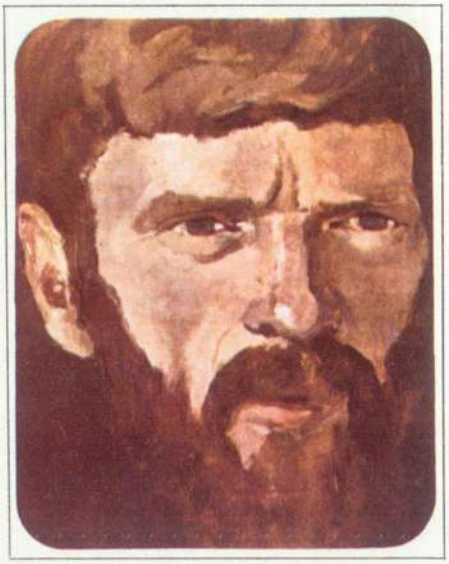
همنجواى .. من الذين استحقوا الجائزة

كما درس الفرنسية بنفس الطريقة ، وواصل التعليم «من منازلهم» حتى حصل على الدكتوراة

والعضوان الآخران هما البروفيسور لارس جيلستين سكرتير عام الاكاديمية السويدية ، وكارل جيرو الرئيس الادارى للجنة القراءة ، وهما أيضاً فوق الخامسة والستين .

وفى عصر كل خميس ، على مدار العام ، يجتمع هؤلاء السادة فى مكتبة الاكاديمية السويدية خلف القصر الملكى بالحى القديم فى استوكهلم حيث توحى الدهاليز وقاعات المطالعة بجو القرن الثامن عشر ، ويعبق الجو برائحة طهارة الأديرة ، وتستقر الكتب النادرة المجلدة تجليداً فاخراً فوق رفوفها الخشبية المصقولة .. يجتمع هؤلاء السادة لمدة ثلاث ساعات ليتناقشوا فيمن يستحق جائزة نوبل لهذا العام

فاذا ما انتهوا من مداولاتهم الأسبوعية التى يحرزون خلالها تقدماً بطيئاً أسبوعاً بعد أسبوع خرجوا فى الساعة الثامنة مساء الى مطعم مجاور يحمل أجواء القرون الوسطى ، وفى جناح خاص بالدور الأول من ذلك المطعم المسمى دين جيلدن فريدن (أى السلام الذهبى) ينبذون تماماً أى تكلف للرسمية ويتخاطبون بلفظة «أنت» ويتبادلون الطرائف والقفشات حول مائدة عامرة

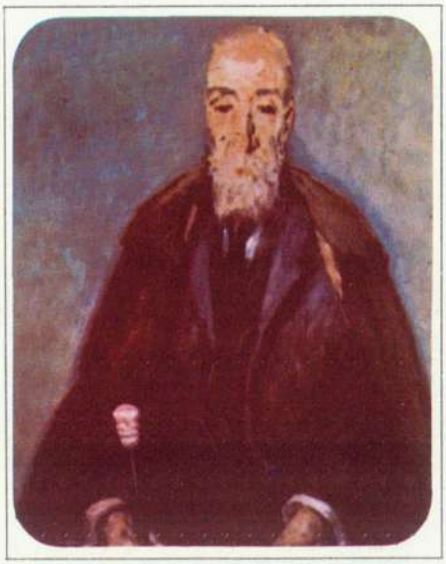


د. هـ. لورانس تجاهلته الجائزة .

باطيب الطعام ، وأخيراً يقوم دكتور انديرس اوسترلنج عميد الجماعة ذو الستة والتسعين عاماً الى البيانو ليعزف بعض مقطوعاته المفضلة لموسيقيين عاشوا فى القرون الوسطى .

هذا هو البرنامج الاسبوعى للستة الكبار أعضاء لجنة نوبل للآداب ، أما مهمتهم النهائية فهى اختيار خمسة أسماء من قائمة تضم ١٥٠ اسما من المرشحين لجائزة نوبل للعام ثم يقدمون قائمتهم القصيرة الى الأكاديمية السويدية فى بداية الخريف ، وبالرغم من أن اختيارهم غير ملزم نظرياً للأكاديمية إلا ان الفائز النهائى نادراً مالا يكون من بين هذه الاسماء الخمسة وكثيراً ما يكون المرشح الأول فيها .

أما القائمة التى تضم ١٥٠ اسماً فتقوم باعدادها الأجهزة الادارية بالاكاديمية ففى أوائل نوفمبر من كل عام ترسل الاكاديمية السويدية آلافاً من الرسائل الى الاكاديميات والجامعات والنوادى الأدبية والنقاد والمثقفين فى مختلف أنحاء العالم طالبة ترشيح أسماء للفوز بالجائزة ثم يقوم عدد كبير من الخبراء السويديين والأجانب باعداد قوائم المرشحين لقاء مكافات مجزية ، وأحياناً يقوم أعضاء لجنة القراءة أنفسهم بزيارات الى الخارج لاكتشاف المرشحين ، فاذا كان المرشح يكتب بغير واحدة من اللغات العالمية الثلاث



انتول فرانس .. حظى بالجائزة .

الانجليزية والفرنسية والالمانية فيجب ترجمة مؤلفه الى لغة واحدة منها على الاقل ، واعضاء لجنة القراءة الستة يجيدون على الأقل لغتين أو ثلاث من اللغات العالمية الى جانب لغتهم السويدية .

وقد تبدو فى البداية مهمه تقييم أعمال ١٥٠ من الكتاب العالميين مهمة عسيرة ان لم تكن مستحيلة ، ولكن الأمر فى الواقع أبسط من ذلك كثيراً فغالباً ما يكون هناك شبه إجماع من الرأى العام العالمى على من يستحقون الجائزة كل عام وأكثر من ذلك فان معظم الأسماء تكون قد بحثت لوجودها على القائمة منذ أعوام ومن النادر أن يفوز كاتب بالجائزة دون أن يكون اسمه قد ورد مرتين أو أكثر فى القائمة المختصرة للجنة القراءة القصيرة .

وأعضاء لجنة القراءة الستة من «ذوى الشفاة المطبقة» فهم لا يتحدثون الى الصحافة أو يثرثرون عن عملهم وهم ينفون بشدة انهم يتأثرون بأى عوامل خارجية

ولكن تبقى الحقيقة واضحة كالشمس ان جائزة نوبل للآداب قد منحت لكثيرين ممن لا يستحقونها ، وحجبت عن كثيرين ممن يستحقونها ، وكان هناك دائماً سبب أو آخر وراء قرار المنح أو المنع .

جائزة نوبل للعلوم

من السهل التعرف على المنجزات البارزةفى الطبيعة أو الكيمياء أو الفسيولوجى أو الطب اكثر من الأدب ، فالعلماء فى كل مكان فى العالم يتحدثون لغة واحدة ويعترفون بمعايير علمية واحدة ، ومع ذلك فان مناقشات لجان جوائز نوبل للعلوم هى أيضاً غير خالية تماماً من التأثر بالاعتبارات غير العلمية ، فهنا أيضاً مجال للسياسة ، وللمجاملة ، وللأخطاء .

ففى عام ١٩٢٣ ، مثلا ، منحت جائزة نوبل للعلوم مناصفة لكل من سير فريدريك بانتنج (كندى) و ج. ج. ر ماكلويد (اسكتلندى) لاكتشافهما الانسولين ولكن ماكلويد لميكن له فى الواقع أى ضلع فى هذا الاكتشاف ، فقد كان مجرد مدير المعمل الذى يعمل فيه بانتنج مع مساعده الشاب شارلس يوست الذى كان يساعده فى تجاربه خلال أجازته الصيفية ، وكان ماكلويد متغيباً فى اجازته السنوية أثناء الاكتشاف ، وعندما عاد شك فى جدوى العمل ونتائجه وأنب بانتنج ومساعده يوست على تعطيل المعمل فى مثل هذه الابحاث ، ومع ذلك فقد حصل ماكلويد على نصف جائزة نوبل فى الفسيولوجى والطب عندما تبين للعالم جدوى الاكتشاف وحرم الشاب النابغة شارلس يوست من حقه الطبيعى فى التكريم ، وقد كشف سير فريدريك بانتنج هذه الفضيحة الشائنة وأصر كشرط لقبوله الجائزة أن يقتسم مكافاته المالية مع يوست ، ولكن اسم ماكلويد ظل على قائمة الفائزين بجائزة نوبل للعلوم .

واكثر من ذلك تبين أن عالماً رومانياً يدعى باولسكو قد توصل الى نفس الاكتشاف ونشره علمياً قبل اكتشاف بانتنج ويوست للانسولين بستة أشهر ولكن أحداً لم يرشحه للجائزة ، وقد اعترضت لجنة نوبل فيما بعد بأن باولسكو يستحق المشاركة فى الجائزة ولكنها أعربت عن أسفها لعدم امكانها أن تفعل شيئاً لتدارك ما حدث .

وبعد ذلك بثلاث سنوات منحت جائزة

جوائز نوبل..
هل تذهب إلى مستحقيها؟

نوبل للعلول لدانمركى يدعى جوهانس فيبجر لاكتشافه «عنصراً طفيلياً يسبب السرطان» وقد تبين أن أبحاث فيبجر خاطئة وانه لم يكتشف شيئاً ، ونتيجة للخجل الذى عانته لجنة نوبل من جراء ذلك كان على العالم الامريكى فرانسيس بايتون روس أن ينتظر حتى عام ١٩٦٦ ـ أى عندما أصبح عمره ٨٧ عاماً ـ ليحصل على جائزة نوبل على أبحاثه عن «الفيروسات المتصلة بالسرطان» التى قام بها فى فجر شبابه عام ١٩١١ !

ونتيجة لحرص اللجان العلمية والطبية لجائزة نوبل على تفادى الأخطاء فان منح الجائزة يتأخر فى المتوسط ١٣ عاماً بعد تاريخ البحث الفائز ، وهذا بدوره يقلل من جدوى الجائزة فقد تظهر خلال فترة التأخير أبحاث اكثر جدة أو قد يموت العالم الذى يستحق التكريم .

وإلى جانب هذه الأخطاء والتسويفات التى تقع فيها اللجان العلمية لجائزة نوبل فان قائمة الفائزين بنوبل للعلوم تخلو من كثير من الاسماء العلمية البارزة التى تشرف القائمة اكثر مما تشرفهم الجائزة . ويضرب البيولوجى البارز سير بيتر ميداوار مثلا على عدم حصول أو . تى . افرى على جائزة نوبل ، ويقول ان افرى هو واضع أسس علم البيولوجيا الجزيئية الحديث فكيف تخلو قائمة جائزة نوبل من اسمه ؟ وقد حصل افرى على ميدالية كوبلى للجمعية الملكية ، وهى جائزة يعتبرها بعض العلماء أرفع من جائزة نوبل .

ولكن بالرغم من هذه المآخذ والأخطاء فان جائزة نوبل للعلوم تلعب دورا كبيراً فى تشجيع البحث العلمى ، وهى فى معظم الأحوال تصيب مستحقيها الحقيقيين ، إلا ان هناك جوانب سلبية لفكرة الجائزة فى حد ذاتها تجدر الاشارة اليها .

● هناك شعور عام بأن مانحى الجائزة يهتمون بمجالات معينة من البحث العلمى اكثرها من النوع الذى يسهل تسليط الأضواء عليه ، الأمر الذى يدعو كثيراً من العلماء الى الاتجاه الى هذه المجالات دون غيرها مما يصيب البحث العلمى فى مجالات أخرى بالتأخر أو الشلل .

حول هذه الملاحظة يـرد سير بريان بيبارد مدير معمل كافنديش للابحاث العلمية بجامعة كامبردج أن الجائزة خلقت شعوراً بين العلماء الشبان بأنها تركز على ميدان مكونات الذرة ونتيجة لذلك فان لدينا طلبة فى ميدان «الجزيئات الأساسية» اكثر مما يحتاجه البحث العلمى فى حين أن هناك مجالات أخرى مهملة تماماً وقد لايسمع عنها أحد ، ثم ماذا يفيد اكتشاف كل «الجزيئات الأساسية» فى حل المشكلات الحقيقية لعالمنا المعاصر ؟

● ان عدد العلماء زاد الآن بمقدار ٣٠ ضعفاً عما كان عليه فى عام ١٩٠٠ حين انشئت الجائزة ولكن نفس عدد الجوائز ثابت ، ولذلك ليست هناك فرصة للحصول على جوائز نوبل للعلوم بالنسبة لعشرات من العلماء الذين يستحقونها ، وهنا يلعب الحظ دوراً رئيسياً فى الفوز ، ويصبح الفائز بجائزة أشبه بمن يكسب «ورقة يانصيب» !

● بالرغم من ان الاعتبارات السياسية لاتتدخل على نحو مباشر فى منح جوائز العلوم خاصة عندما يكون الاكتشاف باهراً لا سبيل الى تجاهله او انكاره إلا انه غالباً ما يحدث عند تساوى المرشحين أن تتدخل اعتبارات أخرى فى عملية الاختيار فمثلا هل ينتمى المرشح الى دولة تشعر السويد انها «تستحق الجائزة» ؟ هل المرشح معروف لدى أعضاء الاكاديمية السويدية ؟ أو هل يتمتع بتزكية جهة قوية ؟

● تتجاهل جوائز نوبل للعلوم بعض الميادين العلمية تجاهلا تاماً ، فمثلا لم تمنح جائزة واحدة منها خلال ٨٠ عاماً فى الرياضيات البحتة أو الأحياء البحرية وكذلك لم تمنح أية جائزة فى الفلك حتى العام الماضى (السبب فى ذلك أن نوبل صاحب الجائزة ومكتشف الديناميت دخل فى خصومة مريرة مع أحد الفلكيين فأقسم أن لا يسمح لأى فلكى بالحصول على جوائزه !) .



جائزة الشاعر باسترناك .. قضية تتجدد .

وكذلك فان قانون جائزة نوبل للعلوم ينص على منحها كمكافاه على «اكتشاف» أو «اختراع» أو «تحسين» فى الميادين العلمية ، وهذا يستبعد مثلا «الأطر الفكرية العلمية العامة» و «المبادىء العلمية الأساسية» و «النظريات العلمية الشاملة» (مثلا نظرية داروين فى النشوء والارتقاء) و «المساهمات العلمية مدى الحياة» .

ولهذا السبب فان أعظم العقول العلمية لا تحصل إلا فى النادر على جوائز نوبل بينما قد يحصل عليها باحث مبتدىء بضربة حظ ، والدليل على ذلك ان انيشتاين العظيم نفسه لم يحصل على جائزة نوبل عن نظرية النسبية التى تعد قمة مساهماته العلمية ، وانما حصل عليها فيما بعد بسنوات طويلة ـ وكنوع من الاستدراك ـ على بحثه فى «الكهربائية الضوئية» وهو أقل أهمية بمالا يقاس عن مساهماته الأخرى .

● وأخيراً ، تتحدث الاوساط العلمية عما يمكن أن يسمى «عقدة نوبل» التى أصبحت تطارد البحث العلمى كالشبح المخيف ، هذه «العقدة» تجعل العلماء يتجهون الى البحث فى نقاط يتوقعون الحصول منها على الجائزة دون النقاط أو الموضوعات الاكثر أهمية أو نفعاً ، ويقال ان العالم الطبيعى الالمانى ماكس بورن قضى معظم حياته يعمل فى «مشروع لنوبـــل» بعد آخـــر لأنه أصيب بالمرارة لعدم مشاركته الجائزة مع زميله الألمانى فيرنر هايزنبرج عام ١٩٣٢ ، والنتيجة أن ماكس بورن بدد عبقريته الواعدة دون أن ينجز شيئا ، ومات ضحية لعقدة نوبل !

محمد العزب موسى

أول مدرسة للبنات في العالم العربي

نادية محمد رزق

- لماذا ألغت الناظرة الإنجليزية عاما دراسيا بأكمله؟
- كان أول هدف للمدرسة هو تخريج الأمهات الصالحات



مازالت تلتحق بالمدرسة جنسيات مختلفة .

لو رجعنا بالذاكرة الى عام ١٨٧٠ ، فاننا نجدها فترة غنية بالنشاط الثقافى حينما تولى على مبارك وزارة المعارف بمصر ، وأصبح الاتجاه الوطنى يسيطر على الشعب ، كرد فعل للثقافة الأجنبية التى غزت العالم العربى نتيجة للحملة الفرنسية ، وتغلغل الثقافة الغربية فى انحاء الوطن العربى ، وانتشار مدارس الارساليات الأجنبية المختلفة .

فى ذلك التاريخ تم انشاء عدد من المؤسسات العربية مثل العديد من مدارس البنين ، وإنشاء دار العلوم كمحاولة لاثبات وقوف اللغة العربية جنباً الى جنب مع اللغات الأجنبية ، المنتشرة فى ذلك الوقت ، وإنشاء دار القضاء العربى ، ودار الكتب لجمع التراث العربى المبعثر بعد فترة التخلف للحكم العثمانى .

وفى ذلك الوقت أيضاً دعت «جشم أفت هانم» الزوجة الثالثة للخديوى إسماعيل الى إنشاء مدرسة خاصة لتعليم الفتيات .

بداية الفكرة

فى العدد ٥١٩ الصادر فى ٥ أغسطس



أحد فصول المدرسة الثانوية

١٨٧٣ نشرت الجريدة الرسمية بمصر خبر إنشاء مدرسة عربية للبنات داخلية وخارجية لتثقيفهن وتعليمهن ، فكتبت تقول :

«على كل إنسان ان يتزوج ، وعليه ان يختار زوجة صالحة مثقفة تعرف كيف تدير منزلها ، وترعى حقوق زوجها وتربى أولادها ، وتحافظ على صحتها وصحة أولادها وزوجها ، وتحفظ زوجها فى غيابه ، واذا ورد عليها خطاب منه تستطيع أن ترد عليه مبينة له حالة المنزل .

ومن كانت له زوجة كهذه سعد كثيراً فى حياته . ولتخريج أمثال هذه الزوجة ، وتحقيقاً للفوائد الجليلة التى تعود على الوطن أنشئت المدرسة» .

إذن كان السبب فى إنشاء المدرسة كما تقول كريمة عبد الهادى الوكيلة الحالية لمدرسة السنية ، ومن أوائل الخريجات ، هو تعليم الفتيات وتثقيفهن تعليماً أولياً عملياً ونظرياً ليصبحن زوجات فاضلات وأمهات صالحات للمجتمع ويمكنهن من كسب العيش عند الحاجة .

أول مدرسة فى العالم العربى !

وعندما أنشئت المدرسة ، كان التعليم النسوى فى ذلك الوقت يعتبر فى حكم العدم ، إذ لم تكن فى البلاد العربية كلها مدرسة للبنات باستثناء كتاتيب تحفيظ القرآن ، ومدرسة الولادة لتخريج الحكيمات بمصر . ولم يكن يتعلم فيها فى الغالب غير البنات الحبشيات . أما الفتيات من سائر الطبقات فكان الجهل مخيماً عليهن اللهم إلا من كن يتعلمن فى بيوت آبائهن وكن قليلات العدد .

إقبال شديد !

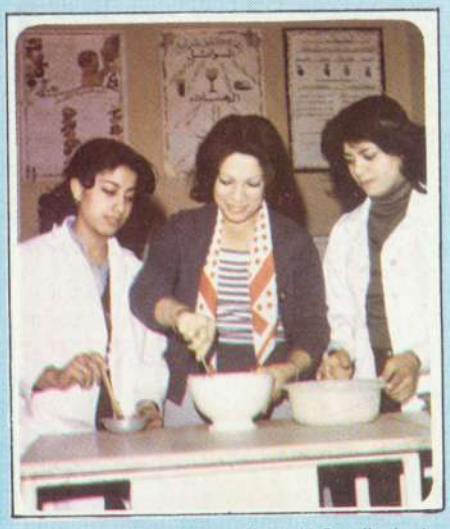
عندما أعلن عن إفتتاح مدرسة البنات عام ١٨٧٣ تهافت على الالتحاق بها الكثير من الفتيات اللاتى كن يتطلعن إلى التعليم ولكنها لم تقبل سوى مائتى تلميذة ، كن يتعلمن مجاناً ، فضلا عن الانفاق على مأكلهن وملبسهن ، وكانت مواد الدراسة تتمثل فى حفظ القرآن الكريم ، والحساب ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والتطريز ، والنسيج ، ثم أضيفت اليها اللغة الفرنسية والانجليزية ودروس البيانو .

وكانت تشرف على المدرسة «ناظرة» تعاونها «وكيلة» ، كما عين للمدرسة «ناظر» هو وحده المسئول عن المسائل المادية الخاصة بالمدرسة ، وسجلات التلميذات والاتصال بأولياء الأمور ، إلا أنه كان لا يحضر الى المدرسة إلا إذا كان وجوده ضرورياً . وللمدرسة «ضابطة» تشرف على النظام «وطبيبة» تعنى بفحص الأغذية ونظافة التلميذات وكانت الطالبات تتراوح اعمارهن بين السابعة والخامسة عشرة ، وكن يقمن بجميع أعمال النظافة تحت اشراف الملاحظات ، وبعد سنوات الدراسة الخمس تعود التلميذة الى اسرتها .

وفى سنة ١٨٨٠ إثر خلع الخديوى إسماعيل تأثرت المدرسة بما حدث من اضطراب فى البلاد فتحولت عن غرضها الذى أنشئت من أجله ، وأوشكت أن تكون ملجأ لليتيمات وبنات الطبقات الفقيرة ، وهبط عدد تلميذاتها الى مائة تلميذة وهبطت هيئة التدريس الى ستة من المعلمين والمعلمات ، بعد ان كان عددهم واحداً وعشرين .



بعض الطالبات أثناء المطالعة فى أرشيف المكتبة .



إعداد الزوجة الصالحة هدف للمدرسة .



إنتاج الطالبات من الأشغال اليدوية

لماذا سميت « السنية » ؟

فى عام ١٨٨٩ تسلمت وزارة المعارف المدرسة ووضعت لها نظاماً جديداً ، وأطلقت عليها اسمها الحالى «المدرسة السنية» ، نظراً للتعديلات والأنظمة التى جعلتها فى مرتبة أعلى مما كانت عليه من قبل ، وجعلتها أول مدرسة عربية منظمة لتعليم البنات فى العالم العربى ، وأصبحت تضم لونين من التعليم : التعليم الابتدائى ، وقسم المعلمات .

وكانت الطالبات يلتحقن بقسم المعلمات بعد حصولهن على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ليدرسن سنتين يتخرجن بعدها مدرسات ، ثم زيدت هذه المدة إلى ثلاث سنوات ، ثم إلى أربع ، وتشجيعاً للطالبات كانت تعطى لهن مكافآت مالية قدرها جنيهان شهرياً ، وكان الفصل الواحد لا يضم اكثر من خمس عشرة طالبة وهيئة التدريس كلها مدرسات إنجليزيات لجميع المواد عدا اللغة العربية .

ومما يدعو الى الغرابة ان ناظرة المدرسة الانجليزية كانت تحتل الطابق الاوسط من المبنى الحالى الذى يبلغ ارتفاعه ثلاثة طوابق ، وتوجد به حالياً مكتبة المدرسة والعديد من الفصول ، اى انها كانت تستغل لشخصها نصف مساحة المدرسة تقريباً .

تطور إلى الأفضل

فى عام ١٩٣٢ ، انتقلت طالبات المعلمات الى مكان أخر ، وأصبحت السنية مدرسة ثانوية مدة الدراسة بها خمس سنوات ، تحصل الطالبة بعد ثلاث منها على شهادة «الكفاءة» ، وفى نهاية المرحلة تحصل على «البكالوريا» ، ثم عدل هذا النظام أخيراً فأصبحت الطالبة تلتحق بها بعد حصولها على شهادة الاعدادية ، وتحول القسم الابتدائى الى قسم إعدادى منفصل ، ثم استقلت بعد ذلك وأصبحت «مدرسة ثانوية» .

عقاب بسبب الوطنية !

عندما اشتعلت الحركة الوطنية بقيادة سعد زغلول سنة ١٩١٩ ، اشتركت طالبات المدرسة فى النضال ضد الانجليز ، فكن يخرجن فى مظاهرات ، وكتبن العديد من مجلات الحائط التى تندد بالاحتلال ، فكان العقاب الذى انزلته الناظرة الانجليزية بالطالبات عقاباً من نوع جديد ، اذ الغت السنة الدراسية كلها ، وأبقت جميع الطالبات للاعادة عقاباً على وطنيتهن !! وظلت الناظرات إنجليزيات حتى عام ١٩٣٩ حينما أسندت النظارة إلى سيدات مصريات ، وكانت أول مصرية تتولى هذا المنصب عايدة وفائى .



وكيل المدرسة أمام لوحة تذكارية

اشهر الخريجات !

تقول خديجة خليل الناظرة الحالية إن عدد الدفعات التى تخرجت من المدرسة حتى الآن يبلغ ١٠٧ دفعة منها ٤٨ دفعة ثانوية ، ومن اشهر خريجات المدرسة باحثة البادية ملك حفنى ناصف و السيدة أمينة السعيد ، وكريمة السعيد ، وحنيفه حقى ، والسيدة نبوية موسى ، وسيزا نبراوى وبنت الشاطىء .

واليوم ... ؟

تضم المدرسة ـ كما يقول عبد المقصود عبده ، الوكيل الأول اكبر عدد من الطالبات فى مستوى المرحلة الثانوية بالعالم العربى ، إذ يبلغ عددهن حوالى ٢٦٠٠ طالبة ، وبها اكبر مكتبة مدرسية تحتوى على ١٧٠٠٠ كتاب موزعة بين فروع العلم قديماً وحديثاً ، ومازالت تؤدى رسالتها ، بعد ان كان لها الفضل فى تخريج عدد من بنات الوطن العربى وبعض الافريقيات والآسيويات وبعد ان حملت أول مشعل للتعليم فى الشرق كله وكان وجودها إيذاناً بخروج المرأة من خدرها ، وثورتها على التقاليد التى أرادت أن تكبلها ، غير أنها اجتازت هذه المصاعب وخرجت من القمقم عملاقاً مرفوع الرأس ، يشارك فى بناء المجتمع العربى ، ويسهم فى شتى نواحيه الثقافية والعمرانية والاجتماعية .

نادية رزق

المسابقة

من : حمزة بن عبد المطلب .

أين : جبل أحد .

ما : المها .



١ ـ شكسبير
٢ ـ عمر بن الخطاب .
٣ ـ نعم . هذه العبارة صحيحة علمياً .
٤ ـ الحسن بن الهيثم .
٥ ـ ٦ درجات بالمقياس الستيني .
٦ ـ أبو الطيب .
٧ ـ أوغندا .
٨ ـ قطر .
٩ ـ الشريف الادريسي .
١٠ ـ القسورة ـ الليث ـ السبع .

من . أين . ما ؟



● من : ـ
عربي اشتهر بالكرم المطلق قبل الاسلام . أكرم الرسول الأعظم ابنته من أجله . اسمه من كلمتين وعشرة أحرف : ـ
٢ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٤ ـ ١٠ الفتات الخصيبة التي كان يجلبها النيل للارض الزراعية قبل السد العالي .
٥ ـ ٦ ـ ٦ ـ ١ ـ ٨ ـ ٩ قشرة الجذع الخارجية .
٣ ـ ١٠ ـ ٤ قبيلة من العرب .

● أين : ـ
ميناء عربية اسمها من أربعة حروف :
١ ـ ٢ اسم عملة صعبة .
٣ ـ ٤ فعل أمر .

● ما : ـ
المخلوق الحي الذي يولد ولا يلد ، ويخدم الانسان في المناطق الوعرة منذ قرون اسمه من خمسة أحرف :
٤ ـ ١ ـ ٣ اختفى .
٣ ـ ٢ حرف
١ ـ ٥ أداة تعريف .

الجواب الصحيح



١ ـ فتح القائد الأموي المظفر قتيبة بن مسلم الباهلي مدينة سمرقند في السنة الهجرية :
٩٣ ـ ١٩٣ ـ ٢٩٣

٢ ـ «يصنع الزئبق من الفضة وحامض البنزويك» .
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟؟ .
٣ ـ اذا باض ديك انجليزي أحمر خمس بيضات في ٤ فبراير ١٩٨١ ففي أي يوم من شهر مارس ١٩٨١ تفقس البيضتان الأولى والثانية ؟؟
٤ ـ الماء الثقيل يتكون من اتحاد غاز الأوكسجين مع غاز :
الايدروجين ـ الديثريوم ـ الكلورين
٥ ـ مؤلف أوبرا عايدة التي أغرم بها الخديوي اسماعيل باشا الذي كبل مصر بالديون الخارجية ، هو الموسيقار :
بتهوفن ـ فيرى ـ موتسارت ـ مندلسون
٦ ـ رتب موجات الضوء للألوان التالية من الأقصر الى الأطول :
الأحمر ـ الأزرق ـ الأصفر ـ الأخضر .
٧ ـ أنا ما عشت لست أعدم قوتاً
واذا مت لست أعدم قبراً
هات البيت الذي يلي هذا ، وانسب البيتين الى قائلهما .
٨ ـ كانت نساء العرب في الجاهلية يستخدمن أوكسيد الحديد الأحمر بمثابة أحمر الشفاه ، وكن يسمين هذا المغر باسم :
الدمام ـ اللثام ـ الوشام .
٩ ـ كان السفير البريطاني أيام حصار الجيش الانجليزي في ٤ فبراير ١٩٤٢ لقصر عابدين بالقاهرة هو :
اللورد كرومر ـ اللورد كلين ـ اللورد كيرزون .
١٠ ـ يطلق اليهود على مدينة نابلس التي عمدتها البطل بسام الشكعة اسم :
حولون ـ شيخم ـ مسادا .

الفائزون بنتيجة مسابقة شهر ديسمبر «العدد ٦٠»

● فاز بالجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارىء :
مهدي محمد عبد الخالق محمد ـ سلطنة عمان .

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارىء :
مصطفى كمال الدين محمد عثمان ـ السودان .

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : عاطف المعايعه ـ الأردن .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ محمد عبد العزيز عبد الرحمن ـ الشارقة
٢ ـ عمر العركي علي ـ الدوحة
٣ ـ جيهان محمد ـ الكويت
٤ ـ فهد أحمد سلايمة ـ سوريا
٥ ـ الطيب قسم الله علي فديع ـ السعودية
٦ ـ سيف أحمد سيف ـ رأس الخيمة
٧ ـ أحمد عارف الفاني ـ لبنان
٨ ـ حسين عبد الله حردان ـ البحرين
٩ ـ سبأ طاهر أنعم ـ اليمن
١٠ ـ صفوت محمود حسن ـ القاهرة
١١ ـ عبده عبده علي الهربيطي ـ القاهرة
١٢ ـ عبد الحليم الفاتح أحمد ـ السودان

كلمات لها معنى!

● إن الذين يتنازلون عن حرياتهم مقابل أمان مؤقت ، لا يستحقون لا الحرية ولا الأمان .

«فرانكلين»

● النجاح هو الخطيئة الوحيدة التى يرتكبها الانسان بحسن نية ، ومع ذلك لا يغتفرها له زملاؤه !

«امبروزبيرس»

● السر الوحيد الذى تستطيع المرأة أن تحتفظ به ، هو عمرها !

«فولتير»

● من كثر احتماله ، وظهر حلمه ، قل ظلمه ، وكثر أعوانه . ومن قل همه على ما فاته ، استراحت نفسه ، وصفا ذهنه.

«سقراط»

● الحقيقة الثابتة : هى أنه لا يوجد على الأرض شىء ثابت .

«بلليني»

● التفكير : أسمى أنواع الصلاة .

«جوبو»

● إننى أوجس خيفة من ثلاث جرائد أكثر مما أوجس من مائة الف مقاتل .

«نابليون»

● نحن نسقط لكى ننهض .. ونهزم فى المعارك لكى نحرز نصرا أروع .. تماما كما ننام لنصحو أكثر قوة ونشاطا .

«براوننج»

محمود حلمى عباس لطفى
طب طنطا - ج.م.ع

كيف قسمها بينهم؟



توفى رجل وترك من ضمن مخلفاته ١٧ جملا وله ٣ أولاد . وقد كتب فى وصيته : توزع الجمال السبعة عشر كالتالى : نصفها للاكبر ثلثها للأوسط . تسعها للأصغر .

وقد احتار الجميع كيف تتم هذه القسمة ، وأخيرا جاء رجل ذكى وقسمها لهم بالتساوى وحسب الوصية فكيف قسمها بينهم ؟

● **الاجابة :**

لقد أحضر هذا الرجل جملا من عنده مؤقتا ووضعه مع هذه الجمال السبعة عشر ، فأصبح عددها ثمانية عشر .

فأعطى الأكبر نصفها أى ٩ جمال وأعطى الاوسط ثلثها أى ٦ جمال وأعطى الأصغر تسعها أى جملين ويقى الجمل الذى له . فأخذه مشكورا وانصرف .

محمود زيدان سفارينى
الزرقاء ـ الأردن

أطـــول وأكـــبر

● أطول الحيوانات فى عصرنا الحاضر هو حوت الروركال الذى يبلغ طوله ثلاثة وثلاثين مترا ويزن حوالى مئة وستين طنا ، وأفعى الأناكوندا وطولها احد عشر مترا ، والتمساح يوجد منه ما يزيد طوله على عشرة أمتار .

● وأطول دراجة فى العالم تسير على ثلاث عجلات ويقودها واحد وثلاثون شخصا ، صنعت فى استراليا عام ١٩٧١ ، أما طولها فيبلغ خمسة عشر مترا .

● اكبر كاتب للاطفال فى الوطن العربى هو المرحوم كامل الكيلانى الذى ولد عام ١٨٩٨ ونشأ فى أحد أحياء القاهرة الشعبية وبدأ الكتابة وهو فى الصف الرابع الابتدائى حيث كتب قصة «الأمير صفوان» وقد حاول نشرها لكن الناشر طرده حين وجده طفلا صغيراً .

● اكبر آلة صنعت عام ١٩٠٠ فى شيكاغو ويبلغ ارتفاعها مترين وأربعة وسبعين سنتيمترا وكانت تحتاج الى خمسة عشر شخصا لادارتها .

ابراهيم محمد بابا أو موسى
الجزائر

طـلاق بالصدفة

كان ساعى البريد يسير فى أحد أحياء باريس وفى يده رزمة من الرسائل ومرت بالقرب منه سيدة ، وألقت نظرة خاطفة على الرسائل ، فلاحظت واحدة منها مكتوبة بخط زوجها الذى عرفته فورا ، فاختطفت الرسالة من يد ساعى البريد وفضت الغلاف فوجدت فى داخله رسالة غرامية موجهة من زوجها الى امرأة أخرى . ورفعت الزوجة دعوى على الزوج ، مطالبة بالطلاق ، وكسبت القضية ، ولكنها دفعت عشرة آلاف فرنك غرامة لتدخلها فى عمل ساعى البريد وعبثها بالبريد !

حميد الساعدى
بغداد ـ العراق

أيـهـــمـــا أعـقـــل ..؟!



●● قصد الزوج الى صديقه الطبيب وعلى وجهه دلائل اليأس وقال له : أنقذنى يا دكتور إن زوجتى على وشك الجنون .. فهى تريد أن تحتفظ لها بعنزة .. !!

الدكتور : وماذا فى ذلك ؟

الزوج : انها تريد الاحتفاظ بها فى غرفة النوم !

الدكتور : إذن افتح منافذ الحجرة لخروج الرائحة السيئة .

الزوج : كيف أفتح المنافذ .. هل تريد أن يطير منى سرب الحمام الذى أحتفظ به فى نفس الغرفة ؟؟

سيد فتح الرحمن سيد ـ ج.م.ع

حـــاول أن تعـــرف •••



● مسجد يقع فى دولة عربية . المدينة التى تضم هذا المسجد تقع على البحر . ما اسم هذا المسجد وما اسم المدينة التى يقع فيها ؟ .

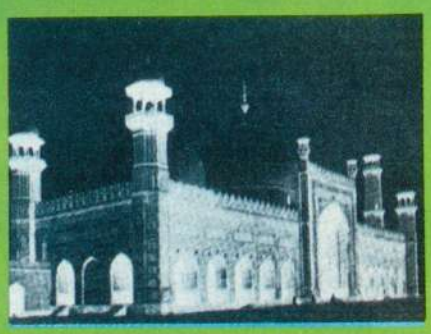


● موقع سياحى شهير فى تونس ـ يقصده زوار من كل مكان ـ يمتاز بالجمال والأصالة والعراقة ـ هل تعرف هذا المكان ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف "العدد ٦٠"

● الصورة الأولى : الفنان فان جوخ .
١ ـ توفيق بسمة ـ تونس .
٢ ـ محمود عبد الرزاق قدو ـ سوريا .
● الصورة الثانية : مسجد باد شاهى بمدينة لاهور ـ باكستان .
١ ـ احمد سعيد حسن عبد العزيز ـ المدينة المنورة ـ السعودية .
٢ ـ فاطمة محمد حسن ـ الدوحة ـ قطر





اللص الرياضي !



● سافر رجل الى مدينة أوربية وكان يملك قبعة ثمينة اشتراها من أمريكا ، فخاف أن تسرق منه ، وفكر فى حيلة ، فكتب فى ورقة : «حذارى أيها اللص الماهر فاننى بطل العالم فى الملاكمة» . ووضع الورقة على القبعة فى مدخل المطعم .

ولما فرغ من تناول غذائه لم يجد قبعته ووجد مكانها ورقة كتب عليها «إلحقنى يا بطل العالم فى الملاكمة ، إننى بطل العالم فى العدو» .

درويش عبد الرزاق
الجزائر

شـــرب الشـــاي



● شرب الشاى فى الشتاء يساعد على تدفئة الجسم أى يزيد درجة حرارة الجسم لأن الشاى يكون ساخناً . أما فى الصيف فان الشاى يساعد على تبريد الجسم وينعشه لأن درجة حرارة الجسم ترتفع .. وعند عودتها الى سابق حالتها يشعر الجسم بالانتعاش وبتغير فى درجة حرارة جسمه وكذلك بالاضافة الى ان الشاى الساخن يسبب افراز العرق فى الصيف وعندما يتبخر العرق يشعر الانسان بالبرودة .

دانـــه ماجد سعد
دولة قطر

كاريكاتير وتعليق "العدد ٦٠"

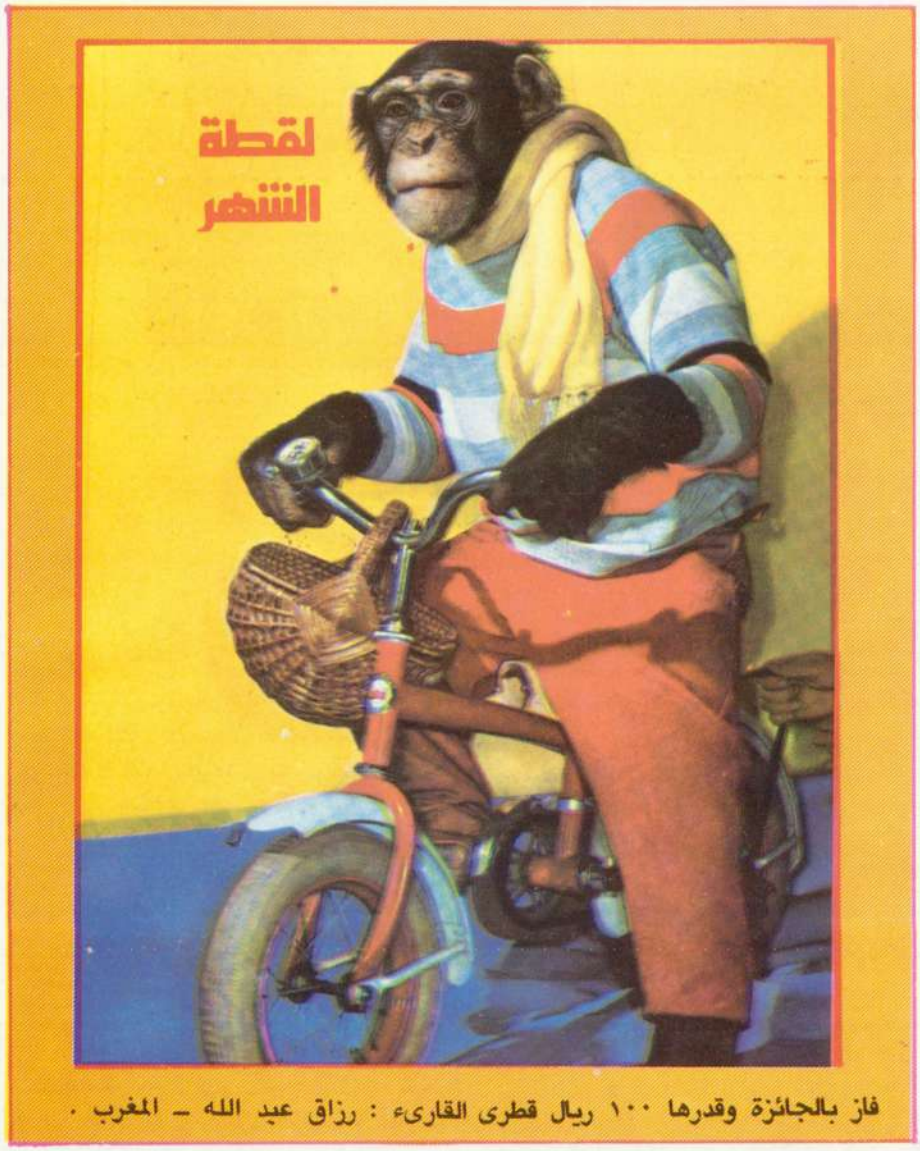


١ ـ المريض للطبيب : المشكلة التى تقلقنى هى أننى حتى الآن لم أفز فى مسابقات المجلة .

منيرة حامد أحمد
الابراهيمية شرقية ـ مصر

٢ ـ المريض للطبيب : مشكلتى يا دكتور هى أن حماتى حضرت لزيارتنا أمس .

أسامة محمد حسن
كرتير ـ عدن



فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارىء : رزاق عبد الله ـ المغرب .

كاريكاتير وتعليق



ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريـــال



الفاتح إبراهيم أحمد

قنطار خشب ودرهم حلاوة!

.. من الروايات التى قرأتها فى مادة الأدب الانجليزى لامتحان الشهادة السودانية رواية برناردشو المسماة «بجماليون» .

.. وكعادتى فى القراءة أعود فأقرأ مرة أخرى ما قرأته منذ فترة بعيدة ، فتبرز لي كثير من الزوايا والأبعاد كانت خافية فى القراءة الأولى .. وهذا ما حدث لي مع رواية الأديب الايرلندى برناردشو . فقد أعدت قراءتها وشاهدتها كعمل سينمائى فى الفيلم المسمى ـ سيدتى الجميلة ـ فزاد اعجابى بها لأنها تلمس أشياء هى من صميم اهتماماتى .. ويمكن تلخيصها فى مشاكل التعليم واللغة بالاضافة الى مسائل أخرى كالحب والزواج ..

.. وإذا عدت لأكتب من الذاكـــــرة انطباعاتى عن وقائع تلك الرواية العظيمة مركزاً على شخصيتى مستر «هيجنز» و «أليزا» بطلى الرواية .. أقول بطريقة موجزة وبما يسمح به المجال ..

.. إن مستر «هيجنز» عالم الأصوات له معمل يجرى فيه التجارب .. و «أليزا دوليتل» فتاة غير متعلمة تتحدث الانجليزية بطريقة تجرح أسماع المتعلمين أمثال بروفسير «هيجنز» عالم الأصوات ..

التقى بها هيجنز وأخذها الى بيته وعلمها الطريقة الصحيحة لنطق اللغة الانجليزية حتى تستطيع الاختلاط بالمجتمعات الراقية ..

بالنسبة لهيجنز لم تكن «أليزا» تعنى له شيئاً سوى أنها تجربة ليبرهن بها على مقدرته العلمية ..

أما المسألة بالنسبة لأليزا الفتـاة البسيطة التى كانت تعيش من بيـع الأزهار فى أزقة لندن فلم تكن بهذه البساطة فقد قابلتها مشاكل جديدة بعد انتهاء تجربة البروفسير «هيجنز».. فقد أثار التعليم فى غفلتها أسئلة لم تكن تواجهها من قبل ..

فى قمة الحبكة الروائية واجهت «أليزا» مستر «هيجنز» بتلك التساؤلات قائلة : ـ الى أين أتجه ؟ وماذا أنا فاعلة بنفسى ؟ وما هو مصيرى ؟ .. أسئلة طرحتها بعد انتهاء التجربة ..

.. أما بروفسير «هيجنز» الذى لم تعد له أية ارتباطات مع «أليزا» بعد انتهاء التجربة فقد أجابها بأن صنع الحياة يعنى صنع المتاعب والطريقة الوحيدة لتجنب المتاعب هى قتل الأشياء .

يثير برناردشو من خلال اجابة بروفسير هيجنز مسألة هامة وهى أن «أليزا» قبل التعليم كانت فى حكم الميتة فلذلك لم تواجهها تلك المتاعب . ولكن بعد أن تعلمت واجهت متاعب كبيرة ... نسبة لما أثاره التعليم وما أججه فى نفسها من تفاعلات أدت الى تغيير نظرتها وموقفها من الحياة ..

وإذا اندفعنا مع هذا السياق لابد أن نلتقى على هذا الدرب مع شاعرنا العظيم المتنبى الذى يعكس فى ومضة مشرقة من الشعر وفى بيت واحد ما تعجز الرواية أو القصة أن تعبر عنه إلا فى مئات الصفحات

يقول المتنبى معبراً عن حياة وحالة العالم وحياة وحالة الجاهل :

ذو العلم يشقى فى النعيم بعقلـــه
وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعـــم

وذلك ربما يذكرنى أيضاً بمقياس نقدى للأستاذ العقاد حينما سئل عن رأيه فى القصةوالرواية ، فقد رد بما معناه أنه لا ينكر وجود روائيين وقصاصين عظماء إلا أن ما تعطيه الرواية أو القصة فى صفحات عديدة ربما يعطيه الشعر بايجاز فى بيت واحد لذا فهو يفضل الشعر . وقال إن القصة تعطيك قنطاراً من الخشب لتستخرج منه درهماً واحداً من الحلاوة ..



برناردشو



المتنبى

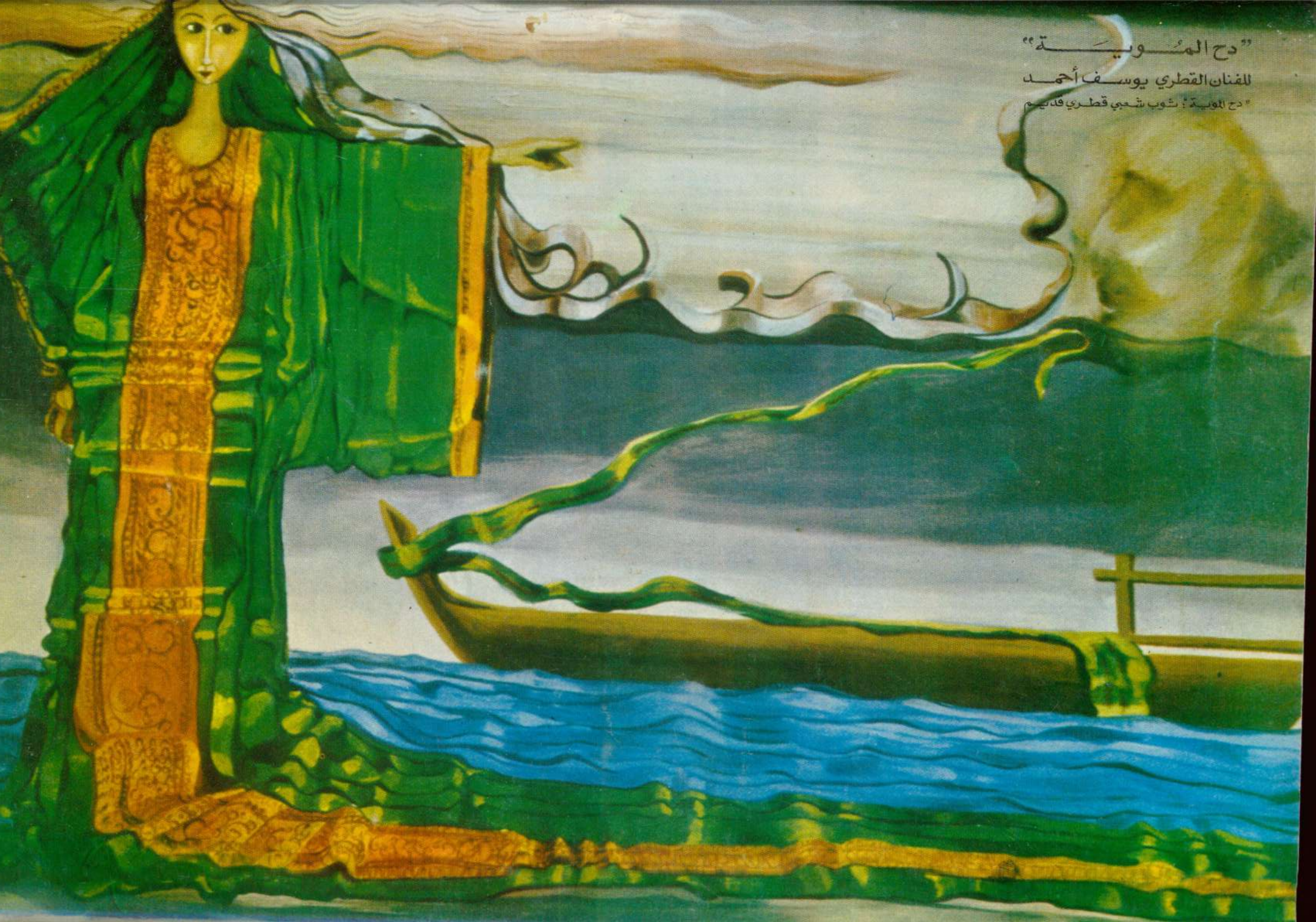


العقاد



بيبسى

مشْـروب الجيـل الصَاعدْ


"دح المويـــة"
للفنان القطري يوسف أحمد
"دح المويـة": ثوب شعبي قطري قديم